من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

رسالة القديس بولس
إلى
أهل رومية



القمص
تادرس يعقوب ملطى

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

رسالة القديس بولس
إلى
أهل رومية

إسم الكتاب : رسالة القديس بولس إلى أهل رومية
المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطى
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست)
التجميع : مركز الدلتا للتجميع الآلى باسبورتنج



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة فى الرسالة

يرى البعض أن كلمة « روما » من أصل يونانى تعنى « قوة » ، وكانت تستخدم بمعنى « مع السلامة » ، إذ تعنى « ليكن لك صحة قوية » [1] ؛ ويرى البعض انها تعنى « مرتفع » . وربما دُعيت هكذا لسببين أولا لأن رومليوس أسسها عام ٧٥٣ ق.م. فحملت إسمه ، وأيضا لانها بنيت على مكان مرتفع على أكمة من الآكام السبع هناك . وقد اتسعت لتمتد فتشغل كل الآكام . وفى منتصف القرن السادس ق.م أحيطت بسور يضم المدينة كلها مع ضخامتها ، محيطة حوالى خمسة أميال ، به ١٩ باباً روما.

اتسع نطاقها ونفوذها حتى صارت عاصمة الدولة الرومانية التى استولت على حوض البحر الأبيض المتوسط كله ، فتزايد عدد سكانها جداً حتي اقيمت المنازل خارج السور أيضاً . صارت روما ملتقى ساسة العالم وقادته ، ومركزاً للعلوم والآداب والفلسفة ، اشتهرت على وجه الخصوص بالقانون الرومانى الذى لايزال يُدرس فى أغلب جامعات العالم . وكبلد مفتوح امتلأت روما بالخزعبلات والرجاسات الوثنية وقبائحها ، قادمة من كل العالم ... يظهر ذلك بوضوح مما جاء فى الأصحاح الأول من هذه الرسالة .

يقدر سكان روما فى القرن الأول حوالى ٢ مليون ، وان كان هذا التقدير يعتبر مبالغ فيه [٣] ، ثلث سكانها كانوا من الرقيق . وقد ضم سكانها جنسيات متعدده ؛ وكان بالمدينة عدد كبير من اليهود الذين قادهم بمبيوس القائد الرومانى أسرى حينما استولى على سوريا سنة ٦٣ ق.م واسكنهم قسماً من المدننة . ثم تحرر هؤلاء اليهود وتكاثروا حتى اصبحوا حوالى ١٦ ألف نسمة فى عهد الرسول بولس . وكان هؤلاء اليهود فى سلام وراحة معظم وقتهم فى روما ، إلا فى عهد طيباريوس سنة ١٩ م ، وفى

عهد كلوديوس قيصر سنة ٤٩ م الذى أمر بطردهم جميعاً من روما (أع ١٨ : ٢) . ومما يدل على كثرة هؤلاء اليهود انه لما مات هيرودس الكبير جاءت لجنة من اليهود إلى روما لتستعطف أوغسطس قيصر فخرج لاستقبالها حوالى ثمانية آلاف رجل من اعيان اليهود بالمدينة ، وكان لليهود فى روما اكثر من ١٣ مجمعاً ، وكانوا طائفة تميل الى إحداث الفتن والثورات [٤] .

نشأة المسيحية بروما

لم يذكر العهد الجديد شيئاً عن تأسيس هذه الكنيسة ، كما لا يعرف من الذى قدم الشعلة الأولى للايمان هناك ، لكننا نلاحظ فى نشأة المسيحية بروما الآتى :

١ ـــ جاء فى سفر اعمال الرسل أنه فى يوم الخمسين حضر يهود أتقياء من كل أمة .. من بينهم « رومانيون مستوطنون يهود ودخلاء » أع ٢ : ١٠ ، هؤلاء قبلوا الإيمان بالسيد المسيح وعادوا من أورشليم إلى روما يكــرزون بين إخوتهم اليهود . لهذا يرى غالبية الدارسين أن كنيسة روما فى بدء انطلاقها كانت فى معظمها من أصل يهودى حتى وقت بعث رسالة القديس بولس إليهم ... لهذا نجد الرسالة موجهة بالاكثر إلى اليهود المتنصرين اكثر من الأمم المتنصرين ، هذا وقد أعطى هذا الوضع انطباعا فى ذهن قادة الرومان أن المسيحيين ليسوا إلا طائفة يهودية منشقة عنهم .

٢ ـــ إذ تميزت الدولة الرومانية بالحرية وسهولة الانتقال فيما بينها وخاصة بين البلدان المختلفة والعاصمة ، وكانت روما ملتقى كبار القادة والمعلمين والتجار ، فقد دخلها بلا شك جماعة من المعلمين والتجار المؤمنين سواء من أصل يهودى أو أممى ، جاءوا يحملون فى قلوبهم شعلة الإيمان المتقد ، يكرزون ويشهدون للرب . من بين هؤلاء أناس سمعوا تعاليم القديس بولس فى بعض مدن آخائية ومكدونية فى بلاد اليونان وفى مدن آسيا الصغرى وآمنوا بهذه التعاليم . ويؤكد ذلك سلام القديس بولس على كثيرين ذكرهم باسمائهم فى الاصحاح الاخير من الرسالة ، مما يدل على أنهم كانوا من تلاميذه ومعارفه مع أنه لم يكن قد ذهب إلى روما قبل كتابة الرسالة .

٣ ـــ إذ طُرد كثير من اليهود ان لم يكن جميعهم من روما بأمر كلوديوس إلى مدن أخرى ثم عادوا إليها مرة أخرى ، كان بعضهم قد آمن بالسيد المسيح ، مثال ذلك أكيلا وبريسكلا اللذان إلتقيا مع الرسوم بولس فى كورنثوس(أع ١٨ : ١، ٢)

٢) وآمنا على يديه ، وكان يشترك معهما فى صناعة الخيام ... هذان وغيرهما قد اشتركوا فى تأسيس الكنيسة هناك (رو ١٦ : ٥) .

٤ ـــ واضح من الرسالة أن أحداً من الرسل لم يكن قد أنشأ هذه الكنيسة حتى كتابة هذه الرسالة ، فقد كان مبدأه : « كنت محترصاً أن أبشر هكذا ، ليس حيث سُمى المسيح لئلا أبنى على أساس آخر » رو ١٥ : ٢٠ ، واذ يكتب فى نفس الرسالة معلنا شوقه الشديد للتوجه إليهم وانه مُنع مراراً واخيراً قرر زيارتها (رو ١ : ٩ ـــ ١٠ ، ١٥ : ٢٢ ـــ ٢٤) هذا يؤكد أن أحداً من الرسل لم يكن قد زار روما من قبل .

٥ ـــ كان الرسول بولس يشعر انه رسول الأمم (غلا ٢ : ٧ ، ١١) لذا احس بالمسئولية تجاه هذه المدينة كعاصمة العالم الأممى فى ذلك الحين ... لذا أرادها مركزاً من مراكز خدمته ، وانه مدين لهم بالكرازة (١ : ١٣ ، ١٤) .

٦ ـــ يرى غالبية الدارسين فى الغرب والشرق أن القول بان القديس بطرس الرسول قد أسس هذه الكنيسة وبقى على كرسيها حوالى ٢٥ عاماً لا يمكن قبوله [٥] ، فمن جهة كان القديس بطرس حاضراً فى أورشليم حتى المجمع الرسولى المنعقد عام ٥٠ م تقريبا (أع ١٥) ، وكان فى انطاكية عام ٥٥ م حيث اجتمع بالقديس بولس هناك (غلا ٢ : ١١) ، وكان فى بابل حين كتب رسالته الأولى حوالى عام ٦٠ م (١ بط ٥ : ١٣) . هذا ولو أن القديس بطرس قد أسس الكنيسة هناك عام ٤١ م كما ظن البعض لما كتب الرسول هذه الرسالة ، وان كتبها لما قال أنه لا يبشر حيث سمى المسيح لئلا يبنى على أساس لآخر (١٥ : ٢٠) ، ولكان ذكر إسمه فى الرسالة أو سّلم عليه .

زمان ومكان كتابتها

كتب الرسول هذه الرسالة وهو يتوقع زيارته لروما ، وقد قرر ذلك فى طريقه إلى أسبانيا (رو ١٥ : ٢٣ ، ٢٤) ، وذلك بعد ذهابه إلى اروشليم حاملًا معه عطايا مسيحيى مكدونية وآخائية إلى إخوتهم فقراء أورشليم (رو ١٥ : ٢٥ ، ٢٦ ، ١ كو ١٦ : ١ ـــ ١٦ ؛ ٢ كو ٨ : ١ ـــ ٤) . بهذا يكون قد كتبها أثناء رحلته

التبشيرية الثالثة من كورنثوس فى بيت رجل إسمه غايس ، وصفه الرسول : أنه « مضيفى ومضيف الكنيسة كلها » رو ١٦ : ٢٣ ، وهو أحد إثنين قام الرسول بتعميدهما (١كو ١ : ١٤) .

أملاها الرسول على ترتيوس [٦] (رو ١٦ : ٢٢) ، وقد حملتها إلى روما الشماسة فيبى ، خادمة كنيسة كنخريا [٧] (١٥ : ١) ميناء شرقى كورنثوس .

اذ ذهب الرسول بولس الى اورشليم فى ربيع عام ٥٨ م ، لذا يرى غالبية الدارسين انها كتبت مابين عامى ٥٧ ، ٥٨ م .

أعضاء الكنيسة الأولى [٨]

لا يمكننا أن نتفهم غاية هذه الرسالة وندرك عمق معانيها مالم نتعرف على نوعية أعضائها ، هل كانوا من اليهود المتنصرين ؟ أو من الأمم المتنصرين ؟ أو كانوا خليطاً من الاثنين ؟

الرأى الأول : لمدرسة توبنجن Tubingen و E. Renan و T. Zahn و W. Manson و F. Leenhardt أن الغالبية العظمى للاعضاء من اليهود المتنصرين ، وحجتهم فى ذلك الرئيسية هى استخدام الرسول مقتطفات كثيرة من العهد القديم خاصة قصة ابراهيم داعيا أياه « أبانا » ، ويشعر القارىء أن الرسول فى أغلب حديثه يتكلم مع من هم من اصل يهودى . هذا بجانب ان تعداد اليهود فى روما فى القرن الأول كان كبيراً .

الرأى الثانى : نادى به J. Munck و S. Lyonnet و O. Michel و C. K. Barrett بأن الغالبية العظمى هم من أصل أممى ، معتمدين على أن الرسول يحدثهم كرسول للأمم (١ : ٥ — ٧ ، ١٢ — ١٤ ؛ ١١ : ١١ — ١٣ ، ١٥ : ١٦) ؛ وأنه يقارنهم بغيرهم من سائر الأمم (١ : ١٢ — ١٤) . وحديثه لهم قائلًا : « قدمتم أعضائكم عبيداً للنجاسة والإثم » ٦ : ١٩ يناسب من كانوا من أصل أممى لا يهودى ، كما يخاطبهم « أقول لكم أيها الأمم » ١١ : ١٣ ...

الرأى الثالث : انها كانت خليطاً من الصنفين ، نادى به Headlam و Sanday و Dodd ...

هذا ويمكننا القول بأن الكنيسة كانت تضم الصنفين ، غير ان العنصر اليهودى كان غالباً إلى حد كبير .

أهمية الرسالة وغايتها

كان لهذه الرسالة أهميتها فى الكنيسة الأولى ، فقد جاء عن **القديس يوحنا الذهبى الفم** أنه كان يقرأها مرتين أسبوعياً .

١ ـــ نستطيع ان نتفهم أهمية هذه الرسالة ونتفهم ما حوته فى داخلها من سبب كتابتها والظروف التى كانت تحيط بها ... فقد آمن عدد ليس بقليل من يهود روما بالسيد المسيح ، سواء كانوا يهوداً من أصل عبرانى أو دخلاء من الأمم ، كما آمن بعض الأمميين الوثنيين المثقفين بفكر يونانى بربنا يسوع ، وكان يلزم أن يلتقى الجميع بوحدانية الروح كأعضاء فى جسد واحد ، لكن اليهود بتربيتهم المتزمته وتعصبهم الشديد لجنسهم وثقافتهم وفكرهم الدينى لم يقدروا ان ينزعوا أنفسهم بسهولة عن شعورهم بالامتياز عن غيرهم حتى بعد قبولهم الإيمان المسيحى ، فكانوا يستخفون بالأمميين المتنصرين تحت دعوى :

١ ـــ انهم أبناء ابراهيم ، اصحاب الوعد كنسل ابراهيم .
٢ ـــ انهم مستلموا الناموس الموسوى دون سواهم .
٣ ـــ انهم شعب الله المختار وحدهم .

خلال هذا الفكر الذى عاشوه فى ماضيهم اليهودى تأصل الكبرياء عن عدم فهم للبنوة لابراهيم ولا غاية الناموس ولا معنى اختيار الله لشعبه ... فظنوا انهم حتى بعد قبول الإيمان بالمسيا المخلص يبقون فى مرتبة أسمى من غيرهم .

هذا ومن جانب آخر فإن بعض الأمميين المتنصرين أخذوا موقفاً مضاداً كرد فعل للفكر اليهودى ، فنظروا لليهود كشعب جاحد وأن الباب قد أغلق بالنسبة لليهود لينفتح لهم على مصراعيه ، الأمر الذى يعرضهم هم أيضاً للكبرياء .

خلال هذه الظروف جاءت الرسالة موجهة الى الطرفين لتعالج قضايا ايمانية حية وسلوك روحى ايمانى يمس حياة الكنيسة عبر الاجيال كلها ، فحدثنا الرسول عن عمومية الخلاص . وأن الباب قد انفتح للأمم جميعاً خلال الإيمان الحىّ العامل

بالمحبة ، فقدم لنا الرسول بوحى الروح القدس مفهوم الايمان وارتباطه بالخلاص ، كما كشف لنا عن قلبه الرسولى المتفجر بالحب نحو المسيّا ونحو البشرية كلها التى مات المسيح عنها . وفى نفس الوقت عالج مشكلة الكبرياء سواء فى حياة اليهود أو الأمم ، والتقديس ، والحياة الإيمانية العملية خلال العلاقات العامة والعلاقة بالنفوس الضعيفة ، وعلاقة المؤمن بالمجتمع ... الخ لقد قيل عن هذه الرسالة انها « كاتدرائية الإيمان المسيحى » ، تدخل بالمؤمن إلى مقدسات الله الفائقة وترفعه خلال مذبح الايمان الحىّ العملى الى الالتقاء بالآب السماوى فى الإبن الوحيد المبذول ، وذلك بعمل الروح القدس .

بمعنى وإن كان البعض قد رأى فى الرسالة انها جاءت لتقف فى وجه أنصار « حركة التهود » التى تدفع بالمؤمنين إلى العودة لأعمال الناموس الحرفية كالختان والتطهيرات والغسالات الموسوية والتزام الأمميين بالتهود قبل تنصرهم ؛ أو جاءت هذه الرسالة بهدف المصالحة بين الفريقين من اليهود المتنصرين والأمميين المتنصرين ؛ لكن فى الحقيقة لم يقدم الرسول هذه الرسالة بطريقة دفاعية ولا لمجرد عمل مصالحة انما قدمها كمقال يمس ايمان الكنيسة ويعبر عن الحياة الانجيلية بدقة بالغة ، حتى دعيت هذه الرسالة : « إنجيل بولس » .

٢ ــ إن كان من أهداف هذه الرسالة اعلانه عن زيارته لروما بعد اشتياقات ومحاولات كثيرة فإن هذه الرسالة جاءت تمهد لمجيئه بعرضه انجيل ربنا يسوع الذى قبلته الكنيسة الأولى من خلال نظرة معينة هى انفتاح باب الخلاص لكل الشعوب والأمم ، مهّد الطريق حتى متى جاء لا يحتك بطالبى التهود ، أصحاب الفكر الضيق . ولعله قد كتب هذه الرسالة بعد ان بلغته أخبار الكنيسة فى روما من تلاميذه ومعارفه هناك ، فأراد معالجة الأمور كتابة قبل مجيئه .

مشكلة الأصحاح السادس عشر

يمثل الأصحاح السادس عشر مشكلة بالنسبة لبعض الدارسين إذ يحسبونه غير منسجم مع بقية الرسالة ، وانه قد اضيف الى الرسالة مأخوذا ربما عن رسالة كتبها الرسول إلى أفسس ، مقدمين الحجج التالية [٩] :

أولاً : ان الرسول لم يكن قد زار بعد روما ، فبعث تحيات لعدد كبير من الناس فى الكنيسة يناسب بالأكثر مدينة أفسس التى خدمها الرسول وليس مدينة روما .

يرد على ذلك بعض الدارسين بانه ليس من سياسة القديس بولس أن يذكر تحياته لاشخاص معينين فى كنائس قد خدم فيها ، إذ يحسب كل مخدوميه أحباء له بلا محاباة أو تمييز ، وانه يليق بالاكثر ان يذكر هذه القائمة بخصوص الكنيسة التى فى روما لعدم معرفته لبقية الاعضاء بصفة شخصية ، ولكى يشجع المعروفين لديه على الخدمة .

ثانياً : أُشير الى بريسكلا واكيلا وإلى الكنيسة التى فى بيتهما فى ١ كو ١٦ : ١٩ التى كتبت فى فترة قصيرة قبل الرسالة إلى أهل روما ، وانهما كانا مقيمين فى أفسس ، وأيضا يفهم من ٢ تى ٤ : ١٩ ان بريسكلا واكيلا كانا فى أفسس أثناء كتابة الرسالة الثانية الى تيموثاوس بروما قبيل استشهاده ، فكيف يذكرهما كمقيمين فى روما (رو ١٦ : ٣) ؟ !

يرد على ذلك بان اليهود رجال أعمال ، وان بريسكلا واكيلا كانا غنيين تقيين ، لهما أعمال تجارية فى اكثر من مركز ، وقد جعلا من بيتهما فى روما وأيضا فى أفسس كنيستين ... وبهذا فلا عجب ان تنقلا بين أفسس وروما . ويفترض بعض الدارسين أنهما كانا مقيمين بروما ولما صدر امر كلوديوس سنة ٤٩ م بطرد جميع اليهود أوكلا عملهما لمن له جنسية رومانية ولم يغلقا بيتهما ولا عملهما حتى عادا الى روما من جديد عندما استقر الأمر .

ثالثاً : جاء ذكر ابينتوس بكونه باكورة آخائية بآسيا (١٦ : ٥) ، فهذا اللقب يقدمه الرسول لمن هو فى كنيسة أفسس بآسيا الصغرى لا لمن يقيم فى روما .

يرد على ذلك بان الرسول اذ يذكره انه باكورة كرازته فى آسيا ، يطلب منه وقد رحل إلى روما أن يرد الدين للرسول بكرازته هو للآخرين كما كرز له الرسول ، فهو يشجعه على العمل بقوة وغيرة ، مستغلًا كونه باكورة عمله فى آخائية .

رابعاً : يفترض البعض بأن توصيته عن فيبى شماسة كنخريا (١٦ : ١ ، ٢) تليق بالأكثر تقديمها لكنيسة معروفة لديه سبق فخدمها ، لا لكنيسة لا يعرف

اعضاءها بصفة شخصية . ويُرد على ذلك ان الرسول بولس يدرك أن مثل هذا العمل يفرح قلب المؤمنين حتى وان لم يعرفوه شخصياً ، اذ يشعرون أنه يتكلم معهم بدالة الحب الأبوى ، هذا وبلا شك أن الرسول بولس كان الكثيرون يسمعون عنه وعن خدمته وغيرته الأمر الذى يعطيه دالة لمثل هذا الطلب .

خامساً : أن نغمة التحذير الواردة فى هذا الأصحاح (١٦ : ١٧ ـــ ١٩) لا تنسجم مع نغمة بقية الرسالة ، اذ لم يسبق الحديث عن مثيرى انقسامات وواضعى عثرات خلافاً للتعليم الذى تسلموه ... ويرد على ذلك بأن الرسالة عالجت مشكلة مثيرى حركة التهود ، وإن كان الرسول قد عالج بطريقة موضوعية ايجابية ، فلم يستخدم طريقة الدفاع ولا الهجوم انما العرض الايجابى للفكر الايمانى السليم ، وكان لائقاً ان يعرض لهؤلاء المثيرين للانشقاقات بسرعة عاجلة حتى لا ينفر اليهود المتنصرين منه .

سادساً : يختتم الأصحاح الخامس عشر بذكصولوجية أو خاتمة يظهر منها ان الرسالة قد انتهت ، إذ يقول : « إله السلام معكم أجمعين ، آمين » ١٥ : ٣٣ . ويرد على ذلك انه ربما أراد أن يختم الجانب التعليمى والعملى العام ليقدم أموراً خاصة بكنيسة روما كما لو كانت ملحقاً لكنها جزء لا يتجزأ من الرسالة .

هذا وان افتراض هذا الأصحاح جزءاً من رسالة مفقودة مرسلة الى أفسس مجرد افتراض لا يدعمه أى دليل تاريخى ...

المواضيع الرئيسية فى الرسالة

١ ـــ الإيمان والخلاص المجانى

عاش القديس بولس قبل الايمان بالسيد المسيح فى صراع داخلى مرّ ، ففى الخارج يظهر انساناً معتداً بجنسه وبره وفريسيته ، بكونه عبرانياً اصيلاً من شعب الله المختار وفريسياً وحافظاً للناموس ، يمارس الطقوس فى جدية ويحفظ الطقوس والوصايا ، لكنه فى أعماق نفسه الدفينة متى صارح نفسه يجد انه ضعيف للغاية أمام الخطية وعاجز عن التمتع بالحياة المقدسة الداخلية ، محتاج لا إلى وصايا وتعاليم بل بالحرى إلى تجديد طبيعته .

وجد الرسول بولس فى الايمان بربنا يسوع ، بالايمان وحده لا بأعمال الناموس الحرفية من ختان وغسالات وتطهيرات انه يدفن مع المسيح ويقوم فى مياة المعمودية ليصير « خليقة جديدة ، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل صار جديداً » ٢ كو ٥ : ١٧ .

اختبر الحياة الجديدة فى المسيح يسوع لا كتغيير مظهرى ولا إعتناقاً لتعاليم جديدة إنما ما هو أعظم : تمتع بقوة الإيمان الحىّ وتغيير شامل فى حياته الجديدة فيه تقديس للقلب والأحاسيس والعواطف والفكر وكل طاقات النفس والجسد بالروح القدس الذى يسكن فيه . هذا التغيير يتحقق خلال تغيير مركز الإنسان من حالة العداوة مع الله خلال ناموس الخطية إلى حالة البنوة لله فى المسيح يسوع الإبن الوحيد ، الأمر الذى لن يمكن للناموس الموسوى أن يحققه ولا لأعمال الناموس الحرفية والكثيرة .

حينما يتحدث الرسول هنا عن الإيمان وحده دون الأعمال ، فلا يتحدث عن الجهاد الروحى النابع عن الايمان الحق ، انما عن الاعمال الناموسية فى حرفيتها ، فقد كان الخلاف بين عنصرى الكنيسة الأولى من يهود متنصرين وأمميين متنصرين لا فى أمر الجهاد الروحى وإنما « أعمال الناموس » ، إذ طالب البعض من الفريق الأول التزام الأمميين ان يتهودوا أولًا بالختان وممارسة الغسالات اليهودية والتطهيرات حتى يُقبلوا فى الايمان المسيحى ... هذا الذى دعى بحركة التهود .

الرسول يهاجم بطريق غير مباشر هذه الحركة التى ترد الانسان الى حرفية الناموس ومظهرية إتمام أعماله ، لذا ركز على الإيمان ... ويقصد به الإيمان الحىّ العامل بالمحبة ، والذى به يرتبط المؤمن بربنا يسوع ويتحد معه (رو ٦ : ٥) ، ويتألم معه (١كو ١٢ : ١٦ ؛ رو ٨ : ١٧) ، ويصلب معه (رو ٦ : ٦) ، ويموت معه (٢ تى ٢ : ١١) ، ويقوم معه (أف ٢ : ٦) ، ويحيا معه (رو ٦ : ٨) ، ويجلس معه (أف ٢ : ٦) ، ويتمجد معه (رو ٨ : ١٧) ، ويملك معه (٢ تى ٢ : ١٢) ، ويرث معه (رو ٨ : ١٧) .

٢ ـــ عمومية الخلاص

ايمان الرسول بولس بالسيد المسيح زعزع أساسات فكره المتعصب ، فبعدما كان يعتنق أن العالم كله قد خلق من أجل الرجل اليهودى لخدمته ، ادرك حب الله الشامل لكل البشر بغض النظر عن جنسيته أو جنسه أو امكانياته أو سلوكه ؛ جاء لليهودى كما للأممى ، للرجل كما للمرأة ، للطفل للشيخ ، يطلب الخطاة والفجّار ليقدسهم له . جاء لأجل الجميع . لذا تكررت هذه الكلمة « جميع » أومايماثلها حوالى ٧٠ مرة فى هذه الرسالة .

يعتبر موضوع « عمومية الخلاص » هو الخط الرئيسى فى كل الرسالة ، يركز عليه الرسول بكل قوته ، مفنداً الحجج اليهودية المتقوقعة حول الفكر اليهودى المتعصب ، بطريقة روحية لا تثير اليهود حتى يكسبهم هم أيضا مع كافة الأمم .

فندّ حجتهم انهم ابناء ابراهيم أب الآباء فطالبهم بالبنوة الروحية له بحمل ايمانه ، ورفعهم إلى البنوة لله واهبة الحرية الداخلية . وفند حجتهم انهم مستلموا الناموس معلناً انه فضح خطاياهم واعلن الحكم عليهم بالموت ليقودهم الى المخلص واهب الحياة . واخيراً فند حجتهم انهم شعب الله المختار ليعلن بسط الله ذراعيه للعالم كله ليضم له شعباً لم يكن يعرفه ، ويجعل من الأمم التى كانت غير محبوبة محبوبة له بايمانها به بعد جحود طال زمانه ... فالله خالق الكل والمهتم بخلاص الجميع .

النعمة والتبرير والتقديس

تكررت فى هذه الرسالة هذه المصطلحات ومشتقاتها : النعمة ، البر ، القداسة الخ ... ويلاحظ فى الرسول بولس انه لا يهتم بتقديم مفاهيم فكرية مجردة وتعاريف لمثل هذه المصطلحات ، انما تشعر وكأنه يود ان يدخل بكل مؤمن بالروح القدس إلى التمتع بهذه النعم والعطايا الإلهية ، على عكس الدارسين المحدثين اذ يهتمون بالاكثر بتقديم تعاريف ويدخلون فى أبحاث فكرية فلسفية معقدة اكثر من الخبرة الحية .

أولا : النعمة Charisma

إذ يعالج الرسول بولس موضوع « عمومية الخلاص » يكثر الحديث عن النعمة كمقابل لأعمال الناموس الحرفية ، فقد أراد اليهود أن يتبرروا بأعمال الناموس لكن

جاء السيد المسيح ليهب النعمة المجانية لكل البشر للتبرير ... « الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح ، بالنعمة أنتم مخلصون .. ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع ، لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم ، هو عطية الله ، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » أف ٢ : ٥ — ٩ .

حاول بنيامين بريوري Benjamin Brewery ان يستنبط من كتابات **العلامة أوريجانوس** تعريفاً للنعمة الالهية والتى إستقاها العلامة أيضاً من كتابات الرسول ، فقال :

[النعمة هى قوة الله المودعة فى يدّى الإنسان مجاناً ،
لكنها لا تعطى بدون شرط ،
وهى تهيىء الانسان بالروح القدس لتقدمة الخلاص للتمتع بالحياة الأبدية الجديدة النهائية ،
المعلنة والمدبرة فى الكتاب المقدس ،
بواسطة يسوع المسيح والمقدمة للعالم كله [١٠]] .

النعمة هى عطية الله الآب التى يقدمها لنا فى ابنه يسوع المسيح الذى بالصليب حملنا فيه لننعم بما له ، ووهبنا روحه القدوس روح الشركة الذى يرفعنا كما بجناحى الروح إلى الإحضان الأبوية كابناء مقدسين فى الحق .

وقد جاءت كلمة « نعمة » Charisma مقابل « أجرة » opsonis ، فالخطية أجرتها موت يقابلها النعمة هبتها الحياة الأبدية (٦ : ٢٣ ؛ ٥ : ١٥) . فما نناله من الله ليس أجرة عن عمل نمارسه ، إنما هو هبة مجانية قدمها الله خلال ذبيحة الصليب ، نابعة عن فيض حبه الإلهى . بهذا إرتبطت كلمة « النعمة » فى ذهن الرسول بولس بعمل الله الخلاصى المجانى ، غايتها أن ترفعنا من حالة ما تحت الناموس أى تحت حكمة إلى « حالة النعمة » ٥ : ٢ ، نعيشها بمركز جديد .

هذه النعمة الإلهية المجانية تقدم للعالم كله بلا مقابل ، وبلا قيود من جانب الله ، لكن لا ينتفع بها المقاومون والعنيدون ، إذ لا تنزع النعمة حرية الإرادة . من هنا نفهم الجهاد الروحى ، اننا لا نقدمه كثمن للنعمة وإنما كإعلان عن جدية قبولنا

وتجاوبنا مع نعمة الله المجانية ؛ إنه ضرورى لخلاصنا وبدونه خسر كثيرون نعمة الله المجانية ؛ لكننا لا نحسب هذا الجهاد أو الاعمال الصالحة براً ذاتياً من جانبنا . اذن لنقبل نعمة الله ومبادرته بالحب ... هذه النعمة تعمل فينا لتقديس مشيئتنا وأعمالنا ، وبجديتنا فى تقديس المشيئة والعمل ينفتح القلب اكثر لقبول العمل الالهى ، وهكذا نرتفع من مجد الى مجد ، ونمارس الحياة المقدسة بجهاد وتعب خلال النعمة المجانية .

هذا ويرى القديس بولس أن « النعمة » هى حالة يتمتع بها المؤمن الحىّ ، الذى يقبل الايمان بالمسيح بطريقة حية ، أى إيماناً عاملاً بالمحبة ... هذه هى النعمة العامة المقدمة للجميع ، لكن هناك نعم أخرى مجانية كنعمة الرسولية التى وهبت له (رو ١٥ : ١٥) للكرازة بين الأمم .

ويلاحظ أن كلمة « نعمة » Charisma تعبير عسكرى ، يستخدم عندما يتولى الإمبراطور العرش أو يحتفل بعيد ميلاده حيث يهب جنوده عطايا مجانية خلال كرم الإمبراطور وسخائه . وكأن السيد المسيح اذ ارتفع على عرش الصليب وملك على النفوس قدم « نعمة » لكل بشر ، هى عمله الخلاصى الذى يتركز فى حلوله فى النفس لتثبيت الانسان فيه بروحه القدوس فينعم بالاحضان الأبوية . هذه هى عطيته : تمتع الانسان بالثالوث القدوس فى استحقاقات الدم الثمين ، ليحمل الصورة الالهية وينعم بسمات سماوية فائقة .

يرى **القديس البابا أثناسيوس الرسولى** أن هذه النعمة الإلهية التى تجلت فى كمال قوتها بالصليب ليست بالأمر الجديد ، فعند الخلقة بالنعمة أقام الله الخليقة من العدم إلى الوجود ، وميّز الانسان بنعمة خاصة دون سائر الخليقة هى نعمة خلقته على صورة الله ومثاله لكى يستطيع أن يبقى فى الفردوس أبدياً ، يدعم ذلك نعمة الوصية التى وهبت له كنعمة حتى اذا ما بقى أميناً فى حفظه للوصية أى تمتعه بالنعمة يحيا فى الفردوس بلا حزن ولا ألم ولا قلق [١١] . أما سّر عدم الفساد فهو التمتع بالشركة فى الكلمة الذى « فيه كانت الحياة » يو ١ : ٤ . اما وقد فقد الانسان النعمة الالهية بالعصيان فقد جاء الكلمة متجسداً ليرد الانسان إلى الخليقة الأولى بتجديد طبيعته بنعمة أعظم [١٢] .

ثانياً : التبرير Dikaisone

يرى الكثير من الدارسين أن هذه الرسالة فى جوهرها أشبه بمقال عن « التبرير » .

موضوع التبرير شغل الانسان منذ سقوطه ، فقد أحسّ بفشله فى التبرر أمام الله ، إذ قيل : « ليس بار ولا واحد » رو ٣ : ١٠ . خلال الناموس الطبيعى صرخ أيوب التقى : « فكيف يتبرر الإنسان عند الله ؟ ! » أى ٩ : ٢ . وقال اليفاز التيمانى : « من هو الانسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر ؟ ! هوذا قديسوه لا يأتمنهم والسموات غير طاهرة بعينيه ؟ ! فبالحرى مكروه وفاسد الانسان الشارب الإثم كالماء » أى ١٥ : ١٤ — ١٦ . ويقول بلدد الشوحى : « فكيف يتبرر الإنسان عند الله ؟ ! وكيف يزكو مولود المرأة ؟ ! هوذا نفس القمر لا يضيىء والكواكب غير نقية فى عينيه ، فكم بالحرى الإنسان الرمة وابن آدم الدود » أى ٢٥ : ٤ — ٦ . وفى عهد الناموس الموسوى يقول المرتل : « لأنه لن يتبرر قادمك حىّ » مز ١٣٤ : ٢ . وقد جاء علاج هذا الأمر فى الانجيل ، خاصة فى هذا السفر :

« متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح ، الذى قدمه الله كفارة بالايمان لإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الايمان بيسوع » رو ٣ : ٢٤ ، ٢٥ .

« فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب » رو ٥ : ٩ .

« إذ نعلم أن الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بايمان يسوع المسيح » غلا ٢ : ١٦ .

واننى إذ لا أود الدخول فى مباحثات فلسفية نظرية جافة فقد انشغل كثير من اللاهوتيين فى الغرب بهذا الموضوع أقدم مفهوماً مبسطاً للتبرير أو التمتع ببر الله فى المسيح يسوع ربنا .

كلمة« بار » من الجانب اللغوى فى الأصل اليونانى تقترب جداً من كلمة « عادل » ، لهذا يرى البعض فى البار كائناً وقوراً لكنه ليس بالضرورة جذاباً ،

إذ هو عادل لكنه ليس بالضرورة لطيفاً وحانياً [١٣] ، وربما استخدم الرسول هذا المعنى عندما قال : « فانه بالجهد يموت أحد لأجل بار ، ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت » رو ٥ : ٧ ، غير أن الرسول نفسه كما فى بقية الكتاب المقدس جاء التعبير يحمل معنى أوسع .

بالنسبة لله دُعى باراً فى العهد القديم خلال علاقته بنا بتقديمه أعماله الخلاصية للإنسان ، إذ يقول : « أنا قد أنهضته بالبر (بالنصر) » إش ٤٦ : ١٣ ، « قريب برّى » إش ٥١ : ٥ ؛ وفى العهد الجديد يتجلى بره فى أعماله الخلاصية لحسابنا فى المسيح يسوع : « لأن فيه معلن برّ الله بإيمان لإيمان » رو ١ : ١٦ ، « ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء » ١ كو ١ : ٣٠ .

لعل الرسول بولس قد فهم « برّ الله » بمعنى ان الله بار فى وعده ، أمين فى مواعيده ، إذ يقول : « فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء ؟ ! أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله ؟ ! حاشا ! ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً ، كما هو مكتوب : « لكى تتبرر فى كلامك وتغلب متى حوكمت » رو ٣ : ٣ ، ٤ . وكأن الرسول يود أن يقول إن الله بار فى وعده للإنسان رغم انتزاع البر من البشرية بعدم تجاوبها مع عمله الخلاصى وعدم قبولها وعوده عملياً بالطاعة له . بهذا نفهم أيضا العبارة انه « ليس بار ولا واحد » رو ٣ : ١٠ ، مز ١٤ : ١ — ٣ ، ٥٣ : ١ .

الله بار فى وعوده الالهية نحو الانسان الذى لم يستطع أن يكون باراً لا بالطبيعة ولا تحت الناموس الموسوى ، فانه إذ يكسر وصية واحدة ولو بالفكر أو النية يحسب كاسراً للناموس فلا يتبرر ... هذا ما اوضحه الرسول فى الأصحاحات الثلاثة الأولى معلنا ان الانسان — يهودياً كان أم أممياً — صار فى عوز إلى برّ الله ، فماذا فعل اليهود ؟ لقد حاولوا ان يتبرروا فى أعين أنفسهم ، حاسبين ان البّر يكمن فى انتسابهم لابراهيم أبيهم جسدياً أو حفظهم لأعمال الناموس حرفياً أو انتمائهم لشعب الله المختار أيا كانت حياتهم ... وكانت النتيجة أنهم سعوا وراء « برّ الناموس » الذى يقوم على حفظه شكلياً (رو ١٠ : ٢٢) رافضين برّ الايمان . وهنا يميز الرسول بين برّ الناموس الذى طلبه اليهود خلال الشكليات فى كبرياء وبّر الايمان الذى قدمه الله فى ابنه يسوع المسيح للعالم كله . هذا التمييز سبق فأعلنه السيد المسيح لليهود ،

موضحاً انهم يطلبون بّر الكتبة والفريسيين فى رياء ويرفضون بّر الله الذى وجده العشارون والخطاة (مت ٥ : ٢٠ ؛ ٦ : ٣٣ ؛ ٢١ : ٣) ... وقد عاش اباؤنا بروح التمييز يخشون طلب الانسان بره الذاتى عوض البر بالايمان الحىّ العامل بالمحبة . فقد جاء ربنا يسوع المسيح يهبنا بنعمته المجانية الدخول إلى بره والثبوت فيه ، لكن ليس فى رخاوة أو فى إيمان لفظى بحت انما خلال الإيمان الحىّ العامل . فالبر هو ثمرة نعمته لا عن استحقاق بشرى ذاتى ، نطلبه مجاهدين ليقدس ارادتنا وحياتنا العملية مجاهدين بروحه القدوس ، لكى ننطلق الى « بّر المسيح » من عمق إلى عمق ، لتكون لنا خبرات متجدده بروحه فى بّر المسيح .

يفهم **القديس أغسطينوس** البر على أنه ملكية يمنحها الله للانسان ؛ فالبر فى نظره ليس مجرد غفران للخطايا وامتناع عنها وإنما قبول « بّر المسيح » كبّر له . بمعنى آخر البر فى سلبيته توقف عن الشر وفى ايجابيته حمل سمات المسيح عاملة فيه . هذا أيضا ما أعلنه **القديس يوحنا الذهبى الفم** عندما تحدث عن الحياة الفاضلة بكونها تحمل الجانبين السلبى والايجابى : رفض الشر وعمل الصلاح .

أخيراً ما نود تأكيده أن البّر ليس عملًا ذاتياً أو فضيلة بشرية إنما فى إيماننا هو تجلى سمات المسيح فى حياة المؤمنين المجاهدين بالروح والسالكين بالحق . هذا ما سنلمسه فى دراستنا لهذا السفر ، فانه اذ يتحدث عن « البر فى المسيح » يربطه بالسلوك الروحى العملى ، تحت عنوان « اهتمام الروح » اى بالسلوك بالروح القدس » ، ورفض « اهتمام الجسد » أى الخنوع للشهوات الجسدية التى قد تسيطر حتى على النفس . هذا ويختم السفر بحديث طويل عن حياة البار العملية مترجمة فى عبادته وسلوكه الشخصى وعلاقته بالمجتمع خاصة صغار النفوس والضعفاء ... وكأن الرسول يود تاكيد أن البّر بالايمان هو خبرة عملية حية تتجلى فى كل جوانب حياة الإنسان .

ثالثاً : التقديس agiacmos

القداسة سمة خاصة بالله نفسه الذى يدعو نفسه « القدوس » لا ١١ : ٤٤ ، ٤٥ ؛ ٢٠ : ٢٦ ؛ ٢٢ : ٢ ؛ ١ بط ١ : ١٦ ، يسكب هذه السمة على خليقته المحبوبة لديه فيحسبهم قديسين ، ناسباً نفسه إليهم بدعوته « قدوس القديسين » دا

٩ : ٢٤ ، ويسمى شعبه سواء فى العهد القديم أو العهد الجديد « أمة مقدسة » خر ١٩ : ٦ ، ١ بط ٢ : ٩ .

القداسة هى هبة إلهية تعطى لمؤمنيه ، أو نعمة مجانية تُقدم لأولاد الله المجاهدين لكى يصيروا على شبه أبيهم القدوس ، إذ « هذه هى إرادة الله قداستكم » ١ تس ٤ : ٣ ، أو كما يقول الرسول : « لكى نشترك فى قداسته » عب ١٢ : ١٠ .

ان كان الروح القدس يسمى « روح القداسة » ، فإن الله يهبنا الحياة المقدسة بروحه القدوس الذى يدخل بنا إلى الثبوت فى المسيح القدوس ، فنحمل سماته فينا ، ويتحقق فينا القول أن نكون قديسين كما انه قدوس (لا ١١ : ٤٤ ؛ ١ بط ١ : ١٦) .

هذه الهبة المجانية تعطى للمجاهدين بالرب ، لا ثمناً لجهادهم ، وانما من اجل تجاوبهم مع فيض نعمته المجانية ، ليسلكوا فى القداسة لعلهم يبلغون إلى قياس قامة ماءِ المسيح (أف ٤ : ١٣) . لذلك يقول **العلامة أوريجانوس** أن الرسول يدعو المؤمنين المجاهدين « مدعوين قديسين » ١ : ٧ ليس لأنهم بلغوا الحياة المقدسة فى كمالها وانما لأنهم يسيرون فيها مشتاقين البلوغ إلى كمالها .

الإختيار وحرية الإرادة

يتعثر بعض البسطاء عند دراستهم للأصحاح التاسع من هذه الرسالة ، إذ يفسرونه مستقبلاً عن ظروف كتابته ويبترونه عن بقية الرسالة فيحسبون أن الله عنده محاباة يختار من يشاء ويرفض من يشاء ، بناء على العبارات :

« ليس لمن يشا ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » ع ١٦ ؛

« يرحم من يشاء ويقسى من يشاء » ع ١٨ ؛

« أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان ؟ ! » ع ٢١ ...

وان كنا سنعالج هذه النقطة بشيء من التفصيل عند دراستنا لهذا الأصحاح ، لكن ما نود تأكيده هنا هو الآتى :

١ ـــ ان الرسول فى هذا الأصحاح لا يعالج مشكلة حرية الارادة بل حق الله فى إختيار الأمم كما سبق فاختار اليهود ؛ لقد رحم الأخيرين دون فضل من جانبهم سوى رحمة الله ، هذه المراحم لها حق العمل فى غيرهم أيضاً .

٢ ـــ أن الرسول فى صلب الرسالة عينها يؤكد حرية الإرادة الإنسانية وتقديس الله لها ، مكرماً الإنسان كشخص له إرادة حرة هى هبة من عند الله .

٣ ـــ إن كان الله يرحم المؤمن ليس كأجرة أو كثمن لمشيئته وسعيه ، لكنه فى نفس الوقت يسألنا أن نشاء وأن نسعى بنعمته فننال رحمته المجانية .

٤ ـــ إن كان الخزاف له سلطان لكنه يود أن يكون الكل آنية للكرامة ، فإن رفض الإناء الكرامة تمجد الله فيه حتى وهو إناء للهوان ، كما تمجد فى فرعون خلال قسوة قلبه ...

سنعود لهذا الموضوع باكثر تفصيل فى تفسير الرسالة إن شاء الرب .

أقسامها

أولا : حاجة الكل للخلاص ص ١ ـــ ٣ .

١ ـــ مقدمة الرسالة . ١٠ .

٢ ـــ حاجة اليهودى للخلاص . ٢ .

حاجة الكل للخلاص ٣ .

ثانيا : اليهودى وبّر الله ص ٤ ـــ ١٠ .

١ ـــ الإتكال على أبوة ابراهيم . ٤ ـــ ٦ .

٢ ـــ الإتكال على استلام الناموس . ٧ ـــ ٨ .

٣ ـــ الاتكال على انهم شعب الله المختار . ٩ ـــ ١٠ .

ثالثا : الأممى وبّر الله . ١١ .

رابعاً : الجانب العملى **١٢ ـــ ١٥ .**

١ ـــ المؤمن والحياة المقدسة . ١٢ .

٢ ـــ المؤمن والمجتمع . ١٣ .

٣ ـــ المؤمن وضعاف النفوس . ١٤ ، ١٥ .

خامساً : الختام **١٦ .**



مقدمة الرسالة ص ١



هذا الأصحاح يمثل مقدمة للرسالة فيها يكشف الرسول عن جوهر الرسالة كلها ، إذ لا يقدم إفتتاحية شكلية تحمل مجاملة لطيفة لأهل رومية ، وإنما يكتب بحكمة ليكشف فى كلمات قليلة عن « إنجيل الله » ، وفاعليته فى حياة المؤمنين ، كما يعلن خلالها عن مركز الرسول فى الرب وفكره وحكمته ورسالته واشتياقاته الروحية . ولما كان الرسول يود أن يقاوم حركة التهود لا فى هجوم سلبى وإنما بفتح كل قلب ايجابيا لحب خلاص كل الأمم يبدأ بابراز أخطاء الأمم أولا ليعطى فرصة لأصحاب حركة التهود (أى للمطالبين بالعودة الى اعمال الناموس الموسوى الحرفية) ألا يشعروا أنه انسان متحيز للأمم عى حسابهم ، إنما هو محب للكل .

١ ــ البركة الرسولية ١ ــ ٧ .
٢ ــ افتتاحية تشجيعية ٨ ــ ١٧ .
٣ ــ شرور الأمم ١٨ ــ ٣٢ .

+ + +

١ ـــ البركة الرسولية

لم يقدم الرسول بولس « البركة الرسولية » كأكلشيه يختم به مقدمة الرسالة ، وإنما قدم البركة فى المسيح يسوع بما يليق ببنيان من يتحدث معهم وموضوع حديثه لهم ، إذ نلاحظ فيها الآتى :

أولا : يبدأ الرسالة بدعوة نفسه بثلاثة ألقاب ، قائلًا : « **بولس عبد ليسوع المسيح ، المدعو رسولًا ، المفرز لإنجيل الله** » ع ١ .

اللقب الأول هو « عبد doulas » ، ولعله إبتدأ بهذا اللقب لأنه يكتب إلى أناس يثيرون تفرقة عنصرية بين اليهود المتنصرين والأمميين المتنصرين ، فإن كان هو عبداً ليسوع المسيح ، ففى هذا يتساوى جميع المؤمنين ...إذ الكل عبيد للسيد المسيح ، أيا كان أصلهم أو ديانتهم السابقة .

كان أتقياء العهد القديم يعتزون بهذا اللقب بكونهم « عبيد يهوه » (مز ٢٧ : ٩ ؛ ٣١ : ١٦ ، ٨٩ : ٥٠) ، والآن إذ صار الكل فى المسيح يسوع يتمتعون ببره وتقواه ، يتأهلون لهذا اللقب « عبيد ليسوع المسيح » ، ويفخرون به دون سواه ، الأمر الذى يشترك كل الأعضاء فيه .

هذا وقد كان هذا اللقب يُنسب بالأكثر لمن قاموا بدور فى تاريخ الخلاص خلال خدمتهم ليهوه ، مثل موسى (٢ مل ١٨ : ١٢) ، ويشوع (قض ٢ : ٨) ، وإبراهيم (مز ١٠٥ : ٤٢) ، وكأن بولس كرسول وهو مفرز لإنجيل الله يقوم بدور فى تاريخ الخلاص هو إمتداد للدور الذى قام به آباء وأنبياء العهد القديم ... لذا يليق باليهود المتنصرين أن يسمعوا ويتقبلوا رسالته بلا غضاضة .

أما اللقب الثانى فهو : « **المدعو رسولًا** » ... لم يقل « رسول » بل « المدعو رسولًا » ، لأن موضوع هذه الرسالة هو « دعوة الأمم للايمان » كما سبق فدُعى اليهود قديماً للإيمان ؛ فإن كان القديس بولس يشعر بالفضل لله الذى دعاه للرسولية ، فإنه حتى فى إيمانه القديم كان مدعواً ، وفى قبوله الصليب يحسب نفسه « مدعواً » ... كأن لا فضل لنا فى إيماننا كما فى شهادتنا للرب ـــ أيا كان مركزنا الكنسى ـــ إنما يرجع الفضل للذى دعانا .

اللقب الثالث : « **المفرز لإنجيل الله** » ... هذا اللقب « المفرز » فى الأرامية « بريسى » أو « فريسى » ، وتعنى « منفصل » ، وكأن فريسيته الأولى قد مهدت لفريسية من نوع جديد ، لا فريسية الحرف القاتل القائمة على الإعتداد بالذات والكبرياء.، إنما هى « فريسية روحية » تقوم على التكريس والفرز للتفرغ للكرازة لحساب إنجيل الخلاص للعالم كله .

كأنه بهذه الألقاب الثلاثة يعلن القديس بولس أنه « **عبد** » ، حياته هى إمتداد لحياة عبيد الله العاملين فى العهد القديم خلال تاريخ الخلاص ، يقوم بالعمل الرسولى **بدعوة** إلهية وليس من عندياته ، لا عمل له ولا هدف سوى تقديم **إنجيل** الله لكل أحد إن أمكن !

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه الألقاب الثلاثة ، قائلًا : [« **بولس عبد ليسوع المسيح** » ... إنه يدعو نفسه عبداً للمسيح ، ليس بطريقة واحدة ، إذ توجد أنواع من العبودية . هناك عبودية أساسها الخلقة ، كما قيل : « لأن الكل عبيدك » مز ١١٩ : ٩١ ، وأيضاً : « نبوخذراصر عبدى » أر ٢٥ : ٩ ، لأن المخلوق عبد لخالقه أو صانعه . توجد أيضاً عبودية من نوع آخر تنبع عن الإيمان ، إذ قيل : « فشكراً لله انكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التى تسلمتموها ، وإذ أُعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر » رو ٦ : ١٧ ، ١٨ . نوع آخر يقوم على الخضوع للعمل ، كما قيل : « موسى عبدى قد مات » يش ١ : ٢ . حقاً كان كل الاسرائيليين عبيداً ، لكن موسى كان عبداً بطريقة خاصة يتلألأ ببهاء شديد فى الجماعة . هكذا كان بولس عبداً بكل هذه الأشكال (الثلاثة) من العبودية العجيبة ، وقد وضعها كلقب مكرم ، قائلًا : « بولس عبد ليسوع المسيح » ... « **المدعو رسولًا** » ، معطياً لنفسه هذا الطابع فى كل رسائله : « المدعو » ، مظهراً إخلاصه ، وأنه قد وُجد ليس خلال سعيه الذاتى ، إنما دُعى فجأ وأطاع . هكذا أيضا يعطى نفس الطابع للمؤمنين بقوله أنهم « مدعوون قديسين » . ولكن بينما هم مدعوون ليصيروا مؤمنين نال هو بجانب هذا أمراً مختلفاً يسمى « الرسولية » ؛ هذا الأمر مشحون بالتطويبات غير المحصية ، أعظم وأسمى من كل العطايا ... إذ يتحدث بولس بصوت عالٍ ويمجد العمل الرسولى ، قائلًا : « إذاً نسعى كسفراء عن المسيح ، كأن الله يعظ بنا » ٢ كو

٥ : ٢٠ ، بمعنى اننا نحمل دور المسيح (سفراء عنه) . « **المفرز لإنجيل الله** » ، كما فى البيت يقوم كل واحد بعمل مغاير ، هكذا فى الكنيسة ، توجد خدمات متنوعة تُوزع . وهنا يبدو لى انه يلمح إلى انه لم يُقم لهذا العمل بإختيار الجماعة فحسب وإنما عُين منذ القديم لهذا العمل ، الأمر الذى يتحدث عنه أرميا قائلًا بأن الله قال عنه : « قبلما خرجت من الرحم قدستك ، جعلتك نبياً للشعوب » أر ١ : ٥ . فإذ يكتب الرسول إلى مدينة تتسم بالمجد الباطل ، كل واحد فيها يفتخر متعالياً ، لذلك يكتب بكل وسيلة ليظهر أن إختياره (للرسولية) كان من قبل الله ؛ الله هو الذى دعاه وهو الذى أفرزه (١٤)] .

ثانيا : يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على قوله : « **المفرز لإنجيل الله** ، قائلًا [إنه يقول « إنجيل الله » لكى يفرّح السامعين منذ البداية (لأن كلمة انجيل تعنى بشارة مفرحة) ، فقد جاءهم بأخبار لا تحزن ملامحهم كما سبق ففعل الأنبياء خلال التوبيخات والاتهامات والإنتهار ، إنما بأخبار سارة ، أى « انجيل الله » ، الحاوى للكنوز غير المحصية ذات البركات الثابتة غير المتغيرة (١٥)] .

ثالثاً : يستخدم **القديس أمبروسيوس** هذه العبارة مع عبارات أخرى (٢ كو ١٣ : ١٤) للرد على الأريوسيين الذين نادوا بأن الآب أعظم من الإبن مدللين على ذلك بأن الآب يُذكر أولًا فى الترتيب ، وههنا الرسول يذكر الإبن قبل الآب ، إذ يقول : « عبد ليسوع المسيح » أولا ثم « المفرز لإنجيل الله » ... هذا علامة على وحدة اللاهوت (١٦) .

وفى نفس المقال يقول بأن الرسول بولس الذى يمنعنى من التعبد للخليقة أجده هنا يحثنى على التعبد للسيد المسيح ، إذ يدعو نفسه « عبد ليسوع المسيح » ، مظهراً أنه الخالق وليس مخلوقاً (١٧) .

رابعاً : إن كان الرسول يلتزم بصّد حركة التهود المعطلة لإنجيل الله وسط الأمم ، فقد أراد أن يؤكد لليهود المتنصرين أنه لا يحمل أفكاراً غنوصية كتلك التى حملها البعض والتى ظهرت بالأكثر فى مرقيون فيما بعد فى القرن الثانى حيث تجاهل العهد القديم بل وإستخف به . لقد أراد الرسول أن يُبرأ نفسه من هذه الأفكار الخاطئة ، فأعلن أن « إنجيل الله » الذى أُفرز له ليس إلا تحقيقاً لخطة الله الخلاصية القديمة التى يمثل

العهد القديم جزءاً منها ، إذ يقول : « **الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة** » ع **٢** ؛ فما يكرز به إنما هو شهوة رجال وأنبياء العهد القديم وتحقيق لنبواتهم المقدسة .

إن كان محور إنجيله هو « المسيح إبن الله » ، فإن هذا القدوس هو أيضاً مركز خدمة رجال العهد القديم ، عنه تنبأ الأنبياء ، وبه جاءنا الوعد فى الكتب المقدسة (العهد القديم) . أو ربما أراد أن يؤكد لهم أنه لن ينسى أن منهم جاء الأنبياء ولهم قد سُلمت الشريعة والكتب المقدسة التى هيأت الطريق للمسّيا المخلص .

يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** هكذا : [إذ يريد الله أن يصنع أعمالًا عظيمة علانية يسبق فيعلن عنها زماناً طويلًا ليهيىء مسامع البشر لقبولها عندما تتحقق . يقول « **فى الكتب المقدسة** » ، لأن الأنبياء لم يتكلموا فقط وإنما كتبوا مانطقوا به ، بل وقدموا ظلالًا لها خلال الأعمال مثل إبراهيم الذى رفع إسحق ، وموسى الذى رفع الحية ، وبسط يديه ضد عماليق ، وقدم خروف الفصح [١٨]] .

خامساً : لما كانت الرسالة فى مجملها هى إعلان عن « إنجيل الله » ، لذلك عرفّه هنا فى المقدمة بقوله : « **عن إبنه ، الذى صار من نسل داود من جهة الجسد ، وتعيَّن إبن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا** » . إنجيلنا إذن هو قبول « ربنا يسوع المسيح » ، الذى يكرر الرسول مؤكداً أنه « إبن الله » ، إذ خلاله ننال البنوة لله . هو الإبن الذى بإتحادنا فيه ننتقل من مركز العبيد إلى « الأبناء » بالمعمودية ، لنحسب موضع رضا الآب وسروره ... وهذا هو مركز الرسالة كلها .

وهذا أكد نسب المسيح لداود من جهة الجسد ، أولًا لكى يشجع اليهود على متابعة حديثه ، إذ لا يتجاهل أن مخلص العالم كله جاء متجسداً منهم ، ومن جهة أخرى ليؤكد أن فيه تحققت النبوات خاصة بكونه إبن داود الملك ليجلس على كرسى أبيه خلال ملكوت روحى سماوى (مت ٢١ : ٩ ، يو ١٢ : ١٣ ، لو ١ : ٣٢ ، ٢ تى ٢ : ٨) . وكما يقول **القديس كيرلس الأورشليمى** : [تقبل إذن المولود من ذرية داود وأطع النبوة القائلة : « ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية

للشعوب إياه تطلب الأمم » إش ١١ : ١٠ [١٩]] .

هذا هو نسل داود الذى قيل عنه : « أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته ، هو يبنى بيتاً لإسمى وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد » ٢ صم ٨ : ١٢ ، ١٣ . وكما يقول **القديس أغسطينوس** [٢٠] ن نسل داود الذى بنى البيت الإلهى ليس سليمان بل السيد المسيح إذ أقام هيكل الله غير المصنوع من خشب وحجارة بل من البشر ، أى من المؤمنين الذين قال عنهم الرسول : « أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم ؟ ! » ١ كو ٣ : ١٦ ، لأن السيد المسيح لا سليمان هو الذى تثبت مملكته الى الأبد حسب هذا الوعد الإلهى (٢ صم ٨ : ١٣) .

أما كلمة « تعيّن » فكما يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** وغيره من الآباء الشرقيين فتعنى « أُعلن » أو « أُظهر » ؛ فالكنيسة الأولى كانت ترى أنه لم يكن ممكناً أن يعلن عنه كمسيّا ورب إلا بعد قيامته (أع ٢ : ٣٤ ــ ٣٦ ؛ فى ٣ : ١٠ ، ١ كو ١٥ : ٤٥) ... هذا ما رأيناه بوضوح فى دراستنا للإنجيل بحسب مرقس ، إذ كان السيد نفسه يخفى لاهوته ويؤكد لتلاميذه ألا يعلنوا عن شخصه حتى يقوم . قيامته هى الدليل القاطع على بنوته الطبيعية لله . وكما يقول **القديس ذهبى الفم** : [بماذا إذن « أُعلن » عنه ؟ لقد أُظهر وأُعلن عنه وأُعترف به خلال مشاعر الكل وشهادتهم ، وذلك بواسطة الأنبياء ، وخلال ميلاده حسب الجسد بطريقة عجيبة ، وبقوة العجائب ، وبالروح الذى به يهب التقديس ، وبالقيامة التى بها وضع نهاية لطغيان الموت [٢١]] .

سادساً : يقول **القديس ذهبى الفم** ان الرسول إذ ذكر انه مفرز لإنجيل الله ، تحدث عن تجسد إبن الله خلال نسل داود حتى نقبله فيرتفع بنا إلى أسراره السماوية . بدون التجسد الإلهى والإتضاع لا نقدر أن نرتفع معه إلى سمواته ، اذ يقول : [من يريد أن يقود البشر بيده إلى السماء ، يلزم أن يرتفع بهم من أسفل ، وهكذا كان عمل التدبير (الإلهى) . فقد نظروه أولًا إنساناً على الأرض وعندئذ أدركوا أنه الله . بنفس الإتجاه إذ شكّل (السيد) تعاليمه هكذا استخدم تلميذه ذات الطريق ليقودنا إلى هناك [٢٢]] .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [من جهة الجسد صار من نسل داود ، لكنه هو الله المولود من الله (الآب) قبل العوالم [٢٣]] .

يقول أيضا **القديس غريغوريوس النزينزى** : [لقد دعى من نسل داود ؛ ربما بهذا تظن ان الرجل قد كُرم (لأنه جاء رجلًا ومنتسباً إلى رجل) ، لكنه وُلد من عذراء وبهذا تُكرم المرأة من جانبها [٢٤]] .

سابعاً : بعد أن سجل إسم الراسل وألقابه خلال دعوته للرسولية وعمله الإنجيلى كاشفاً عن مفهوم الإنجيل الإلهى الذى أفرز له ، سجل إسم المرسل إليهم ومركزهم من هذه الرسالة الإلهية ، قائلًا : « **الذى به لأجل إسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان فى جميع الأمم ، الذين بينهم أنتم أيضاً مدعوو يسوع المسيح ، إلى جميع الموجودين فى رومية أحباء الله مدعوين قديسين** » ع **٥ ـــ ٧** .

قبل أن يدخل معهم فى حوار بخصوص النزاع القائم بين اليهود المتنصرين والأمم المتنصرين أخذ يشجع الكل معلناً للجميع أن ماناله القديس بولس إنما هو من قبيل نعمة الله المجانية كهبة مقدمة لا لفضل فيه ولا فيهم كيهود أو أمم وإنما لأجل إسمه ، إذ يقول : « لأجل إسمه قبلنا نعمة ورسالة (رسولية) » .

إن كانت هذه الرسالة تكرر الحديث عن نعمة الله ، سواء فى حياة الرسول ، إذ نقلته لا من عدم الإيمان إلى الإيمان فحسب وإنما من مضطهد إلى كارز ورسول ، أو فى حياة المخدومين من يهود وأمم ، فإن الرسول لم يقدم لنا تعريفاً عن « النعمة » ، إنما حديثا عن قوة النعمة وفاعليتها فى حياة الكنيسة وكل عضو فيها . وكأن الرسول لم يرد أن يشغلنا بتعاريف نظرية وفلسفات فكرية إنما أراد لنا معرفة التلامس الحقيقى والتمتع الواقعى بهذه الأمور . هذا هو أيضاً منهج الكنيسة الشرقية كما سبق فرأينا عند عرضنا « للنعمة » عند العلامة أوريجانوس [٢٥] .

ما هى هذه النعمة إلا عطية الله المجانية ، عطية الآب الذى فى محبته قدم إبنه الحبيب مبذولًا عن خلاص العالم (يو ٣ : ١٦ ، رو ٨ : ٣٢) ، نعمة الإبن الوحيد الذى أحبنى وأسلم ذاته لأجلى ، كما أرسل لنا روحه المعزى من عند الآب يشهد له فى حياتنا (يو ١٥ : ٢٦) يعلمنا كل شيء ويذكرنا بكل ما قاله لنا (يو ١٤ : ٢٦) ، كما إرتبطت النعمة بالروح القدس ، فإن كان الروح هو واهب

العطايا ، لكنه فى نفس الوقت هو عطية ، إذ صار ساكناً فينا ، حالًا فى داخلنا بكوننا هياكل الله وروح الله ساكن فينا .

الآب يعلن نعمته خلال تدبير الخلاص ، والابن يعلن ذات النعمة خلال حمله الصليب عنا ، والروح القدس يقدم ذات النعمة بسكناه فينا لنقبل عمل المسيح الخلاصى فى حياتنا .

هذه هى النعمة الإلهية المجانية التى تعمل فى الكنيسة ، لتهب الكل العضوية فى الجسد الواحد ، لكن لكل عضو تمايزه دون إنفصال عن الرأس أو بقية الأعضاء ، ولكل عضو بالنعمة خدمته ومواهبه ، فقد ميّز الروح القديس بولس بالرسولية لأجل الكرازة والرعاية . هذه العطية « الرسولية » دفعته أن يكتب لهم كما لغيرهم بسلطان لكى يحقق عمل النعمة الإلهية فيه وفيهم .

ثامناً : إن كان الروح القدس قد ميّز القديس بالرسولية فإنه بنعمته صار يعمل فى سامعيه لا للدخول فى مناقشات ومجادلات وانما لقبول الإيمان فى طاعة وخضوع : « **لإطاعة الإيمان فى جميع الأمم** » ع ٥ . هذا هو عمل النعمة الإلهية أو عمل الروح القدس نفسه فى المخدومين . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [أنظروا صراحة العبد ، فإنه لا يود أن ينسب شيئاً لنفسه بل لسيده ، فإن الروح بالحق هو الذى يهب هذا . لذلك يقول السيد : « إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق » يو ١٦ : ١٢ ... وجاء فى الرسالة إلى أهل كورنثوس : « فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخر كلام علم » ١ كو ١٢ : ٨ ، « الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء » ١ كو ١٢ : ١١][٢٦] .

إذن نعمة الله التى قدمت للقديس بولس « الرسولية » هى التى تعمل لطاعة الإيمان لا فى اليهود وحدهم ، وانما « فى جميع الأمم » .

هذا ويرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن قوله « فى جميع الأمم » يكشف ان الرسول إذ يتكلم عن عمل النعمة فيه كرسول إنما يضم معه بقية الرسول ، إذ تعمل النعمة فى الكل لأجل جميع الأمم ، أو ربما يقصد انه وإن كان لا يعمل هنا فى جميع

الأمم فانه حتى بعد موته لا يكف عن العمل فى جميع الأمم . وربما يقصد ذهبى الفم أن الرسول يبقى فى الفردوس خادماً بحبه لخلاص العالم وبصلواته غير المنقطعة من أجل الكل .

تاسعاً : دعاهم « **مدعوى يسوع المسيح** » ، فالفضل لمن « دعانا » مجاناً لنعمته ... كما دعاهم « مدعوين قديسين » . فإن كان شعب إسرائيل قد دُعى قديماً بالجماعة المقدسة (حز ١٢ : ١٦ ؛ لا ٢٣ : ٢ — ٤٤) بكونهم الشعب المفرز لله القدوس (لا ١١ : ٢٤ ، ١٩ : ٢) ، فإن هذا الشعب قد فشل فى تحقيق القداسة إلا من خلال الرموز والنبوات ، أما الآن فقد جاء مسيحنا القدوس يدعونا للدخول فيه والثبات فيه فنحسب به أبراراً وقديسين .

ولعل الرسول فى أبوته الحانية أراد أن يوضح نظرته لهم ، انه يحترمهم ويقدرهم لأنهم « مدعوو يسوح المسيح » ع ٦ ، « أحباء الله » ع ٧ ، « مدعوون قديسين » ع ٧ ... ، كأنه يفتخر أن يكون خادماً لهم !

يحسب **القديس يوحنا ذهبى الفم** أن هذه الدعوة للقداسة هى كرامة فائقة ترافق المؤمنين حتى بعد عبورهم الحياة ، إذ يقول : [الكرامات الأخرى تُعطى لزمان ثم تنتهى مع الحياة الحاضرة أما هذه فيمكن أن تُقتنى بمال ... أما الكرامات التى يهبها الله ، أى عطية التقديس والتبنى ، فلا يقدر حتى الموت أن يحطمها . إنها تجعل البشر مشهورين هنا ، كما ترافقنا فى رحلتنا إلى الحياة العتيدة [٢٧]] .

هذا وسّر تقديسنا هو قبول « النعمة والسلام » ع ٥ ... فقد كانت كلمة « نعمة » هى تحية اليونانيين [٢٨] ، و « سلام » أو « شاوم » هى تحية العبرانيين ؛ أما وقد صار الكل جسداً واحداً فلم يقبلوا « النعمة والسلام » من بعضهم البعض إنما تمتعوا بهما كعطية إلهية للجسد الواحد الذى يضم اليونانين واليهود معاً . تقبلوا نعمة الله الفائقة أى عطاياه المجانية والتى تتجلى فى سكنى الله نفسه فى داخلهم ليعلن ملكوته فيهم باستحقاقات دم الصليب ، وسلامه السماوى الذى يوّحد الانسان مع خالقه والجسد مع الروح والانسان مع أخيه ، أيا كان جنسه !

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول بحكمه يبدأ بالنعمة ثم بالسلام ، إذ لا نستطيع أن ننعم بالسلام الداخلى ، بعد أن دخلنا خلال عصياننا فى حرب روحية شرسة مالم تعمل نعمة الله فينا لتهبنا بالمسيح يسوع روح الغلبة والنصرة ، فنعيش فى سلام حقيقى ، كأبناء لأب سماوى . هذه هى عطية الله لنا ، ونعمته التى تسندنا فى هذا الزمان الحاضر وترافقنا حتى تدخل بنا إلى الحضن الأبوى أبدياً . يقول القديس :

[إنها تحية تقدم لنا بركات بلا حصر .

هذا (السلام) هو ما أمر به المسيح الرسل أن يستخدموه كأول كلمة ينطقون بها عندما يدخلون البيوت (لو ١٠ : ٥) . لهذا يبدأ الرسول بالنعمة والسلام . فقد كانت توجد حرب ليست بهينة ، وضع المسيح لها نهاية ؛ كانت بالحقيقة حرباً متنوعة من كل صنف إستمرت زمناً طويلاً ، وقد إنتهت خلال نعمة المسيح وليس بمجهوداتنا الذاتية .

الحب جلب النعمة ، والنعمة جلبت السلام ، لذلك جاء ترتيب التحية لائقاً (النعمة والسلام) ، طالباً لهم أن يعيشوا فى سلام دائم غير متزعزع ، حتى لا يشتعل لهيب حرب أخرى ، سائلًا الله أن يحفظ لهم هذه الأمور ثابتة ، قائلًا : « **نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح** » ع ٧ ...

عجباً ! يالقدرة حب الله ، نحن الذين كنا قبلًا أعداء ومطروحين صرنا قديسين وأبناء ! فإنه إذ يدعو الله « أبانا» يظهرهم أبناء له ، وعندما يدعوهم أبناء يكشف عن كنز البركات كلها (٢٩)] .

السلام هو عطية الله التى يلزم أن نطلبها بالصلاة ، فيهبها لنا إن صارت لنا الإرادة المقدسة ، وكما يقول **القديس جيروم** : [يلزمنا أن نقتنى السلام بالصلاة ، هذا الذى يوجد ليس بين الجميع ، بل بين من لهم الإرادة الصالحة ... « لأن مسكنه (الله) فى السلام » مز ٧٦ : ١٠] .

لاحظ **القديس أمبروسيوس** أن النعمة والسلام قد نُسبا للآب كما للسيد المسيح ، إذ يقول : [ها أنتم ترون إننا نقول بأن نعمة الآب والإبن واحدة ، وسلام

الآب والإبن واحد ، لكن هذه النعمة وهذا السلام هما ثمر الروح كما يعلمنا الرسول نفسه ، قائلًا : « وأما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة » غلا ٥ : ٢٢ [(٣٠)] .

٢ ــ إفتتاحية تشجيعية

تكشف إفتتاحية هذه الرسالة كما فى باقى الرسائل عن جانب هام من منهج الرسول بولس فى خدمته ومعاملاته ، فإنه بروح الحكمة يشجع ويسند ، حتى إن أراد أن يحاور أو يوبخ ، فإن كان يكتب فى جوهر الرسالة عن مشكلة حركة التهود التى سببت متاعب كثيرة للكنيسة ، لكن بروح الحب يكسب من يوجه إليهم رسالته ، إذ يعلن فى الإفتتاحية الآتى :

أولا تزكيته لإيمانهم : « **أولًا أشكر إلهى بيسوع المسيح من جهة جميعكم ان إيمانكم ينادى به فى كل العالم** » ع ٨ . يبدأ بالجانب الإيجابى لا السلبى ، فلا يتحدث مثلًا عن خطورة حركة التهود ولا عن ضعفات هذا الشعب ، إنما يعلن تزكيته لإيمانهم الذى صار علة كرازة فى كل العالم مقدماً الشكر لله بإبنه يسوع المسيح . هذا المنهج أساسى فى اللاهوت الرعوى .. أن نشجع أولًا ونسند ، مبرزين الجوانب الحية والناجحة فى حياة المخدومين قبل الجوانب السلبية والخاطئة .

يقدم الشكر للآب إلهه كعبادة حية ، يقدمه فى يسوع المسيح ، لكى يكون مقبولًا ...إذ نقدر أن نلتقى مع الآب ولا أن نقدم له ذبيحة حب وشكر إلا خلال رأسنا يسوع المسيح موضع سروره .

وقد إستلفت نظر **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى تسبحة الشكر هذه أمران :

(أ) ان الرسول بولس يقدم باكورة أعماله وكلماته تسبحة شكر لله ، فيبدأ رسائله بالشكر ، والعجيب انه لا يشكر الله على عطاياه له فحسب وإنما على عطاياه للآخرين ، حاسباً ما يتمتع به الآخرون يتمتع هو به ... لذا يشكر الله هنا من أجل إيمانهم هم وكأنه مكسب له . يقول **إبن كاتب قيصر** فى تفسيره للرسالة إلى أهل رومية : [هذا هو أول الرسالة . كان الشكر لمقدم النعم واجباً ، وكان هو أكثر منهم معرفة بقدر هذه النعمة التى وهبت لهم ، خاصة أنه يجد فى إيمانهم نجاحاً

لسعيه ، إذ لم يسع إلا ليؤمنوا ، لذلك قدم الشكر عنهم بسبب إيمانهم ، ليعلمنا ان نفتتح أقوالنا وأفعالنا بالشكر] .

(ب) ينسب الله إلى نفسه ، إذ يقول **القديس ذهبي الفم** : [بأية مشاعر يقدم الشكر ، إذ لا يقول : « الله » بل « إلهى » ، الأمر الذى يفعله الأنبياء أيضاً ، حاسبين ماهو عام للكل كأنه خاص بهم . وأى عجب إن فعل الأنبياء هكذا ؟ ! فإن الله نفسه يفعل هذا دائماً وبوضوح فينسب نفسه لعبيده ، قائلًا أنه إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ، كما لو كان خاصاً بهم [٣١]] .

ثامناً : بجانب كشفه عن جوانب نجاحهم يعلن حبه نحوهم بالصلاة من أجلهم ، مشهداً الله نفسه على أعماقه المتسعة نحوهم : « **فإن الله الذى أعبده بروحى فى إنجيل إبنه شاهد لى كيف بلا إنقطاع أذكركم** » ع ٩ .

لم يكن ممكناً أن يذكر المخدومين ـــ حتى وإن كان لم ينظرهم بعد حسب الجسد ـــ بالصلاة الدائمة غير المنقطعة لو لم يكن قلبه وفكره وكل طاقاته قد تكرست وأُفرزت لله ، هذا ماعناه بقوله « أعبده بروحى » ، أى أضع نفسى بكل طاقاتى الروحية والنفسية والجسدية للعبادة لله والتمتع بإنجيله .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة موضحاً نقطتين ، هما :

(أ) أن الرسول وهو يكرز بالإنجيل يعبد الله بالروح والحق : [لأن طريق خدمتنا ليس بخراف وتيوس ولا بدخان وشحوم وانما بنفس روحية ، كقول المسيح : « الله روح والذين يسجدون لله فبالروح والحق ينبغى ان يسجدوا » يو ٤ : ٢٤ [٣٢]] .

(ب) أنه يخدم إنجيل الإبن الذى هو بعينه إنجيل الآب : [قال قبلًا أنه إنجيل الآب ، أما هنا فيقول إنجيل الإبن ، فلا إختلاف بين القولين ، إذ تعّلم الرسول من الصوت الطوباوى ان ما للآب هو للإبن ، وما للإبن هو للآب ، إذ قيل : « ماهو لى فهو لك ، وما هو لك فهو لى » يو ١٧ : ١٠ [٣٣]] .

ثالثاً : حبه مترجم عملياً ليس فقط بذكرهم المستمر بلا إنقطاع فى صلواته وإنما بشوقه الحقيقى لرؤيتهم ليهبهم « هبة روحية » هى إنجيل المسيح ، الذى يثبتهم ويعزيهم

كما يعزيه هو أيضاً ، الإنجيل الذى يفرح قلب السامعين والكارزين معاً ، إذ يقول : « **متضرعاً دائماً فى صلواتى عسى الآن أن يتيسر لى مرة بمشيئة الله أن آتى إليكم ، لأنى مشتاق أن أراكم لكى أمنحكم هبة روحية لثباتكم ، أى لنتعزى بينكم بالإيمان الذى فينا جميعاً إيمانكم وإيمانى » ع ١٠ — ١٢ .**

إنهم بالحق موضوع حبه يشغلون فكره وخطته وصلواته وأيضا تصرفاته من أجل غاية واحدة : تمتعهم بالهبة الروحية الإلهية ، إنجيل الله ! وقد حقق الله للرسول شوقه الروحى المقدس لكن بخطة إلهية فائقة ، إذ ذهب إليها كأسير من أجل الانجيل بعد أن تعرض لضيقات كثيرة كإنكسار السفينة به (أع ٢٧ : ٤٣) ، ليقف أمام كرسى قيصر (أع ٢٨) .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على كلمات الرسول هذه لأهل رومية مبرزاً حب الرسول الشديد للكرازة خاصة [illegible] الأمم ، لكن فى حكمة الروح يلّح فى الطلب بلا إنقطاع مسلماً **الأمر** بين [illegible] العارف ما هو لبنيان الكنيسة ، إذ يقول : [تضرعه الدائم دون توقف [illegible] عدم نواله [illegible] يكشف عن حبه الشديد لهم . لكنه وهو يحب مستمر فى تضرعه لمشيئة [illegible] عظيم [illegible] عظمتنا [illegible] فى موضع آخر يقول : « تضرعت إلى الرب ثلاثة مرات » ٢ كو ١٢ : ٨ ، وليس فقط لم ينل طلبته ، إنما قبل عدم نواله [illegible] الطلبة بشكر شديد ، ففى كل الأمور كان ينظر إلى الله . هنا نال الرسول لكنه لم ينل عندما طلب بل فى وقت متأخر ، ومع هذا لم يكن متضايقاً . أشير إلى هذه لكى لا نتبرم نحن عندما لا يُستجاب لنا أو عندما تأتى الإستجابة ببطىء ، فإننا لسنا أفضل من بولس الذى كان يشكر فى الأمرين ، مسلماً نفسه فى يدّ مدبر الكل ، خاضعاً له تماماً ، كالطين فى يدّ الخزاف ، يسير حيثما يقوده الله [٣٤]] .

[illegible] رسول ليس فقط خاضعاً لمشيئة [illegible] إلى [illegible] من حبه الشديد لإفتقادهم [illegible] روحية » [illegible] الله » ، وإنما أعلن الرسول إتضاعه [illegible] بقوله : « لنتعزى بينكم **بالإيمان الذى فينا جميعاً إيمانكم وإيمانى » ع ١٢ .**

فى إتضاع صادق بلا تزييف يشعر الرسول أنه محتاج إلى مخدوميه ، فهو يفتقدهم ليس فقط لكى يرشد ويعلم ويوصى ، وإنما أيضا ليتعزى بإيمانهم . هم محتاجون إلى نعمة الله العاملة فيه وهو محتاج إلى إيمانهم وتعزيتهم .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [يا لعظم إتضاع فكره ! لقد أظهر نفسه أنه فى حاجة إليهم وليسو هم فقط المحتاجين إليه . يضع التلاميذ موضع المعلمين ، غير حاسباً نفسه أعلى منهم بل مقدماً كال مساواتهم له ، لأن النفع مشترك ، يقصد انه يتعزى بهم وهم به . كيف يتحقق ذلك ؟ « بالإيمان الذى فينا جميعاً ، إيمانكم وإيمانى » . وذلك كما فى حالة النار ، فإن أضاف إنسان مشاعل إلى بعضها البعض يشتعل بالأكثر اللهيب ويتقد الكل ؛ هذا أيضاً يحدث بين المؤمنين طبيعياً [٣٥]] . كما يقول أيضاً : [يقول هذا لا كمن هو فى حاجة إلى أى عون منهم ، وإنما لكى لا تكون لغته ثقيلة عليهم وتوبيخه عنيفاً ، لهذا يقول أنه فى حاجة إلى تعزياتهم . ربما يقول أحد أن تعزيته تكمن فى فرحه بنمو إيمانهم ، هذا هو ما يحتاج إليه بولس ، هذا المعنى ليس بخاطىء [٣٦]] .

يقول **إبن كاتب قيصر** أن كلمة التعزية هنا تعنى الفرح والسرور ، هو يتعزى لأنه كان مضطهداً وصار رسولًا مبشراً دُعى لهذا الرجاء الصالح ، وهم يفرحون إذ كانوا قبلًا فى ضلالة عبادة الشياطين وصاروا أولاد الله ، عابدين له ، مترجين ملكوته الأبدى .

خامساً : يرى **القديس أكليمندس الاسكندرى** فى حديث الرسول هنا التعزية التى ينالها كما ينالونها هم خلال الإيمان المشترك ، إنما يعنى أن الإيمان يحمل حركة نمو مستمر [٣٧] ، إذ يرى أن هناك إيماناً مشتركاً يكون أساساً خفياً فى حياة جميع المؤمنين ، هذا الإيمان لا يحمل جموداً بل حركة نمو مستمرة ، لذا طلب التلاميذ من السيد المسيح : « زد إيماننا » . بمعنى آخر يمكننا أن نقول بأن الإيمان حركة حياة ديناميكية غير جامدة ، يعيشها المؤمن كل يوم منطلقاً من خبرة معرفة عملية وتلاقٍ مع المسيح إلى خبرة أعمق ، ومن قوة إلى قوة ، ومن مجد داخلى إلى مجد ... مشتاقاً كل يوم أن يبلغ إلى قياس قامة ملء المسيح كقول الرسول بولس .

سادساً : إذ يعلن حبه عملياً بشوقه لزيارتهم بل ومحاولاته العملية وقد مُنع حتى لحظات الكتابة ، يكشف عن رسالته ، بقوله : « **ليكون لى ثمر فيكم أيضاً كما فى سائر الأمم . إنى مدين لليونانيين والبرابرة ، للحكماء والجهلاء ، فهكذا ماهو لى مستعد لتبشيركم أنتم الذين فى رومية أيضاً ، لأنى لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولا ثم لليونانى ، لأن فيه معلن بّر الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب : أما البار فبالإيمان يحيا** » ع ١٣ ــ ١٧ .

(أ) إن كان الرسول قد صار له ثمر متكاثر فى أمم كثيرة لكنه مترقب الثمر أيضا فى روما بكونها عاصمة العالم الرومانى الأممى ، حاسباً الكرازة بينهم وثمرهم هو تحقيق ونجاح لمهمته الرسولية ؛ مستعد للعمل مهما بلغ الثمن [٥] خجل .

إن كانت روما كعاصمة للدولة الرومانية فيها تصب كل الشعوب أوثانها ورجاساتها وما يحملونه من إنحطاط ، فقد كانت مرآة للعالم الوثنى بكل شروره وبؤسه ، موضع غضب الله ، لذا أراد الرسول أن تكون هذه المدينة هى بعينها مركزاً للخدمة ، مقدماً لها مفهوم إنجيل الله فى كمال قوته [٣٨] . بمعنى آخر يودّ الرسول أن يخدم حيث يزداد بالأكثر الشرّ ، إذ لا يريد الطريق السهل المتسع ، بل الضيق الكرب لكى تعلن قوة الإنجيل بالأكثر ، ويظهر عمل النعمة الإلهية وفاعليتها بأكثر وضوح . هذا ما نستنبطه من قوله : « ماهو لى مستعد لتبشيركم » ، بمعنى انه مستعد لإحتمال كل ضيق وألم من أجل تقديم كلمة الإنجيل ، إذ كان الرسول يدرك ان الكرازة بينهم تستوجب أتعاباً كثيرة . لذلك يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [يالها من نفس نبيلة ! لقد وضع الرسول على عاتقه أن يقوم بعمل ذى مخاطر عظيمة ، إذ يقوم برحلة عبر البحر تعترضها تجارب ومكايد ... ومع توقعه لإحتمال هذه الأتعاب العظيمة لم يقلل هذا الأمر من همته بل كان يسرع مجاهداً ، مستعداً بذهنه لإحتمالها [٣٨]] .

(ب) كان القديس بولس يخجل من الصليب قبل أن يلتقى بالمصلوب الممجد ، حاسباً الصليب عاراً لا يليق بالمسيا ملك اليهود ، أما الآن فقد أدرك أنه قوة الله للخلاص يلزم أن يكرز به للجميع .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على كلمات الرسول قائلًا :

[انه يقول لأهل غلاطية : « حاشا لى أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح » غلا ٦ : ١٤ . كان الرومانيون شديدى التعلق بالزمنيات بسبب غناهم وإمبراطوريتهم وكرامتهم ، فكانوا يحسبون ملوكهم فى مصاف الآلهه حتى اقاموا لهم المعابد وقدموا لهم القرابين ، وهم يتشامخون بهذا . اما بولس فكان يود ان يكرز لهم بيسوع الذى ظنوا انه ابن نجار نشأ فى اليهودية ، فى بيت امرأة فقيرة لا يحيط بها الخدم والحشم ثم مات ميتة اللصوص والمجرمين ، متحملًا اصناف السخرية والاهانات ، الأمور التى حاول (بعض الرومانيون الذين تنصروا) الإختباء منها قبل ادراكهم عظمة هذه الأمور غير المنطوق بها : لهذا يقول الرسول انه لا يستحى ، إذ كان يعلمهم هم أيضاً ألا يستحوا من هذه الرسالة المجيدة ، حتى اذا مابدأ هكذا بعدم الاستحياء ينتهى بهم إلى الإفتخار أيضاً . فإن سألكم أحد : أتعبدون المصلوب ؟ لا تستحوا ، ولا تنظروا إلى الأرض بل إرفعوا رؤوسكم ... أجيبوا بإعتزاز ، نعم نعبده ! ... الصليب بالنسبة لنا هو عمل المحبة اللانهائية نحو البشر ، وعلامة عناية الله غير المنطوق بها [٣٩]] .

(جـ) أدرك الرسول أن الانجيل أو الكرازة بالصليب هو « قوة الله الخلاص » ، اختبر هذه القوة فى حياته فأراد أن يقدمها للجميع ، كارزاً لليونانيين أى أصحاب الفكر الهلينى ، وللبرابرة أى بقية الأمم ، يود أن يتمتع الكل بعمل الصليب : الحكماء أصحاب الفلسفات والبسطاء الذين يُحسبون كجهلاء .

إن كان الصليب قد أنقذه ، فإنه مدين للعالم كله ... حاسباً الوثنيين دائنين له ، يلتزم أن يرد لهم الدين بالكرازة لهم ليتمتعوا بما تمتع هو به !

(د) يدعو الإنجيل « قوة الله للخلاص » ، إذ هو ليس مجرد رسالة نظرية أو فلسفة فكرية تعليمية إنما « عمل إلهى ديناميكى » فى حياة الإنسان ، حركة حب إلهى لا تتوقف لتبلغ به إلى شركة الأمجاد الإلهية .

(هـ) إنجيل المسيح مُقدم لليهودى أولًا ثم اليونانى ، هنا الأولوية لا تقوم على محاباة الله لجنس على حساب آخر وإنما أولوية الالتزام بالمسئولية والعمل . فإن كانوا قد أئتمنوا على الناموس المكتوب وتقبلوا إعلانات ونبوات ومنهم خرج رجال الله ... فقد

لاق بهم أن يتلقفوا عمل السيد المسيح الخلاصى ويحتضنوا الصليب حتى يخرجوا إلى الأمم حاملين نير البشارة بالخلاص .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [كلمة « أولًا » ليست إلا تعبيراً عن الناحية الزمنية فقط ، إذ لا يوجد إمتياز فى مقدار البر الذى يحصل عليه ؛ ولكن كمن ينزل فى جرن المعمودية أولًا ثم يليه الآخر نعمة أعظم من التالى له ، إنما ينعم الكل بنعمة واحدة . هكذا يتساوى اليهودى واليونانى فى مواهب النعمة متى قبلوا الإنجيل (٤٠)] .

(و) ماذا يعنى بقوله : « إيمان لإيمان » ؟ يرى **العلامة ترتليان**.(٤١) **والعلامة أوريجانوس وإبن كاتب قيصر** أن برّ الله بإيمان الناموس حين نُقل المؤمنين إلى الإيمان بالإنجيل ، وكأن الثمر الذى يشتهيه الرسول لكل عالم هو ذات الثمر الذى ترجاه ر ال الإيمان فى العهد القديم ، وقد حّل الوقت المعين لينعم العالم به خلال الإيمان بالإنجيل الإلهى . يقول **القديس أكليمندس الاسكندرى** : [يعلمنا أن خلاصاً واحداً من الأنبياء إلى الإنجيل يحققه الرب الواحد عينه (٤٢)] . ويرى **القديس أمبروسيوس** ان برّ الله يعلن خلال أمانة الله فى مواعيده فتنتقل أمانته الى إيمان الانسان الذى ينعم ببر الله .

يقدم لنا الرسول مفتاح كله عطية صالحة إلهية : « **أما البار فبالإيمان يحيا** » ع **١٧** . فالانسان الذى يرتبط بالله يحمل برّ المسيح فيه ، لكنه لا يعنى هذا انه يصير معصوماً من الخطأ كما يظن البعض ، انما يتمتع بالنمو المستمر فى برّ المسيح بلا توقف . وقد حذرنا **القديس أغسطينوس** من فهم هذه العبارة بمعنى اننا نصير بلا خطية (٤٣) .

ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة بالقول :
[مادامت عطية الله تفوق الادارك تماماً فمن المنطق أننا نحتاج إلى الإيمان] ،
[أما ترون أن عدم الايمان هو هوة سحيقة أما الإيمان فحصن حصين . لأن عدم الإيمان أهلك الآلاف بينما الإيمان لم يؤدِ إلى خلاص الزانية وحدها بل جعلها أيضاً أماً لكثيرين] ؛

[اننا نستضيف برقة أم كل البركات وهو الإيمان لكي نكون كمن هم يسيرون فى ميناء هادىء مستقر تماماً ، محافظين على إيماننا الأرثوذكسى ، فنقود سفينتنا باستقامة ونحظى بالبركات بالنعمة ومحبة البشر التى لربنا يسوع المسيح (٤٤)] .

٣ ــ شرور الأمم

إذ يواجه القديس بولس حركة التهود ليعلن عمومية الخلاص لليونانى كما لليهودى ، لم يبدأ بضعفات اليهود وشرورهم بل بالعكس يتحدث بصراحة ووضوح عن شرور الأمم ، لكى يكون ذلك مدخلاً لنقد اليهود أيضاً فى صراحة وتفنيد كل حججهم دون إتهامه بالمحاباة ، فقد وُجه إليه هذا الإتهام : « إنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الإرتداد عن موسى ، قائلًا أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد » أع ٢١ : ٢١ . هذا مادفع الرسول إلى البدء بإعلان شرور الأمم ومسئوليتهم عنها ، ليس تشهيراً بهم ولا تحقيراً ،وإنما كمدخل لإجتذاب اليهود المتنصرين لقبولهم معهم فى العضوية فى الجسد الواحد على قدم المساواة ، إذ يعلن أن الأممى كاسر للناموس الطبيعى واليهودى كاسر للناموس الموسوى ، لذلك صار الكل فى حاجة إلى تدخل إلهى كى يتبرروا لا بالناموس الطبيعى ولا بالناموس الموسوى وإنما بالايمان بالمسيح يسوع مخلص الجميع .

فى حديثه عن شرور الأمم أصحاب الناموس الطبيعى يبرز الرسول الآتى :

أولًا : ان كان الله قد أعطى اليهود الناموس الموسوى فإنه لم يهمل الأمم ولا تركهم بلا شاهد لنفسه بينهم ، فقد أعلن نفسه خلال الطبيعة المنظورة ، إذ يقول : « **إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم ، لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر** » ع ٢٠ .

الله لم يترك نفسه بلا شاهد فإن « السماء تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه » مز ١٩ : ١ . يعلن قدرته السرمدية ولاهوته خلال أعمال الخليقة الفائقة ، التى أقامها بكلمته لا لإستعراض إمكانياته وإنما من أجل أعماق محبته لنا . فحب الله الفائق غير المنظور نلمسه خلال رعايته العجيبة إذ قدم لنا هذه المصنوعات لراحتنا .

بينما يتهم الرسول بولس البشر انهم يحجزون الحق بالاثم (ع ١٨) ، وكأن الانسان يتفنن فى إختراع الطرق الأثيمة المتنوعة ليحجز « الحق » فلا يُعلن ، إذا بالله يعلن « الحب » لنا بطرق متنوعة خلال المصنوعات المباركة التى هى من عمل يديه . الانسان يستميت فى حجز الحق والله يبذل لإعلان الحب السرمدى !

يرى القديس أغسطينوس فى هذا القول الرسولى ان الله يقدم لنا العالم كعطية نستخدمها وليس نتلذذ بها ، فنرى خلالها اموره غير المنظورة ، نمسك بالروحيات والسماويات خلال الماديات والزمنيات (٤٥) .

يعلق **القديس أمبروسيوس** على التعبير « قدرته السرمدية » ، **قائلًا** : [إن كان المسيح هو قدرة الله السرمدية ، فالمسيح إذن سرمدى (٤٦) » .

هذا وإذ يحجز الانسان الحق بالإثم يسقط **تحت الغضب الإلهى** (ع ١٨) ، أما من يرجع إليه بالتوبة فيسمع الصوت الالهى : **« هلم يا شعبى أدخل مخادعك واغلق أبوابك خلفك ، إختبىء نحو لحيظة حتى يعبر الغضب ، لأنه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم فتكشف الأرض دماءها ولا تغطى قتلاها فيما بعد »** إش ٢٦ : ٢٠ ، ٢١ . ما هى المخادع التى تدخل فيها إلى الحياة السرية فى المسيح يسوع حيث فيه نختبىء من الغضب ونصير موضع سرور الآب ؟ ! وأما قوله « هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب ... » إنما يعنى انه يود أن يبقى فى مكانه يعلن حبه ورحمته لكن إصرار سكان الأرض على الاثم تلزمه أن يعاقب !

ثانياً : لم يستطع الأممى خلال هذه المعرفة المعلنة بالناموس الطبيعى والمسجلة خلال المنظورات أن يخلص ، بل على العكس أخذ موقف المقاومة التى تظهر فى الآتى :

١ ــ « لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى ، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء ، وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات » ع ٢١ ــ ٢٣ .

هذا الإتهام كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** أخطر من الإتهام السابق ، فان الأمر لم يقف عند رفض الله الذى أعلن عن محبته وقدرته خلال مصنوعات يديه ، وإنما لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه بل استبدلوا عبادة الله الحىّ بالعبادة الوثنية . وكما قال الله على لسان أرميا : « لأن شعبى عمل شرين : تركونى أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم أباراً أباراً مشققة لا تضبط ماءً » أر ٢ : ١٣ . أما علة إنحرافهم فهو اتكالهم على الفكر البشرى المجرد دون عون الله ، « وبينما هو يزعمون انهم حكماء صاروا جهلاء » ، فصاروا كما يقول ذهبى الفم كمن يبحرون فى مياه مجهولة ، فتتحطم سفينتهم على صخور صلده ، إذ تحاولوا بلوغ السماء بعدما أطفأوا النور المضيىء فى داخلهم ، متكلين على ظلمة أفكارهم .

يرى **القديس أغسطينوس** ان سرّ هلاكهم هو جحودهم وعدم شكرهم ، إذ يقول : [بجحودهم صاروا أغبياء ، فما يهبه الله مجاناً (أى الحكمة) ينزعه عن غير الشاكرين [٤٧]] . كما يقول : [لقد رأوا إلى أين يجب أن يذهبوا ، لكنهم بجحودهم نسبوا هذه الرؤية التى وهبهم الله إياها لأنفسهم ، وإذ سقطوا فى الكبرياء فقدوا ما قد رأوه ، وارتدوا الى عبادة الاوثان والتماثيل والشياطين ، يعبدون المخلوق ويحتقرون الخالق [٤٨]] .

هذا ويرى **القديس أغسطينوس** ان هؤلاء الذين نسبوا لأنفسهم الحكمة فسقطوا فى العبادات الرذيلة هم الرومان واليونان والمصريون الذين مجدوا انفسهم تحت إسم الحكمة [٤٩] .

ب ــــ إذ تركوا الله الذى يعلن ذاته لهم خلال الطبيعة تخلى هو أيضا عنهم ، هذا هو ما عناه الرسول بقوله : « **لذلك أسلمهم الله أيضاً فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم** » ع **٢٤** . تركوه بإرادتهم ، وإذ هو يُقدر الحرية الإنسانية ويكرمها أعطاهم سؤل قلبهم تركهم ، فمارسوا شهوات قلوبهم الشريرة حيث ارتكب الرجال والنساء قبائح لا تليق حتى بالطبيعة (ع ٢٦ ، ٢٧) .

ويرى **القديس يوحنا كاسيان** [٥٠] أن الانسان إذ يسقط فى الكبرياء حتى وإن كان طاهراً جسدياً يسمح الله بالتخلى عنه لكى إذ يسقط فى شهوات جسدية ظاهرة

أمام عينيه حتى يقدر أن يدرك الكبرياء الخفى الذى لايراه .

لهذا السبب نجد كثير من الشباب يسقطون فى الرجاسات الجسدية بالرغم من مواظبتهم على وسائل الخلاص من دراسة فى الكتاب وتقديم صلوات وربما اعتراف وتناول ... لكن العلة الرئيسية لسقوطهم هو كبرياء قلبهم . بالكبرياء يفقد الإنسان نعمة الله التى تهبه القداسة فينهار تحت ثقل شهوات جسده وفساده .

ويحدثنا **القديس بفنوتيوس** عن سماح الله لنا بهذا الإنحراف معلناً اننا نحن السبب فى هذا الفساد إما بسبب كبريائنا أو إهمالنا ، إذ يقول : « علينا أن نعرف ان كل شيء يحدث إما بإرادته أو بسماح منه ، فكل ما هو خير يحدث بارادة الله وعنايته ، وكل ما هو ضد ذلك يحدث بسماح منه ، متى نُزعت حماية الله عنا بسبب خطايانا أو قساوة قلوبنا أو سماحنا للشيطان أو للأهواء الجسدية المخجلة أن تتسلط علينا ، ويعلمنا الرسول بذلك ، مؤكداً : « لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوا ن » رو ١ : ٢٥ ، وأيضا : « كما لم يستحسنوا ان يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق » رو ١ : ٢٨ . ويقول الله بالنبى : « فلم يسمع شعبى لصوتى ، وإسرائيل لم يرضى بى ، فسلمتهم إلى قساوة قلوبهم ليسلكوا فى مؤامرات أنفسهم » مز ٨١ : ١١ ، ١٢ [٥١]] .

يقول **الأب يوحنا** : [من عدل الحكم الإلهى أن تُعطى المواهب الصالحة للمتواضعين ، وتُمنع عن المتكبرين المرفوضين الذين يقول عنهم الرسول انهم مستحقون أن يُسلموا إلى ذهن مرفوض (رو ١ : ٢٨) [٥٢]] .

إذاً إختار الإنسان فى شره الفساد ، فحّل الفساد به ، أما الله فهو « **مبارك إلى الأبدد آمين** » ع **٢٥** ، وكأن ما يرتكبه الإنسان إنما يحّل به لا بالله . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إن كان الفيلسوف لا يتأثر بإهانة الجهلاء له ، فكم بالحرى الله الأزلى غير المستحيل لا تبلغ وقاحة الناس إلى طبيعته المجيدة التى لا يعتريها ظل دوران [٥٣]] .

يقف **القديس ذهبى الفم** هنا قليلًا ليسألنا أن نتشبه بالله الذى يحتمل الأشرار ولا يتأثر بشرهم ، فإن طبيعته أسمى من أن تتأثر بهم ، هكذا إذ نتشبه به نحتمل نحن أيضاً شرور الأشرار ، إذ يقول : [يليق بنا ألا نحاول الهروب من الإهانات بل بالحرى

تحتملها ، لأن مثل هذا الإحتمال هو الشرف بعينه . لماذا ؟ لأنه فى قدرتك أنت أن تحتمل أما تصليح الآخرين فهو من عمل الغير . أتسمع صدى الضربات التى تسقط على الماس ؟ قد تقول هذه هى طبيعة الماس . حسناً ، وأنت فى مقدورك أن تتدرب على ما هو للماسي بالطبيعة . ألم تسمع كيف لم تؤذِ الثلاثة فتية ؟ وكيف ظل دانيال فى الجب سالماً ؟ . فما حدث لهؤلاء ممكن لنا إذ يوجد حولنا أسود الشهوة والغضب مستعدة لتمزيق من يسقط تحت قدميها . إذن كن كدانيال وإثبت ، فلا تجعل الإنفعالات تنشب بأظفارها فى نفسك . تقول : هذا من فعل النعمة . حقاً ، لكن النعمة تنساب خلال تدريب الإرادة ، فمتى كنا مستعدين لتدريب أنفسنا على نمط هؤلاء الرجال تنساب النعمة فى داخلنا ، عندئذ تقبع الوحوش فى مذلة قدامنا بالرغم من جوعها . فإن كانت الوحوش قد تراجعت أمام عبد ، أفلا تتراجع بالحرى أمام أعضاء جسد المسيح (أمامنا) ؟ ! [٥٤]] .

جـ ـــ ربما يتعذر البعض بأن ما يرتكبوه من شرور هو ثمرة ضعف الطبيعة البشرية وجريها وراء اللذات بلا ضابط ، لذا أوضح الرسول أن الإنسان فى شره صار يمارس حتى ما هو مخالف للطبيعة ، يسيىء للطبيعة عنها لتحول حياتهم إلى جحيم ، إذ يقول : « **لأن إناثهم إستبدلن الإستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة ، وكذلك الذكور أيضاً تاركين إستعمال الأنثى الطبيعى اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ونائلين فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق** » ع ٢٦ ، ٢٧ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [هنا إذ يتحدث عن العالم يضع أمامهم اللذة الطبيعية التى كان فى مقدورهم الاستمتاع بها فى طمأنينة وفرح قلبى متحاشين الأعمال المخزية ، لكنهم لم يريدوا ... إذ أهانوا الطبيعة عينها ... جلبوا عاراً على الطبيعة وداسوا على القوانين الإنسانية فى نفس الوقت [٥٥]] .

يرى **القديس ذهبى الفم** ان الإنسان قد حوّل حياته إلى حرب داخلية وجحيم لا يُطاق ، فان كان الله قد وهب بالطبيعة أن يتزوج الرجل بامرأة ويصير الإثنان جسداً واحداً فى إنسجام الحب والألفة ، أهان الإثنان نفسيهما ودخل كلاهما فى حرب داخلية فجرت النساء وراء بعضهن البعض وأيضا الذكور ، فتحولت الحياة الإنسانية

إلى إنشقاقات وحروب داخلية لا تنقطع تقوم ليس فقط بين الرجل وامرأته وإنما بين النساء وبعضهن البعض والذكور وبعضهم البعض ، فنالوا فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق (ع ٢٧) . هذا ما أكده كثير من الآباء أن الخطية تحمل فسادها فيها فتسكب من هذا الفساد على مرتكبها ليحمل عقوبته ليس فقط كأمر يصدر ضده من الخارج ، وإنما خلال ممارسته الشر عينه .

د ــ بعد أن قدم صورة بشعة للإنسان فى شره ، إذ صار لا يطلب اللذة الطبيعية فحسب وإنما صار مفسداً للطبيعة عوض السمو بها ، فبدلًا من ان يرتفع بالروح ليسمو بغرائزه الحيوانية فيصير جسده بغرائزه مقدساً للرب صار فى بشاعته مفسداً للطبيعة ، يفعل ما لا يرتكبه الحيوان خلال العلاقات الجسدية الشاذة سواء بين الإناث وبعضهن البعض أو الذكور وبعضهم البعض ... الآن يقدم لنا قائمة مرة بما ترتكبه البشرية المنحرفة ، وقد لاحظ **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول يذكر فى قائمته هذه التعبيرات : « مملوئين » ، « من كل » ، « مشحونين » . وكأن الآثام لم تعد أمراً عارضاً فى حياة الانسان لكنها تملأ كيانه الداخلى ، وتشحنه تماماً ليرتكب لا إثماً أو إثمين وإنما « كل إثم » !

هـ ــ العجيب أن الخطايا والآثام تحطم سلام الإنسان وتفقده فرحه الداخلى ، لكنها فى نفس الوقت تدفع مرتكبها نحو العجرفة والكبرياء ، لذلك جاءت القائمة تصفهم هكذا : [**مفترين ، مبغضين لله ، ثالبين ، متعظمين ...** » ع **٣٠**
يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [أما التشامخ مع الخطية فطامة كبرى ... إن كان الذى يعمل صلاحاً يفقد تعبه إن إنتفخ فكم يكون إثم الذى يضيف إلى خطاياه خطية التشامخ ؟ لأن مثل هذا لا يقدر أن يمارس التوبة [٥٦]] .

و ــ إن تأملنا هذه القائمة من الآثام والشرور نشعر أن البشرية إذ سلمت نفسها بنفسها للعصيان ومقاومة الله مصدر حياتها وتقديسها صارت ملهى للخطايا ، كل خطية تلهو بالانسان لتلقى به فى أيدى خطايا أخرى وهكذا يصير أضحوكة كل الآثام والشرور ؛ ويمكننا هنا فى شيء من الإختصار أن نورد ترتيب هذه القائمة هكذا :

* يبدأ الإنسان يلهو بلذة الجسد فيستسلم للزنا (ع ٢٩) .

* إذ يتقوقع الإنسان حول لذته الجسدية يطلب ما هو لذاته حتى وإن بدى فى الظاهر سخياً ومبذراً ، لكن يتملكه حب الطمع ، الأمر الذى يدفعه أيضا إلى الخبث لتحقيق غايته هذه (ع ٢٩) .
* أما الطمع فيسبب حسداً وخصاماً ومكراً وربما يؤدى إلى القتل (ع ٢٩) .
* هذا الحسد والمكر يدفع الانسان إلى الاعتداد بذاته فيصير متعاظماً (ع ٣٠) .
* حب العظمة ينحرف بالانسان الى الابتداع وترك الحق (ع ٣٠) .
* رفض الحق يدفع الانسان إلى تعدى الطبيعة فيصير غير طائع للوالدين (ع ٣٠) .
* إذ يتعدى الانسان حتى أبسط نواميس الطبيعة يفقد الفهم (ع ٣١) ، ويكسر كل عهد طبيعى أو مكتوب ، ويخسر طبيعة الحب والحنو (ع ٣١) ، وبهذا يسقط تحت تحذير الرب : « لكثرة الإثم تفتر المحبة » مت ٢٤ : ١٢ ، فيصير أبشع من الحيوانات المفترسة التى تتحد معاً كجماعات بحكم الغريزة أما الانسان فيكره أخاه .

ز ـــ فى هذا الإنحدار البشرى إلى ماهو أدنى من الطبيعة تبلدت القلوب البشرية فلم يستكينوا للشر فحسب وانما صاروا يفرحون بمن يسقط مثلهم ، إذ يقول الرسول : « **الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل أيضاً يسرون بالذين يعملون** » ع **٣٢** .

ط ـــ يلاحظ فى هذا السفر بوجه عام انه اذ يتحدث عن الأمم يعلن دور الناموس الطبيعى بكونه ـــ كما يقول **العلامة ترتليان** [٥٧] ـــ ناموس الله الذى يسود العالم منقوشاً على لوحى الطبيعة ، لذلك يقول الرسول : « لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس ... » ٢ : ١٤ . وفى هذا الأصحاح يتحدث عن الأمم فى شر ككاسرى ناموس الطبيعة الذين « يفعلون ما لا يليق » ١ : ٢٨ ، كأن تستبدل الإناث « الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة » ١ : ٢٦ . وعندما يتحدث الرسول عن التزام المرأة بغطاء الرأس اثناء الصلاة ، يقول : « أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم ... ؟ » ١ كو ١١ : ١٤ .
فالمسيحى اذن ملتزم بناموس الطبيعة ، بل ويسمو ليبلغ لا الى تكميل الناموس الموسوى بل الوصية الانجيلية العاليه .



١ ـــ اليهودى وبرّ الله ٢ ـــ ١٠ .

حاجة اليهودى للخلاص(٢)

الإتكال على أبوة ابراهيم (٤ ـــ ٦)

الإتكال على بر الناموس (٧ ، ٨)

الإتكال على الاختيار (٩ ، ١٠)

٢ ـــ الأممى وبرّ الله ١١ .



إن كان الأممى قد سقط فى شرور كثيرة ونجاسات ، مقاوماً الناموس الطبيعى ، فانه لا يليق باليهودى أن يدينه ، لأن الأول أخطأ بدون الناموس المكتوب أما الثانى فبالناموس تعدى الوصية ، وكأنه لم يخطىء فقط ولكنه أيضاً « تعدى » فصارت مسئوليته أعظم وعقابه أشد . وبهذا فإن الناموس لا يبرر من يسمعه بأذنيه وإنما من يمارسه ويحفظه ويحياه (ع ١٣) . اليهودى ليس يهودياً فى الظاهر (ع ٢٨) ، ولا الختان فى اللحم ختاناً ، إنما اليهودى من عاش بالحق رجل الله الروحى وكان قلبه لا جسده مختوناً بالروح .

هذا ما أوضحه الرسول فى هذا الأصحاح ، وهو حديث نافع لنا نحن كمؤمنين ، لأنه ان كان اليهودى الظاهر يُدان على حرفيته القاتلة بدون روح فبالأولى المسيحى إن تمسك بالشكل والإسم دون الحياة يكون أشر من اليهودى وابشع مستهيناً بالدم الكريم .

هذا الحديث يمس بالاكثر حياة الخدام والرعاة اذ يقدم تحذيراً لهم لئلا يسحبهم المجد الزمنى وتلهيهم الكرامات عن الحياة الداخلية الملتهبة بالروح والحق .

١ ــ الناموس وإدانة الآخرين ١ ــ ١١ .

٢ ــ الناموس والحياة العملية ١٢ ــ ١٦ .

٣ ــ الناموس والتعليم ١٧ ــ ٢٩ .

\+ + +

١ ـــ الناموس وإدانة الآخرين

يعالج الرسول بولس موضوع إعتداد اليهودى بنفسه لأنه مستلم الناموس دون سواه من بقية الأمم ، ولم يدرك أن الناموس هو مرآة تفضح الخطية وتكشف عن الضعف . للأسف بدلًا من أن يستخدمه اليهودى لإكتشاف ضعفاته فيصرخ إلى الله بالتوبة طالباً عمل المخلص ، تقسى قلبه مستخدماً الناموس لفضح خطايا الآخرين . هكذا بدلًا من أن يدخل به الناموس إلى التوبة إغتصب مركز الديان وأقام نفسه لمحاكمة الآخرين تحت دعوى معرفة إرادة الله ومشيئته . إستخدم الناموس لطلب المتكاءات الأولى ليقيم نفسه دياناً للغير .

إدانة الآخرين هى فى ذاتها إعلان عن التعب الداخلى ، كما فعل اليهود عندما أمسكوا بالزانية فأرادوا أن يتشفوا فيها برجمها ، أما الديان فستر عليها بحبه ، لكنه لم يتركها فى خطيتها ، إنما خلال محبته الحازمة أوصاها : « ولا أنا أدينك ، إذهبى ولا تخطىء أيضاً » . هكذا شتان بين تصرف الإنسان الذى يدين أخاه مع أنه مشترك معه فى الضعفات ، وبين حكم الله الذى يطيل أناته علينا لعلنا نتوب فنفلت من الدينونة .

هكذا يربط الرسول بولس بين إدانتنا نحن للآخرين وإدانة الله الديان لنا ، مبرزاً النقاط التالية :

أولًا : إذ نقيم أنفسنا ديانين للإخوة ونحن مشتركون معهم فى الضعف ، نحكم على أنفسنا بأنفسنا خلال حكمنا على الغير ، إذ يقول : « **لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين ، لأنك فى ما تدين غيرك تحكم على نفسك ، لأنك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمور بعينها ... أفتظن هذا أيها الإنسان الذى تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها أنك تنجو من دينونة الله ؟ !** » ع ١ ، ٣ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [كأن منطقه يعلن : يامن تدين الزانى وأنت نفسك ترتكب ذات الخطية ، ألست تدين نفسك بنفسك ، حتى وإن لم يدنك أحد ؟ ... إن كنت تعاقب إنساناً يرتكب ذنباً أقل منك فكيف لا يأخذك الله بجريرتك ويدينك بقسوة خاصة وأنك تحكم على نفسك بنفسك ؟ ! [٥٨]] .

ثانياً : بحكمك على أخيك ليس فقط تحكم على نفسك بذات تصرفك ، وإنما غالباً ما تخطىء أنت فى الحكم لأنك تحكم حسب الظاهر ولا تعرف أعماق الآخرين ودوافعهم ، أما الله فيحكم عليك بحق ، لأنه عالم بكل أسرارك ... بمعنى آخر حتى إن حسبت نفسك أبر من أخيك فتحكم عليه وتدينه ، فغالباً ما يكون هذا الحكم ظالماً ، أما الله فهو وحده يدين البشر عن حق ، إذ يقول الرسول : « **ونحن نعلم أن دينونة الله هى حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه** » ع ٢ .

هذا وقد أبرز الرسول بولس سمات دينونة الله التى تختلف تماماً عن ادانتنا نحن للآخرين ، ألا وهى :

أ ــ انه « **حسب الحق** » ع ٢ ، لأنه هو « الحق » عينه .

ب ــ انه لا يود العقوبة انما فى غنى لطفه وامهاله وطول اناته يود ان « **يقتادك إلى التوبة** » ع ٤ .

جـ ــ انها **عادلة** (ع ٥) .

د ــ « **سيجازى كل واحد حسب أعماله** » ع ٦ .

هـ ــ **بدون محاباة** (ع ١١) .

د ــ ليست حسب ما يعلمه الانسان بل **حسب ما يعمله** ويحياه (ع ١٣) .

ز ــ **يدين الأعماق الداخلية للضمير والفكر** ، سرائر الناس (ع ١٥ ، ١٦) .

ط ــ حسب حقيقة الإنسان الداخلى لا مظهره كمتدين أو كمعلم (ع ١٧ ــ ٢٩) .

ثالثاً : أخطأ اليهود خاصة قادتهم من الكتبة والفريسيين أولا بتحويل الناموس لا إلى مجال للحياة والعمل الروحى وانما لنقد الناس وادانتهم بروح العجرفة والكبرياء ، وثانياً بكونهم إذ ادركوا لطف الله وطول اناته اساؤا استخدام هذه المعرفة . بمعنى آخر بينما هم يقسون على الآخرين ويدينونهم إذا بهم يستهينون بحب الله وصلاحه ، إذ

يقول الرسول : « **أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالمٍ أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة** » ع ٤ ... لكن طول أناة الله علينا بالرغم من تسرعنا نحن فى الحكم على الآخرين لا يعنى إعفاءنا من العقاب إنما حفظه للوقت المعين . « **ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة ، الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله** » ع ٥ ، ٦ .

الله يطيل أناته لعلنا نتوب فإن تمسكنا بالشر زاد العقاب حيث يمتلىء كأس شرنا ، لهذا يرتعب الآباء من عدم التأديب فى هذا العالم حاسبين أن عدم تأديبنا هنا إنما يحمل غضب الله فى يوم الدينونة عوض العلاج الخفيف والسريع فى هذا العالم بالتأديبات الزمنية (٥٩)

+ ليت الذين يحبون حنوه يهابون أيضاً حقه (عدله) ، فإن « الرب صالح (حلو) ومستقيم (حق) » مز ٢٥ : ٨ .

إنك تحب فيه أنه صالح (حلو) ، فلتخشه بكونه الحق ...

الرب لطيف ، طويل الأناة ، حنان ؛ وهو أيضا البار والحق .

منحك فرصة للإصلاح ، لكنك تحب تأجيل الدينونة أكثر من إصلاحك طرقك . هل كنت بالأمس شريراً ، فلتكن اليوم صالحاً !

القديس أغسطينوس (٦٠)

+ كثيراً ما أحدثكم عن صلاح الله ، لا لتستهينوا به وتفعلون ما هو على هواكم ، وإلا صار صلاحه هذا مؤذٍ لخلاصنا ، وإنما لكى لا نيأس من خطايانا بل نتوب .

صلاح الله يقودك للتوبة لا لصنع شر أعظم ، فان فسدت بسبب صلاحه تهين الله أمام الناس .

+ طول الأناة تقدم لنا منافع فان لم نستفد منها نسقط تحت دينونة أشد .

القديس يوحنا الذهبى الفم (٦١)

+ [عدم إستخدام الله طول أناته تارة وحزمه تارة أخرى لتوبة الأشرار ، كما يستخدم أحيانا التأديب وتارة الرحمة لحساب الصالحين :]

طول أناة الله تدعو الأشرار للتوبة ، كما أن تأديب الله يدرب الصالحين على الإحتمال .

أيضاً رحمة الله تحتضن الصالحين لتثقيفهم كما أن حزم الله يصّد الأشرار بسقوطهم تحت العقوبة

القديس أغسطينوس (٦٢)

بمعنى آخر إن كان الانسان يميل بطبعه إلى القسوة على أخيه ، حتى إن قدم الله له كل حب وطول أناة يدين الغير ويعنفه ، فان الله على النقيض يود خلاص الجميع ويطيل أناته لعل الكل يرجع إليه بالتوبة .

لعله أيضاً أراد أن يؤكد ان الله ان كان يطيل اناته عليهم فليس ذلك علامة رضاه عنهم وإنما علامة صلاحه ينتظر توبتهم .

رابعا : إن كان الله هو الديان ، لكننا نحن الذين « **نذخر لأنفسنا غضباً** » ... إذ يريد الله الرحمة مقدماً كل وسيلة لعلنا نقتنيها ، أما الإنسان غير التائب فيحفظ لنفسه الغضب . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لاحظوا دقة التعبير : « تذخر لنفسك غضباً » ، موضحاً ان الدينونة لا تصدر عن الديان إنما هى نتيجة لعمل الخاطى ، إذ لا يقول « يذخر الله لك » وإنما « تذخر لنفسك » ... إنه يحاول اجتذابك بكل وسيلة ، فان ظللت على عنادك تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة . ولكن لا يتبادر إلى ذهنك أن غضبه إنفعال عنيف إنما هو العدالة ، هو « إستعلان » ، حيث ينال كل إنسان ما يستحقه (٦٣)] .

خامساً : إذ يتحدث عن دينونة الله للبشر يبدأ أولًا بالحديث عن الصالحين الذين يكافئون بالحياة الأبدية ، وبعد ذلك يتحدث عن الذين يسقطون تحت الغضب ، إذ يقول : « **وأما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية ، وأما الذين هم من أهل التخرب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب ، شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودى أولًا ثم اليونانى . مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح اليهودى أولًا ثم اليونانى** » ع ٧ — ١٠ .

كأن الله يود أن يتمتع الكل بنوال الحياة الأبدية خلال صبرهم فى العمل الصالح ، فينالون مجداً وكرامة وخلوداً مع سلام أبدى ، لذلك بدأ بهذه الفئة ، أما الفئة الثانية التى تسقط تحت السخط والغضب التى تئن من الشدة والضيق فهى تحكم على نفسها بهذا خلال إطاعتها للإثم ، الأمر الذى يود الله ألا يسقط أحد تحته . فى هذا يختلف حكم الله على حكم الناس ، الله يتطلع أولًا إلى الصالحين والأمور الصالحة ، أما الإنسان فينظر الشر أولًا ويحكم سريعاً على الآخرين متطلعاً بالأكثر إلى عيوبهم .

لاحظ **القديس إيريناؤس** ان الرسول بولس قد ركز على حرية الإرادة الإنسانية فى هذه الرسالة (رو ٢ : ٤ ، ٥ ، ٧) ، [لذلك يعطى الله خيرات للذين يعملون الصالح ـــ كما يقول الرسول ـــ فينالون المجد والكرامة لأنهم يمارسون العمل الصالح مع أنه كان فى سلطانهم ألا يفعلوه فيسقطون تحت حكم الله العادل (٦٤) .

سادساً : يؤكد الرسول أن الله فى حكمه لا يحابى : « **لأن ليس عند الله محاباة** » ع **١١** ، فإن كان يكافىء اليهودى أولًا سواء فى الخير أو الشر ، فلأن الله يدين بالأكثر من نال معرفة أوفر أو إحتمل مركز القيادة والخدمة . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [من العدل أن من يستمتع بنصيب أوفر من المعرفة ينال نصيباً أشد من العقاب إن تعدى الناموس . ومن ثمة يكون عقابنا أشد كلما إزددنا فى الحكمة والسلطان . إن كنت غنياً يُطلب منك العطاء أكثر من الفقراء ، وإن كنت صاحب حكمة أوفر تلتزم بالطاعة أكثر من غيرك ، وإن نلت سلطاناً يلزمك تقديم أعمال أكثر بهاءً (٦٥)] .

المحاباة هى من سمات البشر ، الذين ينحرفون عن الحق فى الحكم مراعاة لحسب الإنسان أو نسبه أو غناه أو طلباً لمنفعة ما ، إذ يقول الرسول : « يحابون بالوجوه من أجل المنفعة » يه ١٦ ؛ وقد كان ذلك محظوراً على القضاة (لا ١٩ : ١٥ ، تث ١٠ : ١٧) . يحذرنا الرسول يعقوب منها ، قائلًا : « لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد فى المحاباة » يع ٢ : ١ ، أما فيستحيل أن يحابى أحداً (أف ٦ : ٩ ، كو ٣ : ٢٥) . وقد ظهر عدم محاباة الله على الصليب ، إذ « هكذا أحب الله العالم (بلا محاباة) حتى بذل إبنه الوحيد لكى لا يهلك **كل**

من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣ : ١٦ ، كما يقول الرسول : « الذى لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا أجمعين » رو ٨ : ٣٢ .

٢ ـــ الناموس والحياة العملية

تحول الناموس فى حياة اليهود عن غايته الإلهية ، فعوض أن يكون علة إدراكهم لخطاياهم وشعورهم بالحاجة إلى عمل الله الخلاصى ، تحول إلى تشامخ وكبرياء بأنهم عارفوا الحق ومعلموه ، فصاروا ديّانين للأمم ، الأمر الذى أسقطهم هم تحت دينونة الله . إذن فالناموس ليس غاية فى ذاته ، إنما يليق أن نحتضنه ونحفظه لا خلال المعرفة الفكرية النظرية وإنما خلال معرفة الحياة العملية والخبرة المعاشة يومياً ، فيصير علة تكليلنا ، لهذا يقول الرسول :

أولًا : « لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك ، وكل من أخطأ فى الناموس فبالناموس يُدان » ع ١٢ .

الناموس ليس مجالًا للإفتخار بل للعمل ، فإن كان الناموس يهب معرفة لوصية الله وإرادته يلتزم أصحاب الناموس أن يمارسوا الوصية وإلا سقطوا بالناموس تحت الدينونة ، فيصيروا ليس كالأمميين الذين يخطئون بدون الناموس فيهلكون وإنما أشر منهم لأنهم يخطئون بمعرفة وهم تحت الناموس . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [هنا لا يُظهر المساواة بين اليهودى والأممى فحسب وإنما يوضح كيف أثقل الناموس كاهل اليهودى . لأن الأممى يُدان بدون الناموس ؛ هنا « بدون الناموس » تعبير عن تخفيف للعقوبة ، إذ لا يقف الناموسى شاهداً عليه ... إنما ينال جزاءه بناءً على منطق الطبيعة والعقل . أما اليهودى فيُدان بالناموس ، أى تكون محاكمته بالطبيعة والمنطق وبجانبهما الناموس ، لأن ما ناله من عناية يزيد من مسئوليته . تأملوا إلى أى مدى يجعل اليهودى يسرع بالضرورة نحو النعمة يستنجد بها . لأنهم إن إحتجوا بأنهم يكتفون بالناموس بلا حاجة إلى النعمة يظهر لهم أنهم فى حاجة إلى النعمة أكثر من الأمميين ، لأنه بالناموس يكون عقابهم أشد [٦٦]] .

يقول **القديس أغسطينوس** : [الذين لم يسمعوا الكلمة (كلمة الانجيل) يدانون بطريقة غير التى يُدان بها الذين يسمعونها ويستخفون بها [٦٧]] .

يقول أيضاً [٦٨] ان الذين هم بلا ناموس يهلكون ، الأمر الذى له صداه المرهب ، أما الذين تحت الناموس فيدانون بمعنى انهم بلا عذر ، وتكون دينونتهم هى الهلاك ... بهذا فدينونتهم أصعب .

ويقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لا تكون العقوبات واحدة فى كل الخطايا بل هى متعددة ومتنوعة حسب الأوقات والأشخاص ورتبهم وفهمهم وظروفهم ... فإن إرتكب كاهن زناً تكون عقوبته مضاعفة جداً بسبب الكرامة التى نالها [٦٩]] .

ولعل الرسول قصد بذلك سقوط الكل تحت الدينونة ـــ الأمم واليهود ـــ ليعلن حاجة الكل إلى الخلاص .

ثانياً : من يُخطى فى الناموس تكون عقوبته أشد لأن الناموس أو المعرفة تشهد عليه فى يوم الدين ، لذلك فالناموس لا يبرر الإنسان لمجرد سماعه أو حفظه وإنما بتنفيذه كله ، الأمر الذى يحسب مستحيلًا على البشر . « لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » ع ١٣ .

لاحظ دقة حديث الرسول بولس ، إذ يقول : « هم أبرار عند الله » ، فإن كثيرين يسمعون الناموس ويتلونه على لسانهم فيتبررون أمام الناس كمتدينين ، لكن الله لا يدين الإنسان حسب مظهره إنما حسب برّ قلبه الداخلى . فبسماعنا للوصية يمكننا أن نخدع إخوتنا وربما أنفسنا لكن هل نقدر أن نتبرر أمام الله ؟

لقد طالبت الشريعة بالطاعة الكاملة (تث ٤ : ١ ، لا ١٨ : ٥) ، وهو أمر مستحيل إذ لا يوجد انسان بلا خطية ... إذن فالحاجة ماسة إلى الذى يبرر .

ثالثاً : فى الوقت الذى فيه أظهر الناموس كثقل على اليهودى ، إذ يكون شاهداً عليه يوم الدين ، معلناً أن الاستماع له بالأذن دون القلب والعمل لن يبرره أمام الله ، رفع من شأن الأممى الذى لم ينل الناموس المكتوب وانما خلال الطبيعة جاهد ليمارس ماجاء فيه ، إذ يقول : « **لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم ، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة ، فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلى**

بيسوع المسيح » ع ١٤ – ١٦ .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** ، قائلًا :

[كأنه يقول : أنا لا أرفض الناموس ، لكننى بسببه أبرر الأممين ... مظهراً أنهم خير منهم بل يمتازون عنهم بعملهم الصلاح مع أنهم لم يأخذوا الناموس الذى يتشامخ به اليهود . فى هذا كان الأمميون جديرين بالإعجاب إن تمموا صلاح الناموس بأعمالهم لا بكلمات سمعوها ... أنظروا إذن كيف يلوم اليهود هكذا هادماً غرورهم ، مظهراً أن الأمميين الذين سعوا بإجتهاد لإتمام الناموس – مع أنهم بدون الناموس – هم أولى بالكرامة منهم . هنا تزداد عجباً بحكمة الرسول الذى أظهر تفوق الأممى على اليهودى دون أن ينطق بذلك صراحة [٧٠]] .

[ولكى يزيد من مخاوفهم لا يكتفى بالقول : « خطايا الناس » بل يقول : « يدين الله سرائر الناس » ، كى لا تظن انه فى مقدروك الهروب من دينونة الله ... لأن الناس يقيمون القضاء لمحاكمة الأعمال العلنية (أما الله فيدين السرائر) ... إذن ليدخل كل إنسان إلى أعماق ضميره ويحاسب نفسه بكل تدقيق ، « لكى لا ندان مع العالم » ١ كو ١١ : ٣٢ ، لأن تلك المحاكمة رهيبة ، وذلك الكرسى مخوف ، والحساب يكون مرعباً ، لأن « الأخ لا يفدى » مز ٤٩ : ٨ ... ماذا يكون شعورنا حينما نقف أمام العالم بأسره وتعلن كل سرائرنا فى مسرح مُضاء فسيح يضم من نعرفهم ومن لا نعرفهم ؟ ! [٧١]] .

ويرى **إبن كاتب قيصر** انه يقصد بالأمم الذين إرتفعوا – بحياتهم مع الله – فوق اليهود هم « الآباء السابقون » قبل إستلام الناموس الموسوى على يدّى موسى مثل إبراهيم وأيوب ويوسف ؛ آمن إبراهيم بالله وقدم إبنه ذبيحة محرقة ، وقربّ أيوب عن بنيه ذبائح خشية أن يكون أحدهم قد نطق بكلمة باطلة أو أضمر فى داخله ما يغضب الله (أى ١ : ٥) ، ويوسف مارس حياة الطهارة ممتنعاً عن الشر لئلا يخطىء قدام الرب (تك ٣٩ : ٥) ... [هؤلاء عملوا بالطبيعة ما بالناموس ولم يحتاجوا إلى ناموس مكتوب ، إذ لم يدعوا نياتهم تبكتهم بل عملوا بما توجبه من الصلاح وتركوا ما تنكره من القبائح ، وهم فى هذا ليسوا مثلنا نحن الذين تبكتنا نياتنا وكتبنا] .

يعلق أيضا **إبن كاتب قيصر** على العبارات السابقة موضحاً أن أفكارهم مشتكية (ع ١٥) بمعنى انها توبخهم إن فعلوا أمراً غير حسن ، إذ كانت تقوم مقام الناموس .

ويرى **الأب سيرينوس** فى هذه العبارة تأكيد لسلطان الإنسان على فكره ، وإلا ما كانت أفكارنا وضمائرنا تشتكى علينا ، إذ يقول : [فإذا ما جاهدنا كبشر ضد الإضطرابات والخطايا ، تصير هذه تحت سلطاننا وفق إرادتنا ، فنحارب أهواء الجسد ونهلكها ، ونأسر حشد خطايانا تحت سلطاننا ، ونطرد من صدورنا الضيوف المرعبين ، وذلك بالقوة التى لنا بصليب ربنا ، فنتمتع بالنصرة التى نراها فى مثال قائد المئة (مت ٨ : ٩) روحياً (٧٢)] .

ويرى **الأب يوسف** فى هذه العبارة إعلاناً عن [أن نية الإنسان هى التى تجعله يُكافأ أو يُعاقب (٧٣)] .

ويعلق **العلامة أوريجانوس** على التعبير : « **حسب إنجيلى** » **ع ١٦** ، قائلًا : [الآن ليس لدينا عمل كتابى لبولس يدعى إنجيلًا ، وإنما كل ما كرز به وما قاله هو الإنجيل ؛ وما كرز به وما قاله كان أيضا فى حكم المكتوب ؛ وما كتبه كان الإنجيل . وإن كان ما كتبه بولس إنجيلًا فإن ما كتبه بطرس أيضا هو إنجيل ؛ وفى كلمة كل ما قيل أو كتب ليخلد معرفة حلول المسيح على الأرض ويهيىء لمجيئه الثانى أو ليقدم ذلك كحقيقة قائمه فى تلك النفوس التى تريد أن تتقبل كلمة الله الواقف على الباب يقرع ويطلب أن يدخل فيها (٧٤)] .

٣ ــ الناموس والتعليم

فى الأصحاح السابق عرض الرسول بولس لشرور الأمم مؤكداً حاجتهم لنعمة الله المجانية لكى تسندهم وتدخل بهم إلى خلاص الله ، أما فى هذا الأصحاح فإذ يوجه الحديث لليهود يكشف لهم انهم أكثر إحتياجاً إلى النعمة الإلهية من الأمم ــ إن صح هذا التعبير ــ فإن الناموس الذى وُهب لهم لمعاونتهم استخدموه فى إدانة الآخرين لا فى توبتهم ، وعوض العمل به اكتفوا بالاستماع إليه ، الأمر الذى جعل بعض الأمميين المجاهدين داخلياً فى ممارسة الحياة النقية يسبقونهم ، إذ فعلوا خلال الطبيعه والمنطق

بما هو فى الناموس ، فظهر الناموس مكتوباً فى قلوبهم وضميرهم وأفكارهم بينما بقى أصحاب الناموس يسمعون له بآذانهم دون قلوبهم أو سرائرهم الداخلية ... والآن لكي يوضح الرسول بشاعة ما بلغ إليه اليهود ، يعلن انهم عوض أن يكرزوا بالناموس حياً فى حياتهم صاروا معلمين به بالكلام ومقاومين له بالعمل ... حسبوا أنفسهم قادة الفكر الروحى ونوراً للعالم ومهذبين للأغبياء ومعلمين للأطفال لهم صورة العلم والحق فى الناموس بينما تقدم حياتهم وسلوكهم خلاف هذا تماماً .

ويلاحظ فى هذا الحديث الآتى :

أولاً : يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول بولس يستخدم أسلوباً يناسبهم كأناس يدعون العلم والمعرفة ويقيمون أنفسهم كمعلمين للعالم ، يتهكمون بالكل ويسخرون بهم ، إذ يقول :

[إنه لا يقول : « هوذا أنت يهودى » ، إنما « **هوذا أنت تسمى يهودياً** » ، « **وتفتخر بالله** » ع ١٧ ، أى تظن أنك محبوب لدى الله ومكرم فوق جميع الناس . يخيل إلىّ أنه هنا يسخر برفق بقلة منطقهم وجنون شهوتهم وراء المجد إذ أساءوا إستخدام هذه العطية ، فعوض إستخدامها كوسيلة لخلاصهم جعلوها علة للتشامخ على الآخرين والإزدراء بهم ... كما يقول : « تثق أنك قائد للعميان » ، وهنا أيضاً لا يقول : « أنت قائد » بل « تثق أنك قائد » بمعنى أنك تنتفخ ، وهذا لأن كبرياء اليهود كان متشامخاً جداً . يستخدم معهم ذات الكلمات المتداولة بينهم والتى كانوا يرددونها فى زهوهم . إسمعوا ما يقولونه فى الإنجيل : « فى الخطية وُلدت أنت بجملتك وأنت تعلمنا » يو ٩ : ٣٤ . بهذا الاستخفاف المتعالى كانوا يتطلعون إلى جميع الناس [٧٥]] .

[يستخدم الرسول ذات كلماتهم : « قائد للعميان ، ونور للذين فى الظلمة ، ومهذب للأغبياء ، ومعلم للأطفال » ، الألفاظ التى كان اليهود يطلقونها على من يتتلمذون لهم . تكراره هنا للعبارات هدفه أن يدركوا أن ما زعموه ميزة يفتخرون به هو علة دينونتهم بالأكثر [٧٦]] .

ثانياً : إن كان يليق بالمعلم الروحى أن يكون بالحق قائداً للعميان ونوراً للذين فى الظلمة ومهذباً للأغنياء ومعلماً للأطفال ، لكنه لا يمارس هذا بذاته بل بالله نفسه

الذى يعمل فى خدامه ، إذ يدخل إلى قلوب المخدومين فيقودها بنفسه ويضيىء فى داخلها ويهذبها ويدربها كأطفال صغار . وقد جاء السيد المسيح متجسداً ليقوم بهذا الدور التربوى الروحى ، لا خلال تقديم وصايا فحسب وإنما تغيير القلب وتجديده على الدوام .

+ معلم الأطفال الكامل صار طفلًا بين الأطفال لكى يهب حكمة للأغنياء .

القديس كيرلس الأورشليمى [٧٧]

ثالثا : لا يقف الرسول عند استخدام ذات تعبيراتهم لتوبيخهم لأنهم إحتلوا مركز المعلمين للعالم الوثنى وهم لا يمارسون شيئاً مما يعلمون به وإنما انتقل بهم إلى إتهامهم انهم يهينون الله نفسه الذى يظنون أنهم يعلمون الآخرين عنه . إذ يقول : « **فأنت إذن الذى تعلم غيرك ألست تعلم نفسك ؟ ؟ الذى تكرز ألا يُسرق أتسرق ؟ ! الذى تقول أن لا يُزنى أتزنى ؟ ! الذى تستكره الأوثان أتسرق الهياكل ؟ ! الذى تفتخر بالناموس أبتعدى الناموس تهين الله ؟ ! ع ٢١ ــ ٢٣ .**

اهتم معلموا اليهود بالوعظ دون الحياة ، ففقدت الكلمة قوتها ، لهذا يحث الرسول بولس تلميذه ثيموثاوس الأسقف : « كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الايمان فى الطهارة ، إلى ان أجىء اعكف على القراءة والوعظ والتعليم ... لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك ، لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً ١ تى ٤ : ١٢ ، ١٣ ، ١٦ .

+ من يقوم بدور قيادى يلزم أن يكون أكثر بهاءً من أى كوكب منير .

القديس يوحنا الذهبى الفم

رابعاً : لا يقف الأمر عند إهانتهم لله خلال تعليمهم بشيء وسلوكهم بآخر ، وإنما يستند الرسول إلى الأنبياء ليكيل لهم إتهاماً جديداً : « **لأن إسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم** » ع **٢٤** (إش ٥٢ : ٥ ، حز ٣٦ : ٢٠ ، ٢٣ ، ٢ صم ١٢ : ٢٤) .

وربما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [اليهود لا يتواقحون على الله فحسب بل يدفعون الآخرين على ذلك ... يدفعونهم إلى التجديف [٧٨]] .

ولكى لا نسقط نحن فى ذات هذا الخطأ علمنا ربنا يسوع أن نصلى قائلين : « ليتقدس إسمك » ، فانه لا يوجد حّل وسط أما ان يتقدس إسم الله فينا أو يجدف عليه بسببنا .

+ إسم الله قدوس بطبيعته ، قلنا أو لم نقل ، لكنه أحيانا يتدنس بين الخطاة ... لذلك نصلى أن يتقدس إسم الله ، لا بأن يصير مقدساً كما لو كان غير مقدس ، وإنما أن يتقدس فينا عندما نتقدس نحن ونعمل ما يليق بالقداسة .

القديس كيرلس الأورشليمى [٧٩]

خامساً : ما هى غاية اليهودى فى تعليمه الأممى ؟ أن ينزعه من الغرلة لينقله إلى أهل الختان ، ومن إنسان بلا ناموس إلى إنسان تحت الناموس . هذا الهدف يحققه اليهودى لكن فى شكلية بلا روح . هذا ما أعلنه الرسول بولس كاشفاً عن نوعين من الختان ، ونوعين من الغرلة وأيضاً نوعين من الناموس . فاليهودى يهتم بنزع غرلة الجسد لا الروح ، وممارسة ختان الجسد لا الروح والاستماع للناموس والفخر به دون الحياة به عملياً . هكذا يميز الرسول بين الغرلة حسب الجسد ، والغرلة حسب الروح ، وأيضا بالنسبة للختان ، وبين الاستماع للناموس وممارسته . فاليهودى يهتم بالجسد والمظهر الخارجى فى حياته وأيضاً فى تعليمه للأممى ، لذلك يقول :

« **فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس ، ولكن إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة .**

إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس ، أفما تُحسب غرلته ختانا ؟ ! وتكون الغرلة التى من الطبيعة وهى تكمل الناموس تدينك أنت الذى فى الكتاب والختان تتعدى الناموس ؟ !

لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهودياً ، ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختاناً ،

بل اليهودى فى [illegible] اليهودى ، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان ، الذى مدحه ليس من الناس بل من الله » [illegible] .

ويلاحظ فى هذا النص الرسولى الآتى :

أ ــ يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** [٨٠] أن الرسول يشبه قاضياً يريد أن يصدر حكماً على أشخاص ذوى رتب ، فكان يليق به أولًا أن يجردهم من رتبهم وعندئذ يحكم عليهم ، هكذا جرد الرسول اليهود من ميزاتهم إذ كشف عن حقيقة أمرهم أنهم غير مختونين بالروح ولا متمتعين بالناموس روحياً إنما يعيشون فى غرلة روحية رغم ختانهم بالجسد ... هكذا جردهم لكى يعلن دينونتهم .

بهذا لم يقلل الرسول من شأن الختان ، ولا أعطى للغرلة فوزاً على الختان ، إنما أوضح ان مختون الجسد قد يكون فى غرلة من جهة الروح ، وأيضا من فى غرلة الجسد قد يكون مختوناً فى الداخل روحياً ؛ وهكذا قد يصبح الختان غرلة والغرلة ختانا !

+ كيف يصير الإنسان فى غرلة بعد أن يُختتن ؟ ! يقول (الرسول) ليته لا يكون هكذا ؛ ليته لا يعيش كما لو كان أغلف ، أى كما لو كان قد اكتسى مرة أخرى باللحم الذى قُطع منه ، فلم يعد يهودياً .

القديس أغسطينوس [٨١]

+ يتفق هذا مع قوله : « دُعى أحد وهو مختون فلا يصر أغلف » ١ كو ٧ : ١٨ . لقد كان يهودياً ودعى مختوناً فليته لا يشاء أن يصير أغلف ، أى لا يعيش كمن هو ليس مختوناً .

القديس أغسطينوس [٨٢]

+ عندما يخطىء اليهودى يصير ختانه غرلة ، وعندما يعمل الأممى باستقامة تُحسب غرلته ختاناً . فالأمور التى يظن انها طاهرة تُحسب دنسة بالنسبة لمن لا يستخدمها بلياقة ...

العلامة أوريجانوس [٨٣]

لقد سبق فتحدث أرميا النبى بوضوح عن ختان القلب والأذن ... الأمر الذى نرجو ان نعود إليه فى تفسيرنا لسفر أرميا إن شاء الرب .

ب ــ يرى **العلامة أوريجانوس** فى تعليقاته على إنجيل متى أن هذا النص الرسولى يود أن يوضح بأن اليهودى الحقيقى ــ ليس حسب الجنس وإنما بالروح كرجل الله ــ

هو ذاك الذى يُنتسب للسيد المسيح ، إذ يقول ان كلمة « يهود » جاءت منتسبة ليهوذا بن يعقوب ، لكنها الآن بالروح تخص من ينتسب لذاك الذى تجسد من سبط يهوذا ... هذا هو اليهودى فى الخفاء الذى له ختان القلب بالروح .

بنفس المعنى يقول **البابا غريغوريوس** (**الكبير**) : [الآن أسأل : ما هو إسرائيل اليوم ؟ يجيب الرسول : الذين يسلكون بالروح لا بالحرف ، يسلكون فى ناموس المسيح ، هم إسرائيل الله (٨٤)] .

أما سمة هذا اليهودى الروحى أو إسرائيل الجديد فهى : « **الذى مدحه ليس من الناس بل من الله** » ع **٢٩** . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لست أمنعك من شهوة المجد إنما أور لك المجد الحقيقى النابع عن الله ... لنكن أتقياء فى الخفاء ، لا أن نتثقل بالاستعراضات والمظاهر والرياء . لنخلع بالحرى ثياب الحملان ولنكن بالحقيقة حملان . ليس شيء أتفه من المجد البشرى . إن رأيت أطفالًا صغاراً ، رضّع ، فهل تشتهى مجداً منهم ؟ ! هذا هو الحادث بالنسبة لكل البشر بخصوص المجد ، لهذا دعى « المجد الباطل » (٨٥)] .



بعد عرض الرسول لعلاقة البشرية بالله إنتهى إلى هذا الأصحاح ليعلن أنه وإن إختلفت خطايا البشر عن بعضهم البعض ، لكن النتيجة واحدة ، وهى سقوط الكل تحت نير الخطية ، أى إعلان أن الكل غير بار ويحتاج إلى تبرير حقيقى فعّال .

بمعنى آخر جاء هذا الأصحاح أشبه بحكم عام على البشرية كلها انها بلا برّ حقيقى ، فى عوز إلى من يبررها .

١ ــ الإتهام : عدم أمانتنا مع أمانة الله   ١ ــ ٨ .

٢ ــ علة الإتهام : الكل بلا برّ   ٩ ــ ٢٠ .

٣ ــ الحكم : دينونة الكل والحاجة إلى تبرير عام   ٢١ ــ ٣١ .

+ + +

١ ــ الإتهام : عدم أمانتنا مع أمانة الله

الإتهام الموجة للبشرية كلها : انها بلا برّ أى بلا أمانة فى قبول وعد الله لها بالرغم من برّ الله فى وعده لها ؛ فى هذا يشترك اليهودى مع الأممى ، ويتساوى الكل .

هذا الإتهام قد يسيىء اليهود فهمه فيحسبونه مستهيناً بما نالوه من إمتيازات ، لذلك جاء الإتهام مفصلاً بطريقة لائقة لا تجرح مشاعرهم ، يمكن تلخيصه فى النقاط التالية :

أولًا : إن كان الأممى قد كسر الناموس الطبيعى فهلك (ص ١) ، واليهودى كسر الناموس المكتوب وإستهان بالختان الروحى فسقط فى دينونة أكثر مرارة من التى يسقط تحتها الأممى ... فما الحاجة إذن لإختيار الله لشعبه ؟ وتقديمه عهد الختان والناموس المكتوب ؟ هذا هو التساؤل الذى وضعه الرسول بولس فى نهاية حديثه عن ما بلغ إليه الأممى واليهودى ، لئلا يظن القارىء أن بولس الرسول يستهين بنعم الله وعطاياه فى العهد القديم . لذلك يقول الرسول :

« إذاً ما هو فضل اليهودى ؟ أو ما هو نفع الختان ؟
كثير على كل وجه ، أما أولًا فلأنهم أستُومنوا على أقوال الله .
فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء ؟ أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله ؟
حاشاً ، بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً ، كما هو مكتوب : لكى تتبرر فى كلامك وتغلب متى حوكمت » ع ١ — ٤ .

لقد خشى الرسول أن يُساء فهم حديثه السابق ، فيظنه البعض أنه يقلل من شأن معاملات الله مع شعبه خاصة تقديمه ناموسه كعطية يؤتمنوا عليها ، أو اختيارهم كشعب مقدس له ، أو دخوله فى عهد معهم مقدماً الختان علامة عهد ... لذلك أسرع ليؤكد أن العيب لا فى العطية ولا فى العاطى وإنما فى عدم أمانة من تسلمها ... بمعنى آخر انه ينتقد تصرف اليهود نحو نعم الله لا نعم الله فى ذاتها ، فإن الله فى أمانته قدم عطايا إلهية ونعم مجانية مقدسة ، لكن الإنسان فى غير أمانة أساء إستخدامها وأفسد عملها فى حياته .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على عبارات الرسول هذه ، قائلًا :

[إن كان المقصود هو أن كل هذه الأشياء بلا قيمة ، فلماذا دُعى الشعب ؟ ولماذا أُقيم عهد الختان ؟

ماذا يفعل الرسول هنا ؟ وكيف يحل هذه المشكلة ؟

يحلها بنفس الطريقة التى سبق فإتبعها ، إذ تغنى بهبات الله لا بفضل اليهود ، فبكونهم يهوداً عرفوا إرادة الله وأدركوا الأمور الأسمى ، ذلك ليس بفضل عملهم الذاتى إنما هو عمل نعمة الله . وكما قال المرتل فى المزمور : « لم يصنع هكذا بإحدى الأمم

وأحكامه لم يعرفوها . وكما أعلن موسى بسؤاله : « هل جرى مثل هذا الأمر العظيم ؟ أو هل سُمع نظيره ؟ هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش ؟ » تث ٤ : ٣٢ ، ٣٣ . هذا ما يفعله بولس هنا ، إذ إتبع ذات الوسيلة إذ قال بأن الختان ذو نفع إن أُقترن بفعل الصلاح (رو ٢ : ٢٥) ولم يقل ان الختان بلا نفع ، لذلك تساءل : إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة (رو ٢ : ٢٥) . كأنه يقول : يامن أختتنت صار ختانك غرلة ، ولم يقل : يامن أختتنت ختانك بلا نفع على الإطلاق . بهذا يطيح بالأشخاص ويؤيد الناموس ؛ هذا ما يفعله هنا إذ بعدما تساءل : **ما هو فضل اليهودى ؟** لم يجب بالنفى ، بل أكدّ فضله ليعود فيدحضهم موضحاً عقوبتهم خلال الميزات التى نالوها .

أردف السؤال بسؤال ، قائلًا : **أو ما هو نفع الختان ؟**

ويجيب على السؤالين ، قائلًا : « **كثير على كل وجه ، أما أولًا فلأنهم أُستؤمنوا على أقوال الله** » .

ترون إذن أنه فى كل مناسبة يعدد نعم الله لا أفضال اليهود .

ما معنى : « أُستؤمنوا » ؟ معناها أن الناموس قد وُضع بين أيديهم ، لأن الله جعل لهم قيمه فأقامهم أمناء على أقواله التى نزلت من فوق . بقوله هذا يقيم شكوى ضدهم ، إذ يهدف إلى إظهار نكرانهم للفضل بالرغم من المزايا التى وُهبت لهم .

يستطرد فيقول : « فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء ، أفلعل عدم أمانتهم تبطل أمانة الله ؟ حاشاً » ع ٣ ، ٤ .

لاحظوا هنا كيف يبرز الإتهام فى شكل إعتراض ، وكأنه يقول : رب معترضٍ يتساءل : ما نفع الختان إذاً ماداموا قد أساءوا إستخدامه ؟ وهو لا يقف هنا موقف المشتكى العنيف ، إنما موقف من يلتزم بتبرير الله من الشكاوى الثائرة ضده ، فيحولها من ضد الله إلى ضد اليهود . يقول لهم : لماذا تتذمرون من أن البعض لم يؤمنوا ؟ كيف يؤثر هذا فى الله من جهة عطاياه ، فهل نكران مستخدميها يغيّر من

طبيعتها ؟ أو يجعل من الأمر المكرم هواناً ؟ هذا هو معنى تساؤله : « أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله ؟ يجيبهم : حاشا . وكأنه يقول : لقد أكرمت فلاناً ، فلم يقبل إكرامى ، فهل يُحسب عدم قبوله الإكرام علة شكوى ضدى ؟ ! أو يقلل هذا من إكرامى ؟ ...

تأملوا إذن كيف وضعهم الرسول فى قفص الإتهام خلال ذات الأمور التى ينتفخون بها ! ... لقد عمل الله ما فى وسعه أما هم فلم يعرفوا أن ينتفعوا بأعماله معهم ، إذ يردد قول المرتل فى المزمور : « لكى تتبرر فى كلامك وتغلب متى حوكمت » (٨٦)] .

[أنظروا إلى خطة بولس فإنه لم يتهم الكل بعدم الأمانة بل قال « **إن كان قوم** » ع **٣** هؤلاء كانوا غير أمناء ، وهكذا يبدو الرسول غير قاسٍ فى إتهاماته حتى لا يظهر كعدو (٨٧)] .

هكذا لم يحتقر الرسول من العطايا الإلهية سواء بالنسبة للختان كعلامة للعهد الإلهى ان فهم روحياً وأيضا لعطية الاقوال الإلهية ، إنما يهاجم عدم أمانة الإنسان الأمر الذى لا يبطل أمانة الله .

لم يتجاهل رجال العهد الجديد عطايا الله لرجال العهد القديم ، خاصة أقوال الله ، ففى خطاب الشماس اسطفانوس جاء حديثه عن موسى النبى هكذا : « الذى قبل أقوالًا حية ليعطينا إياها » أع ٧ : ٣٨ .

فى حب قدم الله اقوالًا حية تحمل المواعيد الإلهية ، لكن الانسان قابل الحب بالجمود ، فعصى أقوال الله ، وتجاهل حفظها روحياً وعملياً بالرغم من افتخاره بها وتمسكه بحفظها فى حرفيتها ... ومع هذا يبقى الله أميناً فى تحقيق ما وعد به .

رفض الانسان اليهودى « الحق » برفضه وعود الله الواردة فى أقواله خاصة ما جاء بالنسبة للمسيا المخلص ، فحُسب كاذباً ، أما الله فيبقى صادقاً يحقق ما وعد به .

هذا ويقدم لنا **القديس جيروم** تفسيراً روحياً لعبارة : « **ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً** » ع **٤** ، معلناً انه مادام الانسان يسلك بفكره وامكانياته البشرية

الذاتية انما يعيش بالكذب ، لكنه متى إلتقى بالله « الحق » وحمل سماته ويحسب إبناً لله يتعم بالحق فيه فيكون بالله صادقاً ، إذ يقول : [إنسان القداسة يصير إلهاً ، بهذا يكف عن أن يكون إنساناً ينطق بالكذب (٨٨)] .

ويرى **القديس كيرياتوس** خلال ذات العبارة انه لا يليق بنا أن نيأس حين نرى البعض يتحرف عن الإيمان أو ينكره ، إنما كرجال الله نتشدد ونسلك بالحق حتى وإن سلك كثيرون بالكذب ، فمن كلماته :

[إن كان كل إنسان كاذباً والله وحده صادق يليق بنا نحن خدام الله ، خاصة الكهنة ، ماذا نفعل سوى أن ننسى الأخطاء البشرية والكذب ونستمر فى حق الله ونحفظ وصايا الرب ؟ ! (٨٩)] .

[إختار الرب يهوذا من بين الرسل ، وقد خان يهوذا الرب ، فهل ضعف إيمان الرسل أو وهن ثباتهم لأن يهوذا الخائن قد فشل فى تبعيتهم ؟ ! هكذا فإن قداسة الشهداء وكرامتهم لا تنقصان لأن إيمان البعض قد تحطم (٩٠)] .

[ينصحنا بولس أيضا ألا نضطرب حين يهلك الأشرار خارج الكنيسة ، ولا يضعف إيماننا بمفارقة غير المؤمنين لنا ... فمن جانبنا يلزمنا أن نجاهد ألا يهلك أحد تاركاً الكنيسة بسبب خطأ إرتكبناه ، لكن إن هلك أحد بإرادته وخطيته ولا يود العودة أو التوبة والرجوع إلى الكنيسة فاننا لا نُلام فى يوم الدين مادمنا كنا مهتمين بإصلاحه إنما يسقط هو وحده تحت الدينونة لرفضه العلاج بنصيحتنا الصالحة (٩١)] .

ويقدم لنا **الأب بولاس أسقف بوبا** Bobba بموريتانيا ذات الفكر قائلًا إنه يلزم ألا نضطرب حين يرفض إنسان إيمان الكنيسة (٩٢) .

يرى **القديس أغسطينوس** ان الكذب هنا يعنى الفراغ والصدق أو الحق يعنى الملء ، إذ يقول : [الله الملء والانسان فارغ . إن أراد أحد ان يمتلىء فليذهب إلى ذاك الذى هو الملء : « تعالوا الىّ واستنيروا » (راجع مز ٣٤ : ٥) . فإن كان الانسان كاذباً فهو بهذا فارغ يطلب أن يمتلىء فيجرى بسرعة وغيرة نحو الينبوع ليمتلىء (٩٣)] .

يقول أيضا : [عندما يعيش إنسان حسب الحق يعيش لا حسب نفسه بل حسب الله القائل : « أنا هو الحق » يو ١٤ : ٦ . من يحيا حسب نفسه ـــ أى حسب الانسان لا الله ـــ فبالتأكيد يعيش حسب الكذب ، ليس لأن الإنسان نفسه كذب إذ الله موجده وخالقه وهو بالتأكيد ليس موجداً للكذب ولا خالق له انما لأن الإنسان الذى خُلق مستقيماً لكى يحيا حسب الله خالقه لا حسب نفسه ، أى يتمم ارادة الله لا إرادته الذاتية ، صار يعيش بغير ما خُلق ليعيش به ، وهذا هو الكذب ... لذلك لم يُقل ان كل خطية هى كذب باطلًا (٩٤)] .

ثانياً : إذ عالج الرسول المشكلة الأولى وهى : ما نفع بركات الله ونعمه على اليهودى ، إن كان اليهودى قد أساء إستخدامها ، فصارت البركات وهى مقدسة ومباركة علة عقوبة أعظم لمن أساء إستخدامها ؟ إذ أظهر الرسول ان بعضاً منهم كانوا غير أمناء لكن يبقى الله أميناً بالرغم من عدم أمانتهم ، وأنه لا يليق أن نشين كرامة واهب النعم إن أساء من قبلها استخدامها ، الآن يعالج الرسول مشكلة أخرى مشابهة للأولى ومكملة لها وهى كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الوثنين قد استهانوا بكلمات الرسول بولس : « حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا » ... فحسبوا أن النتيجة الطبيعية لذلك هى أننا نخطىء لكى تزداد النعمة ، أو بمعنى آخر لنكن غير أمناء فتتجلى أمانة الله .

يقول الرسول : « **ولكن إن كان إثمنا يبين برّ الله ، فماذا نقول : ألعل الله الذى يجلب الغضب ظالم ؟ أتكلم بحسب الإنسان : حاشاً ، فكيف يدين الله العالم إذ ذاك ؟ ! فإنه إن كان صدق الله قد إزداد بكذبى لمجده ، فلماذا أُدان أنا بعد كخاطىء ؟ ! أما كان يفترى علينا ، وكما يزعم قوم أننا نقول : لنفعل السيئات لكى تأتى الخيرات ، الذين دينونتهم عادلة** » ع ٥ ـــ ٨ .

نستخلص من هذا النص الآتى :

أ ـــ عدو الخير لا يتوقف عن محاربة خدمة السيد المسيح بكل طرق ، فإن كان اليهود يهاجمون الكرازة بدعوى أن الرسول بولس يهين الناموس ويستخف بالختان ويقاوم أمة اليهود ، فإن الأمم من جانبهم أيضا يقاومون هذا العمل بإساءة فهمه

حاسبينه أنه ينادى بفعل السيئات لكى تأتى الخيرات ، وكأن الشر هو علة الخير ، وعدم أمانتنا هو مجد لأمانة الله ، وهذا بلا شك إفتراء كاذب ... لذا إذ يعلن الرسول عن سقوط العالم كله فى الشر ليتحدث عن حاجة الجميع إلى المخلص يوضح أنه لا ينادى بما أُتهم به ، مظهراً أن هذا القول يستلزم أحد أمرين : أما أن يكون الله غير عادل لأنه يجازى الإنسان على شره وعدم أمانته وهو علة نصرة الله ومجده ، أو أنه إن لم يعاقبنا تقوم نصرته على رذائلنا ... وكلا الأمران ممقوتان عند الرسول .

ب ـــ يود الرسول تأكيد ان الله الذى يتمجد حتى فى شرنا بإعلان بره وحبه للخطاة لا يعفى الانسان من مسئوليته عن ارتكابه للإثم ، فقد اعتاد الانسان منذ بدء سقوطه ان يلقى باللوم على غيره كما فعل آدم الذى ألقى باللوم على المرأة التى جعلها الله معه (تك ٣ : ١٢) وكما فعلت حواء التى ألقت باللوم على الحية .

يقول الرسول : « **أتكلم بحسب الانسان** » ع **٥** ، وكأنه إذ يلتزم بتقديم هذا الاعتراض الذى يخطر على فكر البعض انما يتكلم كإنسان متكابر على الله ، إذ ينسب لله الظلم فى ادانته للانسان الأثيم ويفتح الباب للانسان ان يتمادى فى ارتكاب الآثام بحجة اعلان « برّ الله » ... لهذا جاءت هذه الرسالة تؤكد أن برّ الله وأمانته فى مواعيده وفيض نعمته على الخطاة ليست فرصة للشر ، إذ يقول : « أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ؟ حاشا ، نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها ؟ ! » رو ٦ : ١ ، ٢ .

جـ ـــ يعلق **القديس أكليمندس الإسكندرى** [٩٥] على العبارات الرسولية التى بين أيدينا موضحاً ان الله يوقع العقوبة ليس عن انفعال إنما لتحقيق العدالة ، فالأثيم يختار لنفسه ان يسقط تحت العقوبة بكامل حريته ، هو الملوم لا الله .

٢ ـــ علة الإتهام : الكل بلا برّ

الآن بعد أن ردّ على اليهود الذين إتهموا الرسول انه يستخف بعطايا الله لهم كيهود أهل الختان وأصحاب الناموس ، كما ردّ على الأمميين الذين حسبوه ينادى بفعل الشر لكى يجلب الخير ، بدأ يؤكد من جديد فساد البشرية كلها ليعلن حاجة الكل الى طريق واحد للخلاص ، هو التمتع ببر المسيح خلال الايمان بفدائه ، إذ يقول :

« فماذا إذاً ، أنحن أفضل ؟ كلا البتة . لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية .

كما هو مكتوب : انه ليس بار ولا واحد ، ليس من يفهم ، ليس من يطلب الله .

الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد .
حنجرتهم قبر مفتوح ، بألسنتهم قد مكروا . سّم الأصلال تحت شفاههم ، وفمهم مملوء لعنة ومرارة .

أرجلهم سريعة إلى سفك الدم ، فى طرقهم اغتصاب وسحق ، وطريق السلام لم يعرفوه .

ليس خوف الله قدام عيونهم » ع ٩ ـــ ١٨ .

الآن إذ يعلن فساد البشرية كلها يلجأ إلى رجال العهد القديم ليقتطف كلماتهم التى تؤكد ذلك :

يلجأ إلى داود النبى القائل : « **ليس من يفهم ، ليس من يطلب الله** » مز **١٤ : ٢** (الترجمة السبعينية) ، وقد جاءت الترجمة العبرية : « هل مِن فاهم طالب الله ؟ ! » فإذ أخطأ الكل فى حق الله إنطمست عيون أذهانهم فلَمْ تعد تستطيع أن تراه ولا أن تدرك أسراره الإلهية كآدم الذى أخطأ فصار غير قادر على ادراك محبة الله واصبح هارباً من وجهة لا يقدر أن يطلبه . لكن هل ينطبق هذا على اليهود الذين صارت لهم معرفة الله بالناموس ويطلبونه خلال طقوسهم وعبادتهم غير المنقطعة ؟ يجيب المرتل : « ليس من يفهم ، ليس من يطلب الله » ، غير مميز اليهودى عن الأممى ، لأن اليهودى فى حرفيته لم يستطع ادراك أعماق الناموس وغايته الإلهية كما تحولت الطقوس إلى شكليات لا تمس القلب ليدرك الله ويعاينه .

ويقتطف من نفس المزمور : « **الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد** » مز ١٤ : ٣ . مرة أخرى يؤكد أن « الجميع » بلا تمييز بين يهودى أو أممى إذ لم يفهموا ولا طلبوا سقوطا فى « الفساد » ولم يعد للصلاح

موضعاً فيهم . هذا أيضاً ما يعلنه إشعياء النبى القائل : « كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحدٍ إلى طريقه » إش ٥٣ : ٦ .

بعد أن تحدث عن فساد الكل بوجه عام بدأ يعلن فساد الإنسان فى كليته ، فتحولت الحنجرة إلى قبر مفتوح (مز ٥ : ٩) تخرج رائحة موت ونتانة ، وانشغل اللسان بالمكر ، والشفاة تحولت إلى مخزن خفى لسّم الأصلال (مز ١٤٠ : ٣) ، وفمهم ينبوع لعنة ومرارة (مز ١٠ : ٧) ، وأرجلهم تسرع إلى سفك الدم (إش ٥٩ : ٧ ، أم ١ : ١٦) لا تعرف طريق السلام بل طريق السحق والمشقة ، أما أعماقهم ففقدت البصيرة الداخلية فلم يعد خوف الله أمام عيونهم (مز ٣٦ : ١) . وكأن الفساد قد دبّ فى حياة الإنسان الداخلية كما فى أعضائه الظاهرة .

٣ ـــ الحكم : دينونة الكل والحاجة إلى تبرير عام

إن كان الذين بلا ناموس مكتوب قد سقطوا تحت الهلاك ، والذين تحت الناموس قد صاروا تحت الدينونة ، فكيف يمكن الخلاص ؟

يقدم لنا الرسول بولس العلاج معلناً الحاجة إلى المخلص الذى يقدم حياته فدية عن العالم كله ، واهبا البّر الإلهى لمؤمنيه ... ويلاحظ فى هذا العلاج الآتى :

أولًا : يقول الرسول : « **وأما الآن فقد ظهر برّ الله بدون الناموس** » ع **٢١** . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لا يكتفى بقوله « البّر » إنما يصفه « برّ الله » مظهرا مدى النعمة وعظمة الوعد مادام الله هو مصدرهما] .

ان كان الانسان قد فشل فى نوال البرّ خلال الناموس الطبيعى أو الناموس المكتوب ، إذ ظهر كاسراً للناموس ، فإن الله قدم برّه لنا ، باتحادنا مع الآب فى إبنه البار الذى بلا خطية ، نحمله فى داخلنا ، ويحملنا هو فيه ، فنحسب به أبراراً . فالبر الذى صار لنا ليس وليد جهادنا الذاتى ولا طاعتنا الذاتية ، إنما هو ثمرة عمل روحه القدوس الذى يهبنا الشركة مع الآب فى إبنه ، فنحمل سمات الإبن فينا ، ويصير بره براً لنا .

بمعنى آخر إذ فقد الكل « البرّ » صارت الحاجة إلى برّ الله ، الأمر الذى تحدث عنه الله بلسان النبى إشعياء :

« إسمعوا لى يا اشداء القلوب البعيدين عن البرّ ، قد قربت برّى ، لا يبعد ، وخلاصى لا يتأخر » إش ٤٦ : ١٢ ، ١٣ .

« قريب برّى ، قد برز خلاصى ... أما خلاصى فإلى الأبد يكون ، وبرّى لا يُنقض ... أما برى فإلى الأبد يكون وخلاصى إلى دور الأدوار » إش ٥١ : ٥ — ٨ .

« احفظوا الحق واجروا العدل ، لأنه قريب مجىء خلاصى واستعلان برى » إش ٥٦ : ١ .

ثانياً : بقوله : « **ظهر برّ الله** » . وليس « قدم برّ الله » يعلن أن هذا البر الإلهى ليس جديداً ، إنما هو فى ذهن الله يود أن يقدمه لنا ، إنما فى الوقت المعين ، لذا يقول : « مشهوداً له من الناموس والأنبياء » . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [يود أن يقول لهم : لا تضطربوا لأنكم لم تنالوا قبل الآن ، ولا تفزعوا ... لأن الناموس والأنبياء أشاروا إليه منذ القديم (٩٦)] .

هذا البر الذى أنبأ الله به على أفواه الأنبياء أعلنه فى إبنه يسوع المسيح البار لحسابنا ، إذ يقول : « **برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى الذين يؤمنون ، لأنه لا فرق** » ع **٢٢** . أشار الأنبياء على البر من بعيد ، اما المسيح فهو وحده جاء نائباً عنا لكى إذ يحمل المؤمنين فيه ينعمون ببر الآب الذى هو أيضاً برّ الإبن . هذا ما اعلنه السيد فى صلاته الوداعية : « أنا مجدتك على الأرض ، العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته ، والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم » يو ١٧ : ٤ ، ٥ . **هذا المجد الأزلى الذى له** ، يحمله الآن وهو فى الجسد كبرّ إلهى ليكون لنا براً نعيشه ونمارسه ، فنقول « الرب برنا » أر ٢٣ : ٦ ؛ ٣٣ : ١٦ ؛ ٥١ : ١٠ .

ثالثاً : جاء الحكم : « **إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله** » ع **٢٤** ، جاء حكماً جامعاً وشاملاً لليهود وللأمم .

في موضع آخر يضم الرسول نفسه بين الخطاة بل ويحسب نفسه « أول الخطاة » ١ تى ١ : ١٥ ، بينما نجده أيضا يقول : « من جهة البرّ الذى فى الناموس بلا لوم » فى ٣ : ٦ . فكيف يحسب نفسه أول الخطاة وفى نفس الوقت بلا لوم من جهة البرّ الذى فى الناموس ؟ يجيب **القديس يوحنا الذهبى الفم** انه بالنسبة لبرّ الله يُحسب حتى الذين يتبررون فى الناموس خطاة . ويشبه ذلك بإنسان جمع مالًا وحسب نفسه غنياً لكنه متى قارن نفسه بالملوك يظهر فقيراً للغاية وأول الفقراء . [بالمقارنة بالملائكة يُحسب حتى الأبرار خطاة ، فإن كان بولس الذى مارس البرّ الذى فى الناموس هو أول الخطاة فأى إنسان آخر يحسب نفسه باراً ؟ ! (٩٧)] .

يقول **القديس أغسطينوس** : [جاء المسيح للمرضى فوجد الكل هكذا . إذن لا يفتخر أحد بصحته لئلا يتوقف الطبيب عن معالجته ... لقد وجد الجميع مرضى ، لكنه وجد نوعين من القطيع المريض ؛ نوع جاء إلى الطبيب والتصق بالمسيح وصار يسمعه ويكرمه ويتبعه فتغيرّ ... أما النوع الآخر فكان مفتتناً بمرض الشر ولم يدرك مرضه ، هذا النوع قال لتلاميذه : « لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟ ! » مت ٩ : ١١ . وقد اجابهم ذاك العارف لهم ولحالهم : « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » (٩٨)] .

إن كان الرسول يعقوب يقول : « من عثر فى واحدة فقد صار مجرماً فى الكل » يع ٢ : ٧ ، فمن من البشرية لم يعثر فى واحدة ؟ ! إذن الكل يحتاج إلى الطبيب ، إذ صاروا فاقدين للمجد الحقيقى : « أعوزهم مجد الله » .

صارت البشرية كلها فى حالة عوز وجوع الى « المجد » ، لكن للأسف أرادوا أن يشبعوا بمجد الناس لا الله (يو ١٢ : ٤٣) .

رابعاً : يبلغ الرسول إلى غاية حديثه ، وهو حتى وإن جُرح اليهودى فاقداً المجد الإلهى لأن الناموس صار فاضحاً لخطاياه عوض أن يكون مبرراً له وممجداً ، لكنه يتمتع مع الكل بعمل المسيح الفدائى خلال الدم بخطة إلهية سبق فأعدها لتظهر فى ملء الأزمنة ، إذ يقول : « **متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لإظهار بره** » ع **٢٤** .

ان كان الحكم جماعياً بان الكل بلا استثناء قد فقد « المجد » الحقيقى وسقط فى الفساد الداخلى والخارجى ، لكن الطبيب يقدم العلاج « مجاناً » ، لا لأنه علاج رخيص وانما لأن ثمنه لا يقدر ، لا يستطيع أن يدفعه سوى الابن الذى بنعمته قدم حياته كفارة عنا لاظهار بره فينا . لذلك وقف السيد المسيح ينادى : « من يرد فليأخذ ماء الحياة مجاناً » رؤ ٢٢ : ١٧ ، أى ماء نعمته المجانية .

لقد جاء السيد المسيح « **كفارة** » عنا ، وهو مبدأ سبق فهيأ له فى العهد القديم ، فقد هيأ الله كبشاً لابراهيم يصعده محرقة عوضا عن إبنه (تك ٢٢ : ١٣) أو كفارة عنه . وقد أمر الله موسى أن يقدم كل واحد فدية نفسه للرب (خر ٣٠ : ١١) ، أما فى العهد الجديد فيقول الرسل :

« هو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» ١ يو٢:٢.
« هو أحبنا وأرسل إبنه كفارة لخطايانا » ١ يو ٤ : ١٠ .
« الذى لنا فيه الفداء (الكفارة) بدمه غفران الخطايا» أف ١:٧ ، كو ١:١٤.
« عالمين انكم افتديتم لا بأشياء تفنى ... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح » ١ بط ١ : ١٩ .

خامساً : بقوله : « **ليكون باراً ويبرر من هو بالإيمان بيسوع المسيح** » ع **٢٦** ، يعلن أن بره سهل المنال ، يمنح للجميع . لذلك يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** مشجعاً كل مؤمن ليتمتع ببر المسيح ؛ [لا تتشكك إذن ... ولا تبتعد عن برّ الله لأنه بركة سهلة المنال وممنوحة للجميع بلا إستثناء . لا تخجل ولا تخزى ، لأنه إن كان الله يعلن استعداده أن يفعل هذا لك ، بل ويفرح بذلك ويعتز ، فكيف تغتم أنت وتخزى وتخفى وجهك خجلًا مما يتمجد به سيدك ؟ ! [٩٩]] .

هذا هو عمل الله القدوس وشهوة قلبه ، إنه كقدوس يوّد أن يقدس الكل ، وقادر على ذلك لكن ليس بدون إرادتنا . يقول **القديس أغسطينوس** : [الله قدوس ويقدّس ، الله بار ويبرر [١٠٠]] .

سادساً : ينتهز الرسول هذه الفرصة ليعود فيؤكد أن برّ المسيح لا يتحقق بأعمال الناموس بل بالإيمان ، قائلًا : « **فأين الإفتخار ؟ قد إنتفى . بأى ناموس ؟**

أبناموس الأعمال ؟ كلا ، بل بناموس الإيمان » ع ٢٧ . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [لو كان للناموس فاعلية لظهرت قبل مجيء (الفادى) ، أما الآن وقد جاء الفادى فإنه لا يطلب غير الإيمان ، إذ زالت الحاجة إلى عمل الناموس . ومادام الكل قد سقطوا فقد جاء ليفتديهم بنعمته ، وقد جاء الآن لهذا السبب . فلو أنه جاء قبل ذلك لتحاجوا بأنه من الممكن أن يخلصوا بجهادهم الذاتى وصلاحهم طوعاً للناموس ... كأنهم أشبه بإنسان صدر عليه الحكم بالإعدام ، وبينما هو مُساق إلى المشنقة صدر العفو الملكى لكنه تواقح هذا الانسان مدعياً أنه خلص نفسه بنفسه ، أفلا يسخر به الآخرون ، قائلين : كان الأولى به أن ينطق بهذا وهو فى الطريق إلى المشنقة قبل صدور العفو ، أما وقد شمله العفو الملكى فلا مجال له للإفتخار . هذا هو حال اليهود إذ خانوا العهد مع أنفسهم وجاء المسيح يفديهم نازعاً عنخم سبيل الإفتخار . لأن ذاك الذى وصف نفسه أنه معلم الأطفال ومهذب الأغبياء وله صورة العلم والحق فى الناموس وجد نفسه فى حاجة إلى معلم ومخلص تماماً كالذين يدعى انه يعلمهم ، فكيف يفتخر بعد ؟ !] (١٠١) .

سابعاً : إن كان الرسول يؤكد من وقت إلى آخر أنه لا خلاص بأعمال الناموس الحرفية كالختان والغسالات والتطهيرات ، إنما « **بناموس الإيمان** » ع ٢٧ لنتعم ببرّ المسيح ... فإنه يؤكد ان للإيمان أيضاً « ناموس » ، بمعنى أن للإيمان شريعة أو قانون يلتزم به المؤمن ، وليس الإيمان حالة من التشويس أو الاستهتار . فإن كنا بالايمان بالمسيح قد تحررنا من عبودية حرف الناموس ، إنما لنعيش « الحرية فى المسيح » ، سالكين بروح لائق بالحياة الإيمانية الخاضعة لقانون الحب أو ناموس السماء أو تدبير الروح والجاد المدقق . لهذا يعلق **القديس أغسطينوس** على حديث الرسول بولس : « **إذاً نحسب الانسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس** » ع ٢٨ ، قائلًا : [توجد أعمال تبدو أنها صالحة ، لكنها إذ هى خارج الإيمان بالمسيح فهى غير صالحة ، لأنها لا تحقق غاية الأعمال الصالحة ، « لأن غاية الناموس هى المسيح للبرّ لكل من يؤمن » رو ١٠ : ٤ . لهذا لا يريدنا الله ان نميز الإيمان عن الإعمال ، انما نعلن الايمان نفسه بكونه عملًا ، إذ الإيمان ذاته عامل بالمحبة (غلا ٥ : ٦)] (١٠٢) .

ثامناً : إذ أوضح الرسول ان الخلاص يتحقق خلال الايمان بالمسيح يسوع دون أعمال الناموس الحرفية ليفتح الباب على مصراعيه لجميع الأمم استصعب اليهود أن يدخل الأمم معهم على قدم المساواة ، لذلك تساءل الرسول : « **أم الله لليهود فقط ؟ !** ع ٢٩ . وكما يعلق **الذهبى الفم** : [كأنما يقول لهم : على أى أساس يبدو لكم تخطئة مبدأ خلاص الجميع ؟ ألعل الله يحابى ؟ وهكذا يوضح لهم أنهم باحتقارهم الأمميين إنما يهينون مجد الله لأنهم لا يريدونه إله الجميع . فإن كان إله الكل فإنه يعتنى بالكل وبالتالى يخلص الكل بذات الطريق ، أى طريق الإيمان [(١٠٣)] .

هكذا يجيب الرسول على إعتراضهم مظهراً أن الله « **هو الذى سيبرر الختان بالايمان والغرلة بالإيمان** » ع ٣٠ ... إنه يمطر محبته على الجميع ليبرر الكل ، وكما يقول **القديس أكليمندس الإسكندرى** : [إنه يمطر نعمته الإلهية على الأبرار والظالمين (مت ٥ : ٤٥) [(١٠٤)] .

تاسعاً : أوضح الرسول أنه إذ يعلن فتح باب الخلاص للجميع لا يستخف بالناموس ، وإن كان الناموس بأعماله الحرفية يعجز عن تحقيق الخلاص ، إذ يقول : « **أفنبطل الناموس بالإيمان ؟ حاشا ، بل نثبت الناموس** » ع ٣٠ . إنه يثبت الناموس لا لكى يُلزم الأمم بأعمال الناموس وإنما يثبته بتحقيق غايته . إنه هبة الله ليفضح شرنا فنكتشف حاجتنا للخلاص والمخلص ، وقد جاء الإيمان يحقق هذه الغاية فى كمالها .



١ ـــ الاتكال على أبوة إبراهيم ص ٤ ـــ ٦ .
٢ ـــ الاتكال على استلام الناموس ص ٧ ـــ ٨ .
٣ ـــ الاتكال على انهم شعب الله المختار ٩ ـــ ١٠ .

الأصحاحات ٤ ــ ١١

التبرير بالايمان العامل بالمحبة

إذ أعلن الرسول أن الأمم بلا غور لأن الله وهبهم الناموس الطبيعى فإذا بهم يكسرونه لا عن ضعف فحسب وإنما عن عمد وفى جسارة ، فصاروا مقاومين للحق ، عاملين ماهو ضد الطبيعة ، مفسدين حتى أجسادهم ، فرحين ومتهللين بالنفوس الساقطة معهم ، الآن يبدأ يفند أيضاً حجج اليهود ليؤكد أن البشرية كلها خاطئة وتستحق عقاب الموت ، فصار الكل متساوياً فى حاجته إلى من يبرره . إن كان اليهودى والأممى قد سقط كلاهما تحت الموت ، فهل يفتخر أحدهما على الآخر أو يتمايز الواحد عن الثانى لأن الأول لم يتبرر بناموس موسى والثانى لم يتبرر بالناموس الطبيعى ؟ !

تركزت حجج اليهود فى ثلاثة أمور هى :

١ ــ إتكالهم على بنوتهم لإبراهيم أب الآباء .
٢ ــ إتكالهم على تسلمهمْ الشريعة أو الناموس الموسوى .
٣ ــ إتكالهم على انهم شعب الله المختار دون سواهم .

وقد فند الرسول هذه الحجج ليعلن ان هذه الأمور جميعها لا تقدر أن تبرر أحداً ، وإنما فى المسيح يسوع يصير جميع المؤمنين ــ يهوداً ويونانيين ــ أبناء لإبراهيم لا حسب الجسد وانما خلال التمتع بإيمانه العملى ، وينعم الكل لا بالناموس الموسوى فى حرفيته وإنما فى التمتع بغايته أى الإلتقاء مع المسّيا مركز الناموس وغايته ، وأخيراً يدرك الكل أنهم مختارون فى الرب أبناء الآب .

هكذا يخرج الرسول من حواره مع الفكر اليهودى إلى نتيجة هامة ، ان البشرية كلها موضع إهتمام الله وحبه ، حتى وإن إختلفت الوسائل التى قدمها لهم ، وانها قد سقطت بكاملها عن « البرّ » لكى يجده الكل فى المسيح ، يجده اليهودى المتنصر كما الأممى بلا تمييز أو محاباة .

+ + +



فى الأصحاحات الثلاثة السابقة أظهر الرسول بولس فساد كل البشرية ، يستوى فى ذلك اليهود كما الأمم وصار الكل فى حاجة الى من يخلص ويبرر ، والآن يقدم الرسول مثلين لرجلين بارين من رجال العهد القديم أحدهما ابراهيم بكونه أب الآباء وقد تبرر خلال إيمانه وهو بعد فى الغرلة قبل ممارسة اعمال الناموس خاصة الختان ، والمثل الثانى هو داود الذى نال الوعد ان من صلبه يأتى المسّيا الملك وهو من أهل الختان لكنه يقدم التطويب لمن يتبرر لا بأعمال الناموس بل بالايمان .

ركز الرسول بالاكثر على شخصية « إبراهيم » ، لأن اليهود كانوا يشعرون انهم أحرار لمجرد انتسابهم له بالجسد . هذه العقيدة دفعتهم إلى العجرفة والكبرياء عوض أن تدفعهم للحياة بفكر إبراهيم وإيمانه والامتثال به فى سلوكه ، فجاء الرسول يفند هذه العقيدة ، مظهراً ان سّر قوة ابراهيم تكمن فى إيمانه الحىّ الذى عاشه وهو فى الغرلة كما عاش وهو فى الختان ، لذا فهو أب لأهل الغرلة كما لأهل الختان .

١ ــ ابراهيم والإيمان ١ ــ ٨ .
٢ ــ ابراهيم أب جميع المؤمنين ٩ ــ ١٦ .
٣ ــ إيمان ابراهيم وإيماننا ١٧ ــ ٢٥ .

+ + +

١ ــ ابراهيم والإيمان

إذ كان الرسول يعلن عجز أعمال الناموس عن تقديم برّ الله ، ليفتح الباب للبشرية كلها فتنعم بهذا البر خلال الإيمان ، إنتقل إلى الحديث عن إبراهيم بكونه أول من نال عهد الختان ليوضح أن إبراهيم أيضا لم يتبرر بالختان (أعمال الناموس) وإنما بالايمان ، إذ يقول : « **فماذا نقول ان أبانا ابراهيم قد وُجد حسب الجسد ، لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر ولكن ليس لدى الله** » ع ١ ، ٢ .

ويلاحظ فى حديث الرسول عن إبراهيم وإرتباطه بالإيمان الآتى :

أولًا : « **فماذا نقول : ان أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد ؟** » ع ١ ... وكأن الرسول بولس يحدد العلاقة التى تربطهم بابراهيم كأب إنما هى « حسب الجسد » ، الأمر الذى يضعف صلتهم به ماداموا لا ينعمون بأبوته خلال إيمانه ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** [١٠٥] انه بهذا يفسح المجال أمام الأمميين ليدخلوا هم أيضاً فى قرابة مع إبراهيم خلال الامتثال بإيمانه .

ثانياً : لماذا إختار الرسول بولس إبراهيم مع أنه قد سبقه هابيل الذى قيل عنه « انه بار » عب ١١ : ٤ ، ونوح الذى قيل انه كان « رجلًا باراً كاملًا فى أجياله » تك ٦ : ٩ ؟

يرد على ذلك ان الرسول اختار ابراهيم لعدة اسباب رئيسية منها :

أ ــ ان اليهود كانوا يفخرون بنسبهم لابراهيم كأب للمؤمنين ، فحينما حدثهم السيد المسيح عن الحرية ، « أجابوه : اننا ذرية ابراهيم ولم نستعبد لأحد قط ، كيف تقول أنت انكم تصيرون أحراراً ؟ ! » يو ٨ : ٣٣ ... فقد أراد الرسول أن يفند هذه الحجة .

ب ــ لم يُدع هابيل ولا نوح أباً للمؤمنين ، أما ابراهيم فقد جاء عنه : « لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم » تك ١٧ : ٤ .

جـ ــ لأن ابراهيم يعتبر حلقة الوصل بين أهل الغرلة وأهل الختان ، عاش متبرراً بالإيمان وهو فى الغرلة ، واذ نال الوعد الإلهى وتمتع بالختان كعلاقة للعهد عاش أيضاً

متبرراً بالايمان وهو فى الختان ... بهذا ضم المؤمنين من أهل الغرلة وأهل الختان فى شخصه ، خلال الإيمان .

ثالثاً : لا ينكر الرسول بولس أن لإبراهيم أن يفتخر من جهة الأعمال لكن ليس لدى الله ، لأن ما مارسه من أعمال الناموس كالختان لا فضل له فيه إنما هو عطية الله له خلال العهد الذى أقامه الله معه ، وله أيضا أن يفتخر من جهة الإيمان ، بهذا له أن يفتخر لا معتالياً على الله وإنما يفتخر أنه إرتمى فى حضن الله ليغتصب بالإيمان مواعيد الله وعهوده ويحسب باراً فى عينيه . يقول الرسول : « **لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر ، ولكن ليس لدى الله ، لأنه ماذا يقول الكتاب : فآمن إبراهيم بالله فُحسب له براً** » ع ٢ ، ٣ .

إن قورن ابراهيم بمعاصريه من البشر فله فخر بأعماله أمام البشر ، سواء بكونه أول من اختتن كعلامة عهد بينه وبين الله أو أعظم معاصريه فى الأعمال الصالحة ... أما أمام الله ففخره الحقيقى أنه اغتصب برّ الله بايمانه الحىّ العملى ، المُعلن خلال طاعته له سواء بالعبادة له وسط جوّ وثنى أو بالخروج من أرضه وعشيرته وبيت أبيه (تك ١٢) ، أو عدم محبته للنصيب الأكبر فى معاملته مع لوط إبن أخيه (تك ١٣) أو حبه لإضافة الغرباء (تك ١٨) أو شفاعته عن إخوته فى البشرية (تك ١٨) أو تقديم إبنه ذبيحة (تك ٢٨) الخ ... هذه التصرفات جميعها وغيرها إنما كانت نابعة عن إيمانه بالله وملتحمة به ، فجاءت تمجد الله .

بمعنى آخر لم يكن لإبراهيم أن يفتخر بأعمال الناموس فى ذاتها إنما بايمانه الحىّ العملى الذى به حُسب باراً فى عينى الله فاحص القلب .

بهذا نوفق بين ما يقوله الرسول بولس هنا وبين ما ورد فى رسالة معلمنا يعقوب الرسول : « ألم يتبرر ابراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحق إبنه علىٰ المذبح ؟ ! فترى أن الإيمان عمل من أعماله ، وبالأعمال أكمل الإيمان ، وتمّ الكتاب القائل : فآمن ابراهيم بالله فحسب له براً ودُعى خليل الله » يع ٢ : ٢١ ـــ ٢٣ .

الرسول بولس يعلن أن ابراهيم لم يتبرر أمام الله خلال أعمال الناموس كالختان والتطهيرات والغسالات انما تبرر خلال الايمان الحىّ ، ومعلمنا يعقوب يعلن ان ابراهيم لم يتبرر خلال إيمان شفهى نظرى جامد انما خلال الايمان المترجم عملياً كذبيحة

اسحق ، وكأن الأعمال التى يذكرها القديس يعقوب إنما هى أعمال الايمان وليست خارج الإيمان ! الرسول بولس يحذر من الإتكال على حرفية أعمال الناموس والرسول يعقوب يحذر من الاتكال على الإيمان الخالي من الأعمال أو الايمان النظرى غير الحيّ ، هذه الأعمال التى يسألنا الرسول بولس ان نمارسها بالمسيح يسوع ربنا ، إذ يقول : « لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » أف ٢ : ١٠ .

رابعاً : إن كان أبونا ابراهيم قد آمن وأيضا مارس أعمال الناموس إذ قبل الختان فى جسده كما ختن ذكور بيته ... لكن شتان بين الإيمان وأعمال الناموس ، إذ يقول الرسول : « **أما الذى يعمل فلا تحسب له أجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين** » ع ٤ .

أيهما أعظم الأجرة التى ينالها الإنسان مقابل أعمال الناموس ، أم النعمة التى ينالها مقابل الإيمان ؟ ! بلا شك البر أعظم من الأجرة ، لأن البّر يعنى عفو الله عن آثامنا ليهبنا برّه عاملًا فينا فننال مجداً أبدياً . وقد إقتبس الرسول من المرتل داود العبارة : « **طوبى لمن غفرت آثامهم** » ع ٧ . وكما يقول **القديس ذهبى الفم** : [لا يقدم بولس هذه العبارة إعتباطاً ، لكنه يود القول بأن من غفرت آثامه بالنعمة نال التطويب ، فمن آمن وتبرر يتأهل بالأكثر للبركة ، التى خلالها يُنزع الخزى ليحل المجد (١٠٦)] .

القول النبوى « طوبى لمن غُفرت آثامهم » يكشف عن بهجة قلب المرتل بنوال برّ مجانى لا أجرة عن عمل ناموسى ، هذا البرّ هى عطية إلهية يهبها الله لمؤمنيه . يقول **القديس اكليمندس الاسكندرى** : « هذه الطوباوية تحلّ على الذين إختارهم الله خلال يسوع المسيح ربنا ، لأن « المحبة تستر كثرة من الخطايا » ١ بط ٤ : ٨ . هؤلاء قد إغتسلوا بواسطة ذاك الذى يريد توبة الخاطى لا موته (حز ٣٣ : ١١) (١٠٧)] .

خامساً : ما هو هذا الإيمان الذى يبررنا ؟

+ ماذا يعنى تؤمن به ؟ الإيمان به يعنى حبنا له ، وتقديرنا لسموه ، والذهاب إليه والإتحاد بأعضائه .

+ الإيمان بالمسيح هو أن تؤمن به أنه يبرر الخاطى ؛ تؤمن بالشفيع الذى بدون وساطته لا يمكن أن نتصالح مع الله ؛ تؤمن بالمخلص الذى جاء يطلب ويخلص ما قد هلك (لو ١٩ : ١٠) ؛ تؤمن بذاك القائل : « لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » يو ١٥ : ٥ .

+ إيماننا نفسه بالمسيح هو عمل المسيح ، إذ هو يعمل فينا ، بالتأكيد ليس بدوننا .
إسمع الآن وإفهم : « من يؤمن بى فالأعمال التى أعملها أنا يعملها هو » .
يقول : الأعمال التى أفعلها أنا أولًا ، ثم يفعلها هو بعد ذلك ، فأنا أفعلها لكى يفعلونها هم أيضاً . ما هى هذه الأعمال إلا إقامة الإنسان البار من الشرير ؟ !

+ تتبرر النفس بإرتفاعها نحو الله ، والتصاقها بذاك الذى يبررها ... فإنها إذ تتركه تصير شريرة ، وإذ تعود إليه تتبرر .
ألا يظهر لك انه متى وُجد شيء ما بارداً إذا إقترب من النار يصير دافئاً ؟ ! وعندما يُنزع من النار يبرد ؟ ! لو أن شيئاً ما كان مظلماً واقترب من النور أما يصير بهياً ؟ ! وإن نُزع عن النور يصير مظلماً ؟ ! هكذا هى النفس ، أما الله فليس هكذا !

القديس أغسطينوس [١٠٨]

سادساً : ماذا يعنى الرسول بقوله : « **وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يُحسب له براً** » ع **٥** ؟ هل يحثنا الرسول على تجاهل الأعمال لنتبرر بالايمان وحده ؟

نجيب على ذلك بان الرسول كان يحدث اليهود الذين تشامخوا على الأمم بأعمال الناموس بطريقة حرفية قاتلة ، فإن هذه لا تبرر الانسان إنما لو حُفظت بطريقة روحية تدفعهم لإدراك الخلاص والتبرير بالمسّيا الذى كانوا ينتظرونه . هذا من جانب ومن جانب آخر فاننا كمسيحيين لا نتبرر بأعمالنا الصالحة كأعمال من عندياتنا ، والا حسبت « براً ذاتياً » تعطل خلاصنا ، إنما نمارسها بكونها ثمرة عمل الله فينا ، وكما يقول الرسول بولس : « لأن الله هو العامل فيكم » فى ٢ : ١٣ ، « نحن عاملان

مع الله » ١ كو ٣ : ٩ . لهذا يؤكد الرسول يعقوب « لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت » يع ٢ : ٢٦ .

٢ ـــ إبراهيم أب لجميع المؤمنين

إذ قارن الرسول بين أعمال الناموس والإيمان فى حياة أبينا إبراهيم ليعلن سمو الإيمان ، الذى به يتبرر ، دون تجاهل لأعمال الناموس التى مارسها ابراهيم وان كانت عاجزة عن التبرير ، الآن يؤكد الربط بين الايمان وأعمال الناموس فى حياة هذا الأب دون تعارض ، قائلًا : « **أخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان الذى كان فى الغرلة** » ع ٨ . فالختان هو علامة جسدية جاءت لا معارضة للإيمان بل خاتمة على إيمانه ومؤكدة له ، حتى كل من يحملها إنما يلزم أن يلتزم أيضا بالايمان ... هذا من جانب ومن جانب آخر فإن العلامة جاءت لاحقة للإيمان ، إذ آمن ابراهيم حين كان أولًا فى الغرلة ، وبقى مؤمناً أيضا وهو فى الختان ، بهذا أعلن أبوته لأهل الغرلة إن قبلوا الإمتثال به فى إيمانه وأيضا لأهل الختان إن فعلوا ذات الأمر .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة الرسولية مظهراً أن اليهود لم يأتوا إلا كضيوف لاحقين لأهل الغرلة ، وانهم أُضيفوا إليهم ، أى جاءوا إلى بيت الإيمان مُضافين إلى إبراهيم الذى قبل الإيمان وهو فى الغرلة قبل الختان ، قائلًا : [لأنه إن كان ابراهيم قد تبرر وكلل وهو بعد فى الغرلة ، فقد جاء اليهود بعد ذلك . إذاً إبراهيم هو أب الأمميين أولا الذين ينتسبون إليه بالإيمان ، كما أنه أب اليهود ثانياً ، أى أب الجنسين ... لهذا يستكمل بولس حديثه ، قائلًا : « **ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم فى الغرلة كى يحسب لهم البر أيضاً وأباً للختان** » ع **١١ ، ١٢** . هذا وينتسب الأمميون لإبراهيم لا بسبب غرلتهم وإنما لإقتدائهم بإيمانه ، كذلك اليهود لا ينتفعون ببنوتهم له لكونهم مختونين مالم يؤمنوا ... إذن لك الحق فى أبوة ابراهيم إن سرت فى خطوات ذلك الإيمان دون تنازع ولا مشايعة لمناصرتك للناموس [(١٠٩)]] .

هذا ويرى **الذهبى الفم** ان الختان مجرد علامة حملها ابراهيم من أجل ضعف اليهود ، إذ يقول الرسول « ليكون أبا للختان » ، لا بمعنى أن يحملوا العلامة جسدياً فيصيرون أبناء له وإنما يحملون ما وراء العلامة ألا وهو إيمانه ... لأن هذه العلامة

ليست إلا ختماً للإيمان . فإن لم يسعَ اليهود إلى الإيمان مكتفين بالعلامة التى للجسد تصير هذه نفاية لا ضرورة لها . هكذا أيضاً لا يليق بهم إذ نالوا الختان أن يحتقروا أهل الغرلة بل أن يكونوا سنداً لهم ليكون الكل معاً فى ذات الإيمان الواحد .

لقد ظن اليهود أنهم ورثة ابراهيم فى نواله المواعيد الإلهية لمجرد تمتعهم بهذه العلامة أى ممارستهم لأعمال الناموس ، متجاهلين التزامهم بالاقتفاء بأبيهم فى إيمانه ، لهذا يقول الرسول : « **لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد** » ع ١٤ . بمعنى آخر إن تمسك اليهود بأعمال الناموس كعلامة لميراثهم ما لإبراهيم ، مكتفين بهذه الأعمال عند حرفيتها يسلبون الإيمان عمله ويفقدون نوالهم الوعد الإلهى الذى أُعطى لإبراهيم أن بنسله تتبارك الأمم . على العكس إن كان أهل الغرلة لم يمارسوا أعمال الناموس فى حرفيتها لكنهم بالإيمان صاروا ورثة إبراهيم وحُسبوا أصحاب الوعد كأبناء له .

الإتكال على أعمال الناموس ليس فقط يفقد الانسان عمل الايمان الذى لإبراهيم ويحرمه التمتع بالوعد الإلهى وانما يدخل به إلى غضب الله ، لأنه وهو يمارس الأعمال الظاهرة كالختان والغسالات يكسر شرائعه السلوكية كالوصايا العشر ، ولو وصية واحدة فيحُسب متعدياً . لذلك يقول الرسول : « **لأن الناموس ينشىء غضباً إذ حيث ليس ناموس ليس تعدٍ** » ع ١٥ . فبدون الناموس يخطىء الإنسان لكن الغضب ينشأ بالأكثر حيث يوجد الناموس كاشفاً للخطايا التى يرتكبها الإنسان متعدياً الوصية ، وكما قيل : « ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به » غل ٣ : ١٠ .

يقدم لنا **القديس أغسطينوس** تفسيرا لهذه العبارة ، قائلًا : [قبل الناموس كان يمكن أن يدعى الإنسان خاطئاً ولم يكن ممكناً أن يُدعى متعدياً . أما وقد أخطأ بعد استلامه الناموس فلم يعد خاطئاً فحسب وإنما متعدياً أيضاً . وهكذا أضيف « التعدى » إلى « الخطية » فكثرت الخطية جداً [١١٠]] .

إن كان اليهود بفهمهم الحرفى لاعمال الناموس فقدوا تمتعهم بالوعد ودخلوا الى الغضب لا كخطاة فحسب وانما كمتعدين ، فإنه من الجانب الآخر الإيمان يفتح

لهم كما لأهل الغرلة التمتع بالبنوة لإبراهيم المؤمن .

« **لهذا هو من الإيمان كى يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل ، ليس هو من الناموس فقط بل أيضاً لمن هو من إيمان ابراهيم الذى هو أب لجميعنا** » ع ١٦ .

وكما يقول **الذهبى الفم** انه بدون الإيمان لا يخلص أحد ، لأن الناموس بالنسبة لأهل الختان لا يبررهم بل ينشىء غضباً إذ سقط الكل تحت التعدى ، لذا جاء الإيمان يرفعهم من الخطر وليس كالناموس ... كما يرفع أيضا أهل الغرلة ، فيحسب الكل أبناءً لإبراهيم . « **كما هو مكتوب إنى قد جعلتك أباً لأمم كثيرة** » ع ١٧ . فكما ان الله هو إله الجميع وليس خاصاً بأمة معينة هكذا بالإيمان حُسب إبراهيم أباً للجميع حسب الوعد المُعطى له (تك ١٧ : ٥) .

٣ ــ إيمان إبراهيم وايماننا

إن كان الايمان قد فتح الباب على مصراعيه ليدخل كل الأمم إلى النسب لإبراهيم كأبناء له ، فما هى مادة هذا الإيمان ؟

يقول الرسول : « **كما هو مكتوب انى قد جعلتك أباً لأمم كثيرة ، أمام الله الذى آمن به الذى يحىّ الموتى ويدعو الاشياء الغير موجودة كأنها موجودة** » ع ١٧ .

إقتبس الرسول هذا الوعد : « قد جعلتك أباً لأمم كثيرة » تك ١٧ : ٥ (الترجمة السبعينية) ؛ هذا لا يتحقق حسب الطبيعة إذ هو ليس أباً للأمم حسب الجسد ، إنما حسب الإيمان .

مادة إيمانه هى أن الله « يحى الموتى ويدعو الأشياء الغير موجودة كأنها موجودة » ... من هم الموتى الذين يحييهم ؟ أو ما هى الأشياء الغير موجودة التى يدعوها كأنها موجودة ؟

أولًا : مستودع سارة أو أحشاؤها أشبه بالميت الذى لا يحمل حياة ، وقد وهبه الله إسحق حياً خلال هذه الأحشاء الميتة ، وكما يقول الرسول نفسه : « **واذ لم يكن**

ضعيفاً فى الإيمان لم يعتبره جسده وهو قد صار مماتاً إذ كان إبن نحو مئة سنة ولا مماتية مستودع سارة » ع ١٩ .

ما ناله إبراهيم من وُعد كان « على خلاف الرجاء » ،إذ لم ينظر قط إنساناً قبله نال إبناً بهذه الطريقة ، وإنما صار هو مثلًا لمن جاء بعده . هو ترجى الله الذى يقيم من الموت ويهب حياة فآمن بالله انه يعطيه نسلًا كما من العدم ، فاتحاً باب الرجاء لمن جاء بعده ممن إنجبوا فى شيخوختهم خلال زوجات عاقرات .

ثانيا : آمن ابراهيم بتمتعه بالأبوة ليس فقط لإسحق الذى وهبه الله إياه فى فترة شيخوخته وخلال مستودع سارة الذى كان فى حكم الموت ، وإنما أيضا لأمم كثيرة هى بحسب الطبيعة ميتة لا تحمل بنوة لإبراهيم حسب الجسد ، لكن الله يقيمها من هذا الموت ويقدمها لإبراهيم أبناء له .

هذا ما أوضحه الرسول بقوله : « **فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكى يصير أباً لأمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك** » ع ١٨ . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** انه كان على خلاف رجاء البشر فى رجاء من جهة الله آمن بالوعد ونال . فكان الإيمان هو سنده ، لم يعطه الله برهاناً ولا علامة إنما مجرد كلمات وعد ومع هذا لم يتردد ولا شك مرتاباً مع أن العائق كان عظيما : « **ولا بعدم إيمان إرتاب فى وعد الله بل تقوى بالايمان معطياً مجداً لله** » ع ٢٠ .

بمعنى آخر ليتنا نتعلم أن الله يتمم مواعيده معنا مهما كانت العوائق أو المعطلات ، إذ « **تيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً ، لذلك أيضا حُسب له براً** » ع ٢١ ، ٢٢ .

نال إبراهيم الوعد ــــ كما قلت ــــ لا بميلاد إسحق كما من العدم وإنما بابوته لأمم كثيرة لا خلال الجسد وإنما خلال الإيمان . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن هذه الأمم أيضاً تُحسب تحت حكم الموت وعدم الوجود بسبب وثنيتها ، إذ تقبل الإيمان تنال قيامة من الأموات ، بصيرورتها شعب الله الحىّ وكنيسة العهد الجديد المقدسة ، لذلك قيل : « أرحم لورحامة (ليست مرحومة) وأقول للوعمى (ليست شعبى أنت شعبى » هو ٢ : ٢٣ .

ثالثاً : إن كانت الخطية قد أفقدت الإنسان حياته وجعلته كمن هو غير موجود ، فبالإيمان ينعم الانسان ببرّ المسيح كمن قد أقيم من الموت ، أو صار موجوداً بعد فقدانه ، كقول الأب عن إبنه الراجع إليه : « لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالًا فوُجد » لو ١٥ : ٣٢ . لذلك يقدم لنا **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى تعليقه على هذا الأصحاح سلاحاً روحياً نلتزم باستخدامه هو الإيمان باسم ربنا يسوع المسيح وقوة الصليب ، قائلًا :

[هذا السلاح لا يُخرج الحية من جحرها فحسب وإنما أيضاً يلقيها فى النار (أع ٢٨ : ٥) وتُشفى الجراحات .

إن نطق أحد بهذا الإسم ولم يُشف ، فبسبب عدم إيمانه وليس عن ضعف فى القول ذاته . لأن البعض إلتفوا حول يسوع وكانوا يضغطون عليه (لو ٨ : ٤٤ ، ٤٥) ولم ينتفعوا منه ، أما المرأة نازفة الدم فحتى بدون لمس جسده ، وإنمابمجرد لمس هدب ثوبه أوقفت ينبوع دمها الذى طال أمده .

هذا الإسم مخيف للشياطين وللسموم والأمراض . ليتنا نجد فيه سروراً فنتقوى به ...

أى عذر لنا أن نقدمه ، إن كان ظل (الرسل) وثيابهم أقاموا موتى (أع ٥ : ١٥) ، بينما صلواتنا لا تنزع عنا الشهوات ؟ ! ما هو علة هذا ؟ ! ... فان طبيعة بولس هى كطبيعتنا ، وُلد ونشأ مثلنا ، سكن على الأرض واستنشق هواءها مثلنا ، لكنه من جانب آخر كان أعظم وأفضل منا من جهة الغيرة والإيمان والحب . إذن لنقتد به ، ولنسمح للمسيح أن يتكلم خلالنا ، فإنه يرغب فى هذا أكثر منا . لقد أعد هذا التعليم ويريد ألا يكون ذلك بلا نفع أو معطلًا إنما يود أن يستخدمنا ...

إن تحدث المسيح فينا وأشرق الروح القدس بنوره فينا نكون أفضل من السماء إذ لا تظهر الشمس والقمر فى جسدنا بل يظهر رب الشمس والقمر والملائكة ساكناً فينا وعاملًا .

لست أنطق بهذا لكى نقيم الموتى ونطهر البرص إنما لنحقق معجزة أعظم من هذا

كله هو إعلان المحبة . لأنه حيث توجد هذه الممجدة يسكن الإبن مع الآب والروح القدس ... فقد قيل : « إن إجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى أكون أنا فى وسطهم » مت ١٨ : ٢٠ . يتحقق هذا من أجل الحنو الشديد ورباط الصداقات القوية ، أى من أجل من لهم حب بعضهم لبعض ...] .

إذن ليكن لنا كإبراهيم أبينا الإيمان بالوعد الإلهى ، فننال لا القدرة على عمل المعجزات إنما ما هو أعظم ننال « الحب » الحقيقى فى الرب ، فننعم بسكنى الثالوث القدوس فينا كسرّ حياتنا وفرحنا ومجدنا أبدياً ... هذه هى القيامة الأولى التى لنفوسنا !

ويعلق **القديس أغسطينوس** على العبارة « **يدعو الأشياء الغير موجودة كأنها موجودة** ، **قائلًا** : [لقد كنت غير موجود فخلقك الله ووهبك الوجود ، أفلا يهتم بك الآن وقد صرت أنت هكذا ، هذا الذى يدعو الأشياء غير موجودة كأنها موجودة ؟ ! (١١١)] .

أخيراً ، أكد الرسول بولس أن ما كتب عن إبراهيم من جهة إيمانه بالقيامة من الأموات ، إذ آمن بالله الذى يهبه إسحق من مستودع سارة الممات ، وآمن أن يقيمه أباً على شعوب ليست من نسله حسب الجسد ، كما آمن أن الله يهب البرّ كحياة لمن مات بالخطية ... فإن هذا كله قد كتب من أجلنا من جهة إيماننا بالمسيح الذى يقيمنا من الموت ويهبنا بره كحياة جديدة مقامة نمارسها عملياً ، إذ يقول : « **ولكن لم يُكتب من أجله وحده أنه حُسب له ، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسب لنا ، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات ، الذى أُسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا** » ع **٢٤ ، ٢٥** ...

هنا يبرز النقاط التالية :

أ ـــ غاية الحديث الالهى عن إيمان ابراهيم هو إعلان طريق البرّ الحقيقى خلال الإيمان ... فقد تبرر إبراهيم بالإيمان لكى نتبرر نحن أيضا معه كأبناء له نحمل ذات إيمانه . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** ، لئلا يقول المستمع ، مالنا نحن بهذا ؟ لذلك ربطنا نحن بأبينا ابراهيم ، فنتبرر مثله ، لأننا نؤمن بنفس الإله الذى

آمن به ابراهيم ، ونثق فى ذات الأمور التى وثق فيها ، فما حدث لإبراهيم ليس خاصاً به وحده وإنما يحدث مع الكل .

ب ــ إن كان ابراهيم قد نال وعداً بخصوص نسله ، يتحقق هذا الوعد فينا بصلب السيد المسيح وقيامته الذى هو من نسل إبراهيم حسب الجسد . إبراهيم آمن بنيل بركة مستقبلة خلال نسله ، إذ يقول السيد : « أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرعى يومى فرأى وفرح » يو ٨ : ٥٦ ، أما نحن فقد تمتعنا بهذا الوعد بصلب السيد المسيح وقيامته .

يقول العلامة ترتليان : [ها أنتم ترون حكمة الله كيف ذبحت ذبحها (أم ٩ : ٢) ، البكر الإبن الوحيد يحيا ويرد الآخرين للحياة . أقول ان حكمة الله هو المسيح الذى بذل ذاته لأجل خطايانا [١١٢]] .

جـ ــ إذ يحدثنا الرسول بولس عن إيمان إبراهيم ، يقدم لنا ملخصاً لإيماننا ، غالباً ما كان نصا كنسياً تسلمه الرسل وسلموه ، ألا وهو : « **أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا** » ع **٢٥** .

لقد أسلم للصليب بإرادة الآب (رو ٨ : ٣٢ ؛ تس ١ : ٣) كما بإرادته هو (غل ٢ : ٢٠ ؛ أف ٥ : ٢ ؛ تى ٢ : ١٤) ليكفر عن خطايانا (٣ : ٢٥ ، أش ٥٣ : ٥ ، ٦ ؛ عب ٩ : ٢٨ ؛ ١ بط ٢ : ٢١ ، ٢٤) ؛ واقيم ليهبنا برّه عاملاً فينا ، إذ نحمل الحياة الجديدة المقامة .

+ + +



إذ يعالج الرسول بولس موضوع انتساب اليهود لأبينا ابراهيم حسب الجسد أبرز أن ابراهيم قد تبرر وهو فى الغرلة وكما وهو فى الختان خلال إيمانه ليحمل أبوة صادقة روحية لكل مؤمن حقيقى . والآن يود الرسول بطريقة غير جارحة أن يظهر رجل الإيمان الأعظم إبراهيم ، انه إبن آدم ، أحد هؤلاء الذين سقطوا تحت مملكة الموت بسبب عصيان آدم ، فكان محتاجاً إلى من يبرره ... بمعنى آخر خلال الظلام والرموز تبرر ابراهيم نفسه ببرّ المسيح إذ بدون إيمان لم يكن ممكناً أن يتبرر ، وكما قال **القديس جيروم** : [قبل مجىء المسيح كان إبراهيم فى المواضع السفلية بينما بعد مجيئه صار اللص فى الفردوس (١١٣)] .

كأن الرسول يود أن يوجه انظار الكل ــ اليهود والأمم ــ إلى برّ المسيح الذى إشتهاه إبراهيم نفسه (يو ٨ : ٥٦) عوض الافتخار بالانتساب لابراهيم حسب الجسد .

بدأ الأصحاح بالكشف عن ثمر برّ المسيح ، ليحدثنا عن حالنا كابناء لآدم ، من بيننا ابراهيم نفسه ، ثم عن حالنا خلال آدم الثانى أو الجديد .

١ ــ ثمار برّ المسيح ١ ــ ١١ .

٢ ــ آدم وبنوه تحت الموت ١٢ ــ ١٤ .

٣ ــ آدم الثانى والنعمة ١٥ ــ ٢١ .

+ + +

١ ــ ثمار برّ المسيح

كعادة الرسول بولس قبل أن يبرز الجانب السلبى وهو خضوع آدم وبنيه تحت حكم الموت بسبب العصيان ، بما فيهم رجل الإيمان ابراهيم ، ابرز فى إيجابية ثمار برّ المسيح التى يتمتع بها كل أبناء ابراهيم الروحيين ، والتى يمكن تلخيصها فى النقاط التالية :

أ ــ التمتع بالسلام مع الله (ع ١) .
ب ــ نعمة حاضرة ورجاء لمجد أبدى (ع ٢) .
جـ ــ إرتفاع فوق الضيقات (ع ٣ ، ٤) .
د ــ عطية الروح القدس واهب الحب (ع ٥) .
هـ ــ اختبار محبة الله بالصليب (ع ٦ ــ ١١) .

ويلاحظ فى هذه الثمار الفائقة الآتى :

أ ــ ننعم بلقاء الثالوث القدوس ونختبر حبه وعمله فينا : (سلام مع الله الآب ، إنسكاب الحب بالروح القدس الساكن فينا ، اختبار للحب الالهى بصليب ربنا يسوع المسيح) .

ب ــ ثمار على مستوى أبدى إذ ننعم بمصالحة ابدية ومجد أبدى ... لكننا ننال العربون حاضراً الآن فى حياتنا : « هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون » ع ٢ .

الآن فى أكثر تفصيل نتحدث عن هذه الثمار :

أولًا : التمتع بالسلام مع الله

« فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح » ع ١ .

يبدو لى أن « السلام مع الله » هنا يحمل معنى غير السلام من الله (رو ١ : ٧) أو « سلام الله الذى يفوق كل عقل » فى ٤ : ٧ ، فان السلام الإلهى الذى ننعم به إنما هو « سلامنا الداخلى » الذى يهبه الله كعطية روحية يعطى للإنسان إنسجاماً فى الغاية والسلوك فيعمل الانسان بنفسه كما بجسده بسلام الله

لحساب الملكوت ، كما يهبه سلاماً مع الآخرين مشتاقاً ان يبذل كل حياته لحسابهم في المسيح يسوع ؛ أما « السلام مع الله » فيعني تغيير شامل لمركزنا من حالة العداوة التي كنا فيها إلى حالة بنوة وحب وصداقة ... أو تعني إنطلاقنا من حالة الانحدار التي بلغناها بسبب خطايانا وعصياننا لندخل خلال الدم إلى حالة مصالحة مع الآب ، فنُحسب بالمسيح يسوع الإبن الوحيد أبناء له موضع سروره ورضاه . هذا هو أول ثمر « برّ المسيح » ، اننا نختفي فيه لنحسب أبراراً فيه ومصالحين نحيا كأبناء في سلام حقيقي مع الآب . بذات الفكر يقول معلمنا بطرس الرسول : « فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ، البار من أجل الأثمة ، لكي يقربنا إلى الله » ١ بط ٣ : ١٨ .

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [ماذا يعني « لنا سلام » ؟ يقول البعض : ألا نكون على خلاف بإرتكاب معاصي ضد الناموس ، أما بالنسبة لي فأظن أن ماجاء هذا يخص مناقشتنا لأنه بعدما تحدث كثيراً عن موضوع الإيمان ، وقد وضعه قبل البر بالأعمال فلئلا يظن أحد من ان ماقاله يُحسب أساساً للتهاون لذلك قال : « ليكن لنا سلام » ، بمعنى « ليتنا لا نخطىء بعد » ، « ليتنا لا نعود مرة أخرى إلى حالنا القديم » ، إذ يسبب هذا حرباً مع الله . كيف يمكن تحقيق هذا ؟ إن كنا ونحن نحتمل خطايا كثيرة هكذا نتحرر منها جميعاً بالمسيح ، فإننا بالأكثر نستطيع أن نبقى على هذا الحال بالمسيح . فإن ثمة فارق بين تقبلنا السلام حيث لم يكن موجوداً ، وبين إحتفاظنا به حين يكون لدينا ، لأن نواله أصعب من الإحتفاظ به بالتأكيد ، ومع هذا فإن ما هو أصعب صار ميسوراً وتحقق . لذلك يلزمنا أن نسعى وراء ماهو أسهل بالتصاقنا بالمسيح الذي وهبنا ما هو أصعب ... إن كان قد صالحنا في الوقت الذي كنا فيه في حرب مع الله ، فمن المعقول أن نبقى في حالة المصالحة (١١٤) ...] .

بمعنى آخر نحن الذين كنا في حالة عداوة مع الآب صرنا في سلام معه بربنا يسوع ، فكم بالاكثر وقد تصالحنا معه ان نبقى هكذا ، لكن ليس بجهادنا الذاتي وإنما بربنا يسوع نفسه ... لنبقى في « سلام » كعطية إلهية وفي نفس الوقت دخول في علاقة قربى معه ! يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [إن كان قد أحضرنا إليه

لنكون قريبين منه عندما كنا بعيدين ، كم بالأكثر يحفظنا الآن ونحن قريبون ؟ ! [115]] .

ثانياً : نعمة حاضرة ورجاء لمجد أبدى

« الذى به أيضا قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله » ع ٢ .

لم يعد الزمن يمثل رعباً بالنسبة لنا ، فالماضى بالنسبة للكثيرين مفقود والحاضر مؤلم والمستقبل مجهول ، أما وقد دخلنا بالإيمان إلى « برّ المسيح » صار الماضى بركة لنا إذ نرى أحداث الفداء التى عبرت كتاريخ لا تزال حية وفعّالة فى أعماقنا وتصرفاتنا ، وصار الحاضر بالنسبة لنا مفرحاً إذ نسلك « بالنعمة الإلهية » متمتعين بالسلام مع الله ، أما المستقبل فمكشوف إذ نعيش على « رجاء مجد الله » . هكذا لم يعد الزمن بالنسبة لنا مرعباً ولا مفقوداً ، الماضى حاضر بالنسبة والحاضر عربون المستقبل ، والمستقبل حالّ خلال عربون الحاضر ...

الإيمان بالمصلوب فتح لنا باب « النعمة التى نحن فيها مقيمون » ، نعمة البنوة التى نلناها فى مياه المعمودية بالروح (يو ٣ : ٥) ، خلالها نختبر احداث الصلب والقيامة كحياة واقعية حاضرة ونعتز بالتمتع بمجد الله الأبدى ، بكوننا « ورثة الله ووارثون مع المسيح » رو ٨ : ١٧ .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة الرسولية قائلًا :

[إسمحوا لى أن أسألكم أن تتأملوا كيف يؤكد الرسول فى كل موضع نقطتين : جانب الله ، وجانبنا . فمن جانب الله — كيفما كان — توجد أمور كثيرة ، عديدة ومتنوعة ، إذ مات من أجلنا وصالحنا وجبلنا إليه ووهبنا نعمة لا ينطق بها . أما نحن فمن جانبنا نقدم إيماننا (حّياً) فقط ، لذلك يقول : « **بالإيمان إلى هذه النعمة** » . إخبرنى : أية نعمة هذه ؟ أنك حُسبت أهلًا لمعرفة الله ، وأُنتزعت عن الخطأ وتعرفت على الحق ونلت كل بركات المعمودية ؟ ! لأن غاية إحضارنا إليه هو تقبل هذه العطايا . فإننا لم ننل غفران الخطايا فحسب لنكون مصالحين ، وإنما لننال بركات لا حصر لها .

لم يقف عند هذا الحد إنما وعدنا ببركات أخرى ، بركات لا يُنطق بها ، تفوق الإدراك واللغة ، لهذا لم يحدثنا عنها . فبإشارته للنعمة أوضح ما نلناه حالياً ، وبقوله : « **ونفتخر (نبتهج) على رجاء مجد الله** » ع ٢ يكشف عن كل الأمور العتيدة .

حسناً قال : « **التى نحن فيها مقيمون** » ، لأن هذه هى طبيعة نعمة الله أنها بلا نهاية ولا تعرف الحدود ، بل على الدوام ننعم بأمور أعظم ، على خلاف ما يحدث فى الأمور البشرية . أعطيك مثلًا لما أقصده : إن نال انسان سيادة ومجداً وسلطاناً لا يقيم فى هذه الأمور على الدوام إنما سرعان ما تُسحب منه . فإن لم يسحبها منه إنسان آخر يأتيه الموت الذى يسحبها منه بالتأكيد . أما عطايا الله فليست من هذا النوع ، إذ لا يستطيع إنسان ولا ظروف ولا كوارث ولا حتى الشيطان أو الموت أن يسلبها ، بل بالعكس عندما يحّل الموت تتأكد بالأكثر ملكيتنا لها وثبوتنا فيها ويزداد تمتعنا بها أكثر فأكثر ...لهذا يقول : « **نبتهج على رجاء مجد الله** » ، لكي تتعلم ما هى النفس التى يليق بالمؤمن أن تكون له . ليس فقط نعرف ما هى العطايا التى تُقدم وإنما لمن تقدم ، فنمتلىء ثقة أنها قدمت فعلًا ، إذ يبتهج الإنسان بكونه قد نالها فعلًا ... وقد دعاها « مجداً » ، إذ هى شركة فى مجد الله [١١٦] ...] .

هكذا يركز **القديس يوحنا الذهبى الفم** على تعبير « مقيمون فيها » علامة إستمرارية عمل نعمة الله فى حياتنا متى خضعنا لها وقبلناها متجاوبين معها ، ولا يقف الأمر عن الاستمرارية وانما تزداد قوة فينا وبهاءً مع الزمن حتى متى بلغنا الخروج من هذا العالم ننعم بالشركة فى المجد الإلهى .

ثالثاً : الإرتفاع فوق الضيقات

ربما يتساءل البعض : إن كان الإيمان بالمسيح يدخل بنا إليه لنحمل برّه فينا ، فننعم بالسلام مع الله ، وإذ نقيم فى هذه النعمة ينفتح قلبنا على رجاء المجد الإلهى ، فما هو عمل هذا البرّ فى حياتنا وسط الضيقات التى لا تنقطع ؟

يجيب الرسول على هذا التساؤل معلناً ان السيد المسيح ببرّه الذى يهبه لنا لا ينزع عنا الضيقات بل يرفعنا فوق الضيقات فنجتازها أو تعبر هى بنا ونحن فى إعتزاز

نراها سرّ تزكيتنا أكثر فأكثر ، فلا يتحطم رجاؤها باليأس بل بالعكس يلتهب رجاؤنا في المجد خلال صبرنا في الضيقات ، إذ يقول : « **وليس ذلك فقط بل نفتخر (نتمجد) أيضاً في الضيقات عالمين أن الضيق ينشيء صبراً ، والصبر تزكية ، والتزكية رجاء** » ع ٤ .

كأن عمل المسيح لا يمس المجد الأبدي فحسب وإنما يمس حياتنا اليومية لا بتغيير الظروف المحيطة بنا لننعم بسلام زمني ، وإنما بتغيير القلب الداخلي والفكر ، فنسمو فوق الآلام ، إذ نراها طريق الشركة مع المسيح المتألم وسبيل التمتع بالتزكية خلال الصبر . وكما يقول القديس بطرس : « لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد » ١ بط ١ : ٧ ، ومعلمنا يعقوب : « طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة » يع ١ : ١٢ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم :

[فانه حتى في الضيقات الحاضرة تعطينا (نعمة الله) القدرة على تلألؤ ملامحنا ، وتجعلنا بالأكثر مستحقين لمكافأتنا ...

الآن ، لنتأمل عظمة الأمور المقبلة فإنه حتى بالنسبة للأمور المسببة الحزن نفرح . عظيمة هي عطية الله ، ليس فيها شيء كريه ، لأنه في الخيرات الخارجية يسبب الجهاد من أجلها تعباً وألماً وضيقاً كمرافق لها ، لكن الأكاليل والمكافآت ترد البهجة معها . أما هنا فالحال مختلف لأن نكهة الضيقات فيها بالنسبة لنا لا تقل عن نكهة المكافآت . ففي هذه الأيام توجد تجارب ثانوية لكن يوجد رجاء في الملكوت ؛ يحلّ الرعب الآن لكن يوجد توقع للخيرات ... إنه يعطي جزاء هنا قبل نوال الأكاليل بالقول أنه يجب أن « نتمجد (نفتخر) بالضيقات » ... مقدماً نفسه مثلاً لهم لتشجيعهم ... يتمجدون فيها ليس فقط من أجل الأمور المقبلة وإنما أيضا من أجل الحاضر ، فإن الضيقات صالحة في ذاتها . كيف هذا ؟ لأن الضيقات تعطينا مسحة « الصبر » ، لذلك بعد قوله اننا نتمجد بالضيقات قدم السبب هكذا : « **عالمين أن الضيق ينشيء صبراً** » ...

« **والصبر تزكية ، والتزكية رجاء** » . فالضيقات التى هى (بالطبيعة) بعيدة عن الرجاء تصير تزكية للرجاء ومؤكدة له . فإن قبل نوال الأمور المقبلة ينشيء الضيق ثمراً عظيماً جداً هو « الصبر » ، فيجعل من الانسان المجرّب صاحب خبرة ؛ وفى نفس الوقت يساهم إلى درجة ما فى الأمور المقبلة إذ يهب رجاءً ملتهباً فينا ، فانه ليس شيء يجعل الإنسان يميل إلى الرجاء فى البركات مثل الضمير الصالح ... نعم يهب رجاءً ، لكنه ليس رجاءً بشرياً غالباً ما يزول ، ويُخزى من يتوقعه ... لا فإن نصيبنبا ليس هكذا ، إنما رجاؤنا أكيد وثابت ، لأن مقدم الوعد حىّ إلى الأبد ، ونحن الذين نتمتع به وان كنا نموت لكننا سنقوم ثانية ، فلا يخزى رجاؤنا (١١٧) ...] .

يشعر القديسون ببركة الضيق فى هذا العالم ، إذ يمجدهم داخلياً فى عينى الله ، لكى يتجلى هذا المجد بالأكثر فى الحياة العتيدة ، لذلك يقول **القديس جيروم** : [لا يطلب القديس الراحة بل الضيق (١١٨)] .

إن رجعنا الى كلمات **القديس يوحنا الذهبى الفم** نلاحظ نظرته الانجيلية العجيبة لتعبير « الصبر » ، فانه لا يتطلع إليه مجرد جهاد بشرى أو قدرة انسانية على احتمال الضيق وانما يراه « مكافأة » ... كيف يكون هذا ؟ لان « الصبر » هو سمة تمس حياة السيد المسيح ، الذى قيل عنه : « احتمل الصليب مستهيناً بالخزى ... فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم » عب ١٢ : ٢ ، ٣ . مرة اخرى يقول الرسول : « الرب يهدى قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح » ٢ تس ٣ : ٥ . اذاً فالصبر هو عطية إلهية ، او هى شركة فى « صبر المسيح » تعطى عذوبة للنفس وسط الآلام ، أو قل مجداً خفياً وسط الضيقات . هذا ما اكده القديس يوحنا الحبيب بقوله : « شريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره » رؤ ١ : ٩ .

اذن الضيق ينشيء صبراً ، هو شركة فى صبر المسيح ! ! !

رابعاً : عطية الروح واهب الحب

إن كان السيد المسيح يعلن برّه فينا برفعنا داخلياً فوق الآلام وجعلها مصدر مجدّ حتى فى هذا الزمان الحاضر ، لنحتمل الضيقات بصبر المسيح على رجاء المجد

الأبدى ، فانه من جانب آخر يهبنا بروحه القدوس « محبة الله » منسكبة فى قلوبنا لكى تسندنا فلا يخزى رجاؤنا ... بمعنى آخر ان صبرنا فى التجارب واحتمالنا للألم لا يقف عند قوة عزيمتنا أو إمكانياتنا البشرية إنما على عمل الله فينا ، إذ يسكب حبه بفيض على المجاهدين روحياً لأجل إسمه وبقوة نعمته .

يقول الرسول : « **والرجاء لا يخزى لأن محبة الله قد إنسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا** » ع ٥ . سرّ القوة فى الضيق ، وانفتاح الرجاء فى قلوبنا عطية الروح القدس الساكن فينا ، إذ يهبنا محبة الله غير المتغيرة بفيض ، قائلًا : « إنسكبت » وكأنها تُعطىٰ بلا حساب كمن تنسكب من السماء لتملأ القلب .

+ لم يقل الرسول « قد أعطيت » بل قال : « إنسكبت فى قلوبنا » ليظهر فيضها .

هذه العطية التى هى العظمى ، فإنه لم يهبنا السماء ولا الأرض ولا البحر ، إنما ما هو أثمن من هذا كله ، فجعلنا نحن البشر ملائكة ، نعم بل أبناء الله وإخوة المسيح . لكن ما هى هذه العطية ؟ الروح القدس !

لم لم يكن يريد أن يقدم لنا أكاليل عظيمة على جهادنا لما وهبنا مثل هذه العطايا القادرة أن تسندنا فى جهادنا . هنا يعلن دفء محبته التى يكرمنا بها لا تدريجياً ولا شيئاً فشيئاً وإنما يسكبها بفيض بكونها ينبوع بركاته ، وذلك قبل صراعنا .

هكذا وإن كنت لست مستحقاً بالمرة لكنه لم يزدرِ بك بل وهبك حب ديّانك كمعين قدير يسندك . لهذا يقول الرسول : « والرجاء لا يخزى » ، ناسباً كل شيء لمحبة الله وليس لأعمالنا الذاتية الصالحة .

بعدما أشار إلى عطية الروح القدس عاد ليتحدث ثانية عن الصليب .

القديس يوحنا الذهبى الفم (١١٩)

+ كأنه يقول إن محبة الله قد إنسكب فى قلوبنا بالروح القدس الساكن فينا ...

سامية هى فضيلة الحب المبجلة ، إذ يعلن الرسول الطوباوى يوحنا انها ليست فقط تنسب لله بل هى الله : « الله محبة ، ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه » ١ يو ٤ : ١٦ .

الأب يوسف (١٢٠)

+ بهذا (القول الرسولى) نفهم أن الروح القدس ليس عملاً وإنما هو المدبر وينبوع الحب الإلهى الفائض .

القديس أمبروسيوس (١٢١)

+ كما أن جسدك إن صار بلا روح أى بدون نفسك يكون ميتاً ، هكذا نفسك بدون الروح القدس ، أى بدون المحبة ، تُحسب ميتة .

+ إن كان حب الله المتسكب فى قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا يجعل النفوس الكثيرة نفساً واحدة ، والقلوب الكثيرة قلباً واحداً ، فكم بالحرى يكون الآب والإبن والروح القدس الله الواحد ، النور الواحد ، والبدء الواحد ؟ !

+ إذ نكون أعضاء تربطنا الوحدة معاً ؛ ما الذى يقيم هذه الوحدة إلا الحب الذى يربطنا معاً ؟ !

+ ليكن لك حب فيكون لك الكل ؛ وبدونه كل ما يمكن أن يكون لك لا ينفعك شيئاً . إنما ما يجب أن تعرفه هو أن الحب الذى نتكلم عنه يشير إلى الروح القدس . إسمع ما يقوله الرسول : « محبة الله قد إنسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » .

القديس أغسطينوس (١٢٢)

+ [عن عمل الروح القدس فى قلوب الشهداء بسكب حب الله فيهم] .
لقد جعلهم شهداءه بالروح القدس الفعّال فيهم ، إذ يجعلهم يحتملون أتعاب الإضطهادات من كل نوع ، ويصيرون متلألئين بالنار اءلالهية ، فلا يفقدون دفء محبتهم للكرازة .

القديس أغسطينوس (١٢٣)

+ إنه يقول : « محبة الله المنسكبة فى قلوبكم » ؛ ولكى لا يظن أحد أن محبة الله هى من عندياته يضيف : « بالروح القدس المُعطى لنا » . لذلك لكى تحب الله دع الله يسكن فيك ، فيكون « الحب » ذاته فيك ، بمعنى ان محبته تحركك وتلهبك وتنيرك .

+ لا تتقبل الملائكة ولا البشر الحكمة إلا بالشركة فى هذه الحكمة التى نتحد بها بالروح القدس الذى يسكب الحب فى قلوبنا .

القديس أغسطينوس (١٢٤)

+ [الحب الالهى المنسكب فى قلوبنا بالروح القدس يهبنا لا قدرة على تحقيق الوصايا الناموسية فحسب وانما لذة فى تحقيق الوصايا الانجيلية التى تبدو صعبة ومستحيلة :]

« لأن محبة الله قد إنسكبت فى قلوبنا بالروح القدس » رو ٥ : ٥ .

بهذا يُنزع عنا كل إهتمام بأى أمر آخر ، ولا يرغب (المؤمن) فى صنع ما هو ممنوع منه ، أو يهمل فيما قد أُمر به . لكن إذ يكمل كل هدفه وكل إشتياقه فى الحب الإلهى على الدوام ، لا يقع فى التلذذ بالأمور التافهة ، بل ولا يطلب حتى الأمور المسموح له بها .

فتحت الناموس يسمح بالزوجات الشرعيات ، وهذا فيه قمع للذة والخلاعة مكتفياً الإنسان بامرأة واحدة ، لكنه لا يبطل بهذا وخزات الشهوة الجسدانية ، ويصعب إطفاء النار المتقدة والتى تمون بوقود دائم ، حتى لا تخرج إلى الخارج ... أما الذين تضرمهم نعمة المخلص بحب الطهارة المقدس ، فإنهم يهلكون كل إشواك الشهوات الجسدية بنار الحب الإلهى ...

كذلك من يقنع عند حد دفع العشور والبكور ... بالتأكيد يخطىء فى طريقة التوزيع أو كميته ... أما الذين لم يزداروا بنصيحة الرب بل تركوا كل ممتلكاتهم للفقراء وحملوا صليبهم وتبعوا مانح النعمة لا يكون للخطية سلطان عليهم ، إذ لا يساورهم القلق من جهة طعامهم اليومى ... فالشخص الذى يدفع العشور والبكور ... يستحيل عليه أن يتخلص من سلطان الخطية ، إما الذى تبع نعمة المخلص ، فانه يتخلص من حب الإمتلاك ...

الأب ثيوناس (١٢٥)

خامساً : اختبار محبة الله بالصليب

إذ يتحدث الرسول عن « برّ المسيح » يربط عمل الأقنوم الثانى أى كلمة الله لمتجسد (السيد المسيح) بعمل الأقنومين الأول والثالث ، فخلال برّ المسيح يعمل

الاب إذ يهبنا روحه القدوس (الاقنوم الثالث) ساكنا فينا يسكب الحب الإلهى فى أعماقنا . بمعنى آخر « الإنسان » هو موضوع لذة الله الواحد المثلث الأقانيم ، يعمل فيه بلا إنقطاع ليبلغ به إلى أمجاده كأبن وحبيب وصديق حينا معه أبدياً .

هكـذا يعمل الثالوث القدوس فينا فيسكب حب الله فى قلوبنا ، الذى تجلى فى كال أعماقه خلال عمل المسيح الخلاصى ، إذ يقول الرسول :

« لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار .

فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار ، ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت ، فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب .

لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت إبنه ، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته .

وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضا بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به المصالحة » ع ٦ ــ ١١ .

هذا هو ما يعلنه الروح القدس فينا : محبة الله الفائقة لمصالحتنا خلال الصليب ؛ ويلاحظ فى هذا الإعلان الآتى :

أ ــ يسمى الرسول هذا الإعلان « سكب محبة الله فى قلوبنا » ، فهناك فارق بين المعرفة الفكرية للصليب التى يمكين أن تتمتع بها خلال دراسة الكتاب المقدس ، خاصة خلال شهادة الناموس والنبوات التى مهدت أفكارنا لإدراك سرّ الفداء ، أو سرّ محبة الله بالصليب ، وبين معرفة الخبرة التى يهبها الروح لأعماقنا فى الداخل ، حيث ينطلق بالنفس إلى الصليب لتلتقى بعريسها المصلوب وتدرك حبه لها شخصياً ، فتلتهب بنيران المحبة الحقة ، وتشتهى أن ترد الحب بالحب .

ب ــ هذه المحبة التى يسكبها الروح فينا ليست بجديدة بالنسبة لله ، فهى فى تدبيره الأزلى ، لكنه حققها فى الوقت المناسب لخلاصنا ، أو « **فى الوقت المعين** » ، أو فى « ملء الزمان » ، اذ قيل : « ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى » غل ٤ : ٤ ، ٥ .

جـ ـــ قدم الله هذا الحب من أجلنا ، وقد دعانا « **ضعفاء** » ، « **الفجار** » ، فمن جهة كنا ضعفاء مغلوبين بالخطية ساقطين تحت سلطان عبوديتها ، وفى نفس الوقت « فجاراً » إذ لم نستسلم لها عن ضعف فحسب وإنما إلتهبت فينا فصرنا نمارسها بعنف بكمال حريتنا ، عن معرفة أيضاً وفى تهور .

كخطاة نشعر اننا ضعفاء فى حاجة إلى طبيب يعالج ضعفنا واهباً إيانا القوة عوض الضعف ؛ وفجّار نحتاج إلى القدوس يهبنا الاتحاد معه لينزع فسادنا وتجبرنا ممارسين قداسته فينا .

د ـــ أراد إظهار عظمة محبة الله لنا ، إذ قدم السيد المسيح حياته لنا ونحن ضعفاء وفجّار ، فبحسب المنطق البشرى بالجهد أو بالكاد يمكن لأحد أن يموت عن بارٍ ، وربما يجسر أحد ويخاطر بحياته من أجل صالح ، أما أن يموت أحد عن فاجر شرير ، فهذا يبدو مستحيلاً !

ما الفارق بين البار والصالح ؟ جاء فى كتب ربانيى اليهود أن البار هو من يقول لجاره كل ما هو لى فهو لى وكل ما هو لك فهو لك ، وأن الصالح يقول لجاره كل ما هو لك فهو لك وكل ما هو لى فهو لك [١٢٦] . بمعنى آخر البار يسلك بالعدل ، فيعطى كل إنسان حقه ، متمسكاً بحقه هو أيضاً ، أما الصالح فيسلك بالحب يود أن يعطى ماله للآخرين . أما فى مفهومنا المسيحى فالبار هو من يحمل برّ المسيح فيه ، والصالح هو من يحمل صلاح المسيح فيه ؛ وكأن البر والصلاح فى حياتنا هما تجلى سمتا المسيح فى حياتنا .

لم يمت السيد المسيح من أجل صالحين وأبرار وإنما من أجل الخطاة المقاومين له ، الذى حملوا له العداوة .

+ إن كان من أجل إنسان فاضل لا يسرع أحد بالموت عنه ، فتأمل محبة سيدك إذ صُلب لا من أجل أناس فضلاء بل من أجل خطاة وأعداء .

القديس يوحنا الدهبى الفم [١٢٧]

+ أحبنا حتى ونحن نمارس العداوة ضده ، ونرتكب الإثم ، ومع ذلك فبحق كامل قيل : « يارب أبغضت جميع فاعلى الإثم » مز ٥ : ٥ . بهذا فإنه لأمر عجيب

وإلهى إنه حتى حيث يبغضنا يحبنا ، إذ هو يبغض فينا مالم يخلقنا عليه ... يبغض مالم يصنعه فينا ، ويحب ما خلقه فينا (يبغض الشر ويحب النفس مشتاقاً إلى خلاصها) .

القديس أغسطينوس (١٢٨)

هـ ــ إذ يحدثنا الرسول عن « برّ المسيح » الذى تُعلن مكافأته بكمالها فى الحياة العتيدة الأبدية ، يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** (١٢٩) ان الرسول أراد فى هذا الأصحاح تأكيد التمتع بالوعود الإلهية الخاصة بالمجد الأبدى ، وذلك بالبراهين التالية :

* **الايمان** بالله الذى وعد أنه قادر أن يحقق وعده (ع ١) .
* **النعمة** التى وهبت لنا ونحن مقيمون فيها فعلًا (ع ٢) .
* **الضيقات** التى تقدم لنا رجاءً (ع ٣ ، ٤) .
* عطية **الروح القدس** الذى نلناه يسكب حباً فى قلوبنا (ع ٥) .
* أخيراً **موت المسيح** بطريقة مملوءة حباً ، فقد مات ، ومات من أجل الخطاة لا الأبرار ، مات ليصالحنا ويخلصنا ويبررنا فيجعلنا خالدين وأبناء وورثة ... دون حاجة إلى أن يموت مرة أخرى .

هكذا ينتقل بنا الرسول من برهان إلى آخر ، تارة خلال إيماننا بالله الذى وهبنا سلاماً معه فصرنا قريبين إليه ، وأخرى خلال نعمته العملية التى نقيم فيها فتفتح بصيرتنا للرجاء فى السمويات ، وثالثة خلال عمله معنا وسط الضيق فيحوله إلى مجد نتذوق عربونه ، ورابعاً خلال روحه القدوس الساكن فينا يعلن حب الله بلا حدود ، وأخيراً خلال التأمل فى حراجات الرب وصلبه ! هذه البراهين كلها تدفعنا نحو الثقة الكاملة فى سواعيده الإلهية للتمتع بشركة أمجاده .

و ــ لا يقف الأمر عند اليقين بنوال الامجاد الأبدية ، إنما يقول الرسول : « **وليس ذلك فقط بل نفتخر (نفرح) أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة** » ع ١١ ... ماذا يعنى هذا ؟

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** اننا ليس فقط ننعم ببركات الخلاص هنا ، ونترجى الامجاد الابدية انما يصير الله نفسه مجدنا وفخرنا وفرحنا ... تعامل معنا

كصديق مع أصدقائه ، وحبيب مع محبوبيه ، حتى اننا نفرح به أكثر من الملكوت (لو أن الملكوت أمر غير الله) ، نريد شخص الله ذاته .

بمعنى آخر نلنا المصالحة لا لننعم بشيء إنما ما هو أعظم أننا صرنا أحباء الله ليس فقط نقف بجوار مجده كالقوات السمائية المحبة له ، إنما نحمله ساكناً فينا جالساً على العرش !

ز — اذ يتأمل **القديس كبريانوس** فى محبة الله هذه كما وردت فى هذه العبارات الرسولية ، يقول : [إذ نتأمل محبته ورحمته يليق بنا ألا نكون قساة ولا عنفاء ولا صارمين فى تبكيت الإخوة بل نحزن مع الحزانى ، ونبكى مع الباكين ، ونرفعهم قدر ما نستطيع خلال عون وتعزية حبنا لهم ، فلا نكون قساة جداً ومتشبثين معهم نصدهم فى توبتهم كما لا نكون متراخين جداً ومتساهلين بتهور فى قبول الشركة [(١٣٠)] .

٢ — آدم وبنوه تحت الموت

حديث الرسول بولس عن البنوة الجسدية لإبراهيم نقلنا إلى حاجة إبراهيم نفسه إلى برّ المسيح خلال الإيمان ، موضحاً ثمر برّ المسيح فى حياة المؤمن ... والآن يوضح الرسول خضوع كل بنى آدم — بما فيهم إبراهيم طبعاً — للموت ، لكى يعلن حاجة الكل إلى نعمة المسيح وبره ، إذ يقول :

« من أجل ذلك كإنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع .

فانه حتى الناموس كانت الخطية فى العالم ، على أن الخطية لا تحسب إذ لم يكن ناموس .

لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى ، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى » ع ١٢ — ١٤ .

فى هذا الحديث أوضح الرسول الآتى :

أولاً : فضح علة دخول الموت إلى البشرية وسلطانه عليها لكى يبرز بعد ذلك

قوة تبريرنا بالسيد المسيح غالب الموت . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [كما يبذل أفضل الأطباء كل الجهد لإكتشاف مصدر الأمراض ويبلغون أصل الداء عينه هكذا فعل الطوباوى بولس أيضاً ، فعبدما قال أننا قد تبررنا ، مؤكداً ذلك خلال البطريرك (إبراهيم) ، والروح (القدس) ، وموت المسيح (لأنه ما كان ليموت إلا ليبرر)، أخذ بعد ذلك يؤكد ما سبق أن أوضحه بإسهاب خلال مصادر أخرى ، محققاً هدفه ببرهان آخر مضاد أى الموت والخطية [١٣١]] .

كأن الرسول يسأل : متى دخل الموت ؟ وكيف غلب ؟ ، فيجيب : « **من أجل ذلك كأنما بانسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع** » ع ١٢ . لقد أظهر أن الخطية بدأت بالإنسان الأول وتملّك الموت غالباً إياه ، وقد صار الكل مخطئين وإن لم يسقطوا فى ذات المعصية ... صارت الخطية منتشرة فى الطبيعة البشرية لكنها غير مكتشفة حتى جاء الناموس فظهرت بعصيان الإنسان لوصايا معينة : « **فانه حتى الناموس كانت الخطية فى العالم على أن الخطية لا تُحسب إن لم يكن ناموس** » ع ١٣ .

دبّت بذار الموت مع الخطية منذ آدم لكن الموت لم يكن ثمرة عصيان للناموس بل ثمرة عصيان أبينا آدم ... ملك الموت على الذين لم يخطئوا بعصيان الناموس إنما خلال شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى (ع ١٤) .

+ فى آدم سقطت أنا ، وفيه طُردت من الفردوس ، وفيه مت ، فكيف يردنى الرب إلا بأن يجدنى فى آدم مذنباً ، إذ كنت هكذا ، أما الآن ففى المسيح أتبرر أنا .

القديس أمبروسيوس [١٣٢]

+ لذلك يقول : « إفرحوا أنا قد غلبت العالم » يو ١٦ : ٣٣ .

هذا قاله كمصارع لائق ليس بكونه الله فحسب وإنما بإظهار جسدنا (الذى إلتحف به) كغالب للألم والموت والفساد .

لقد دخلت الخطية إلى العالم بالجسد ، وملك الموت بالخطية على جميع الناس ، لكن دنيت الخطية بذات الجسد فى شبهه (شبه جسد الخطية) ، فقد غُلبت الخطية ، وطرد الموت من سلطانه ، ونُزع الفساد بدفن الجسد

وظهور بكر القيامة ، وبدأ أساس البرّ فى العالم بالإيمان ، والكرازة بملكوت السموات بين البشر ، وقيام الصداقة بين الله والناس .

القديس غريغوريوس صانع العجائب (١٣٣)

+ حتى الأطفال الذين لا يخطئون فى حياتهم الشخصية إنما حسب الجنس البشرى العالم يكسرون عهد الله ، إذ أخطأ الكل فى واحد .

القديس أغسطينوس (١٣٤)

ثانياً : يرى **القديس إيريناؤس** (١٣٥) انه بالخطية « **ملك الموت من آدم إلى موسى** » ع **١٤** ، أما وقد جاء الناموس فى العصر الموسوى فقد إنفضحت الخطية وظهرت أنها خاطئة وأُعلن أن الموت ليس ملكاً حقيقياً إنما هو مغتصب ومجرم يمثل ثقلًا على الإنسان .

ثالثاً : ماذا يقصد بعبارة « **آدم الذى هو مثال الآتى** » ع **١٤** ؟ يجيب **القديس يوحنا الذهبى الفم** أنه كما بواحد صار الحكم على الكل بواحد أيضا صار البرّ لكل المؤمنين . كما سقط الكل تحت الموت مع أنهم لم يأكلوا مع آدم من الشجرة ، هكذا قُدم الخلاص للعالم دون فضل من جانبهم ، إنما يرجع الفضل لبرّ المسيح الذى يهبه خلال شجرة الصليب .

يؤكد **القديس الذهبى الفم** انه لا يفهم من هذا أن الخطية والنعمة متساويان ، ولا الموت والحياة عديلان ، لأن الشيطان والله ليسا متساويين !

رابعاً : ان كان الموت قد ملك على البشرية بسبب آدم ، فقد جاء كلمة الله متجسداً كآدم الثانى لينزع عن الانسان هذا السلطان القاتل :

+ من آدم إلى موسى ملك الموت ، لكن حضور الكلمة حطمّ الموت (٢ تى ١ : ١٠) . لم يعد بعد فى آدم يموت جميعنا (١ كو ١٥ : ٢٢) انما صرنا فى المسيح يحيا جميعنا .

القديس البابا أثناسيوس (١٣٦)

+ منذ القديم : « تسلط الموت من آدم إلى موسى » ، أما الآن فالصوت الإلهى يقول : « اليوم تكون معى فى الفردوس » لو ٢٣ : ٤٣ . إذ يشعر القديس

بهذه النعمة يقول : « لولا أن الرب كان معى لهلكت نفسى فى الهاوية » مز ٩٤ : ١٧ .

القديس البابا أثناسيوس (١٣٧)

+ إذ أخطأ الإنسان وسقط صار كل شيء فى إرتباك بسقوطه ، وتسلط الموت من آدم إلى موسى ، ولعنت الأرض ، وانفتح الجحيم ، وأُغلق الفردوس ، وتكدرت السماء وأخيراً فسد الإنسان وتوّحش (مز ٤٩ : ١٢) بينما تعظم الشيطان ضدنا . لذلك فإن الله فى حبه الحانى لم يرد للإنسان الذى خُلق على صورته ان يهلك ، فقال : « من أرسل ؟ ومن يذهب من أجلنا ؟ ! » إش ٦ : ٨ . وإذ صمت الكل قال الإبن : « هأنذا إرسلنى » ، عندئذ قيل له : « اذهب وسُلم إليه الإنسان ، حتى إذ صار الكلمة جسداً ، فبأخذه الجسد أصلح الإنسان بكليته . لقد أُسلم إليه الانسان كما إلى طبيب ليشفيه من لدغة الحية ، فيهبه الحياة ويقيمه من الموت ويضيىء عليه وينير الظلمة . إذ صار جسداً جدّد الطبيعة العاقلة ... وردّ كل الأشياء إلى الصلاح والكمال .

القديس البابا أثناسيوس (١٣٨)

٣ ــ آدم الثانى والنعمة

إذ عرض لآثار الخطية الأولى التى إرتكبها آدم الأول فملك الموت على الكل ، حتى على الذين هم بلا ناموس مكتوب حيث لا يوجد عصيان ضد وصية معينة معلنة ، يعود فيعرض لآثار النعمة الإلهية التى يقدمها آدم الثانى ليخلص العالم من موت الخطية ويهب المؤمنين الحياة الأبدية ، مظهراً الفارق بين فاعلية الخطية وفاعلية النعمة .

« ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة ، لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد إزدادت للكثيرين » ع ١٥ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ما يقوله هو هكذا : إن كان للخطية آثاراً بعيدة المدى هكذا وهى خطية إنسان واحد ، فكم بالأولى تكون النعمة ، نعمة الله ، التى هى نعمة الآب والإبن أيضاً يكون لها فيض ؟ ! ... ربما معاقبة إنسان من

أجل خطأ إرتكبه آخر يبدو غير مقبول ، لكن ما هو أكثر قبولًا ومنطقياً أن يخلص إنسان بسبب آخر (١٣٩) ...] .

« وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية ، لأن الحكم من واحد للدينونة ، وأما الهبة فمن جرى خطايا للتبرير » ع ١٦ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [للخطية قوتها إذ تجلب الموت والدينونة ، وأما النعمة فلا تبرر خطية واحدة فحسب وإنما الخطايا التى تبعتها أيضا . ولئلا يُفهم من الكلمتين « كما » ، « هكذا » تساوى البركات مع الشرور ، ولئلا عند سماعك « آدم » تظن أن الخطية التى إرتكبها آدم هى وحدها التى تغفر ، لذلك يقول : « من جرى خطايا كثيرة للتبرير ... فقد تحقق التبرير بعد إرتكاب خطايا بلا حصر بعد الخطية التى أُرتكبت فى الفردوس .

حيث يوجد البّر تتبعه بالضرورة الحياة بكل وسيلة ، ويرافقه بركات بلا حصر ، وذلك كما انه حيث توجد الخطية يحدث الموت.. البر هو أكثر من الحياة ، وهو أصل الحياة ...

سبق فقال أنه إن كان بخطية واحد مات الكل فبالأولى نعمة الواحد لها سلطان أن تخلص ... عاد فأوضح أن النعمة ليست فقط تنزع الخطايا وإنما تهب البر . فالمسيح لم يقدم خيراً بقدر ما جلب آدم من أضرار ، وإنما أكثر جداً بما لا يقاس (١٤٠)] .

إن كنا قد ورثنا عن آدم عصيانه ، إنما حملنا هذه الطبيعة فينا ، لذا جاء السيد المسيح بنعمته يقدم لنا « **طاعته** » لنحياها ، فنحمل طاعة المسيح فينا ، لا كفضيلة خارجية وإنما كطبيعة تمس كياننا ، إذ يقول الرسول : « **لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً » ع ١٩** . هذه الطبيعة المتبررة الجديدة ، طبيعة الطاعة للآب بإبنه ، تحمل إنعكاساً على كل تصرفاتنا فنشتهى الطاعة لو أمكن للجميع ، وكما يقول **القديس أمبروسيوس** : [إذ كان هو مطيعاً ليتهم يقبلون تدبير الطاعة ، الأمر الذى نلتصق به ، قائلين للذين يثيرون الشر ضدنا من جهة الامبراطور : « نحن نعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . نقدم الجزية لقيصر ولا ننكرها ، وننتمى للكنيسة التى

لا تخص قيصر ، فإن هيكل الله لا يمكن أن يكون من حق قيصر [١٤١]] .

عاد ليؤكد مرة أخرى انه لا وجه للمقارنة بين الضرر الذى أصابنا من الخطية مهما بلغ بالنسبة للخير الذى ننعم به خلال برّ المسيح ونعمته ، إذ يقول : « **لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد ، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح** » ع ١٧ .

يشرح **القديس يوحنا الذهبى الفم** هذه العبارة موضحاً ان الرسول لم يقل هنا « النعمة » بل « فيض النعمة » ، لأننا لم ننل بنعمته زوال الخطية فحسب وإنما نلنا ما هو أكثر :

أ ـــ نلنا التحرر من العقاب .
ب ـــ التحرر من الشر .
ج ـــ الميلاد الجديد من فوق (يو ٣ : ٣) .
د ـــ القيامة أو الحياة المقامة .

وهبنا الخلاص والتبني والتقديس فصرنا إخوة للإبن الوحيد الجنس وشركاءه فى الميراث ، وحُسبنا جسداً له وهو الرأس ، وهكذا إتحدنا به .

هذا كله دعى الرسول بولس ان يقول : « **فيض النعمة** » مظهراً ان ما نلناه ليس مجرد دواء لتضميد الجراحات وإنما للتمتع بالصحة والسلامة والكمال والكرامة والمجد ، الأمور التى تفوق طبيعتنا . كل عطية من هذه كفيلة أن تنزع عنا الموت ، أما كونه يهبنا هذا كله ، فهذا يعنى انه لم يعد للموت أدنى أثر أو ظل .

يقول **القديس الذهبى الفم** أننا فى هذا نشبه انساناً مديناً بعشر وزنات وإذ لم يكن له ما يوفى الدين سجن هو وزوجته وأولاده ، فجاء آخر لا ليسدد الدين فحسب وإنما ليهبه عشرة آلاف وزنة ذهبية ، ويقوده من السجن إلى العرش ، ويهبه سلطاناً عظيماً ، ويجعله شريكاً معه فى الأمجاد العلوية وكل عظمة ، حتى لم يعد بعد يذكر موضوع الدين . هكذا يدفع لنا السيد أكثر مما علينا ، نعم قدر ما يتسع محيط بلا حدود مُقارنا بحفرة صغيرة .

لقد غطت هبات الله على موضوع الخطية والموت ... فصار يشغلنا عظم فيض نعمته الخاصة بالحياة الأبدية .

يحدثنا **القديس جيروم** على بركات فيض نعمة المسيح أو عمل إنجيله الذى يهدم موت الخطية ، قائلًا : [أما تحت المسيح ــ أى تحت إنجيله ــ ففُتح لنا باب الفردوس وصار الموت مصحوباً بالفرح لا بالغم (١٤٢)] .

إذ قدم لنا الرسول مقارنة بين أثر الخطية وأثر النعمة الإلهية لنجد أنفسنا وقد قدم لنا السيد المسيح فيض نعمته لا نعود نخاف الخطية ولا نرهب الموت كأثر لها بل ننشغل بالأمجاد التى أعدتها لنا نعمته الفائقة ، عاد ليقارن بين الناموس والنعمة ، قائلًا : « **وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية ، ولكن حيث كثرت الخطية إزدادت النعمة جداً ، حتى كما ملكت الخطية فى الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا** » **ع ٢٠ ، ٢١ .**

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** بأن الناموس قد أُعطى بحق لكى ينقص العصيان ويتدمر لكن النتيجة جاءت عكسية ، لا بسبب طبيعة الناموس وإنما بسبب إهمال الذين قبلوه . جاء يكشف المعصية ويدين العصاة متهماً إياهم بالأكثر . لكننا لا نخاف لأن الناموس لم يوضح لكى تزداد عقوبتنا وإنما لكى نتقبل النعمة التى ازدادت جداً ، إذ لم تقدم لنا إعفاءً من العقاب فحسب وانما وهبتنا الحياة . صرنا أشبه بإنسان كان محموماً فلم يُشف من مرضه فحسب وإنما نال جمالًا وقوة وكرامة ، كما نشبه إنساناً جائعاً لم ينل غذاء ليقوته فحسب وإنما تمتع بغنى عظيم وسلطان .

ربما يتساءل البعض : كيف كثرت الخطية بالناموس ؟ لأنه قدم وصايا كثيرة بلا حصر وقد عُصيت ، فإزداد العصيان .

كشف الناموس أيضا أصل الموت والحياة ، اذ أظهر أن الخطية تسلحت بالموت لتبيد النبر ، لكن النعمة حطمت سلاح الموت ووهبتنا البرّ على مستوى الحياة الأبدية الخالدة .

يقدم لنا **القديس أغسطينوس** تفسيراً لازدياد الخطية بالناموس ، إذ

يقول : [جاء الناموس لكى تكثر المعصية ، لأن المنع جعل الشهوة تزداد ، وصيرها عنفية (رو ٧ : ٧) . وهكذا صارت المعصية التى لم تكن بدون الناموس رغم وجود الخطية (حتى قبل الناموس) « إذ حيث ليس ناموس ليس أيضا تعد » رو ٥ : ٢٠ . وهكذا زادت قوة الخطية وذلك بالناموس ، وعدم مساعدة النعمة ، والمنع من الخطية ، لذلك يقول الرسول « وقوة الخطية هى الناموس » ١ كو ١٥ : ٥٦ .

إذن لا عجب إن كان ضعف الإنسان يجعل من الناموس الصالح ما يزيد من الشر ، مع أنه قد عهد اليه به لينفذ الناموس .

حقا إذ هم جاهلون ببر الله (رو ١٠ : ٣) الذى يهبه للضعفاء ، ويريدون أن يقيموا برهم الذاتى ، الأمر الذى يتجنبه الضعفاء ، صاروا غير خاضعين لبر الله وفاسدين ومتكبرين . لكن الناموس كمعلم يقود الذين صاروا مجرمين إلى النعمة ، طالبين « **الطبيب** » لأنه بهم جراحات خطيرة ، فيعطيهم الرب عذوبة فى عمل الخير عوض لذة الشهوة المهلكة ، حتى تكون لهم بالعفة بهجة أعظم ، وتعطى أرضهم ثمرها (مز ١٣٥ : ١٢) الذى منه يقتات الجندى (الروح) الذى يهزم الخطية بمساعدة الرب [١٤٣]]



إذ فند الرسول بولس حجة اليهود من جهة بنوتهم لإبراهيم الحرّ جسديا ، موضحاً أن ابراهيم قد تبرر وهو فى الغرلة بالإيمان كما تبرر بذات الإيمان وهو فى الختان ، لذا فهو أب أهل الغرلة كما هو أب أهل الختان ، هو أب الجميع ، فإن أردنا البنوة لابراهيم نلتزم أن نتبرر معه بالإيمان . الآن يرفعنا الرسول من البنوة لإبراهيم إلى البنوة لله نفسه فى مياه المعمودية التى يتمتع بها الأممى المتنصر كما اليهودى المتنصر ، ليعيش الكل كأبناء لله فى جدة الحياة ، يمارسون حياة المسيح المقامة ، مقدمين أجسادهم آلات برّ لله بعد أن كانت آلات إثم للخطية . هذا هو مفهوم الحرية الجديد : ليس الإنتساب جسدياً لإبراهيم وإنما ممارسة الحياة المقدسة بالنعمة الإلهية بروح البنوة .

١ ــ الحياة الجديدة بالمعمودية ١ ــ ١٤ .

٢ ــ الحرية فى المسيح يسوع ١٥ ــ ٢٣ .

\+ + +

١ ــ الحياة الجديدة بالمعمودية

إذ سبق فتحدث فى الأصحاح السابق عن فيض نعمة الله المجانية التى لا تقف عند غسلنا من الخطية ومحو آثارها ، أى الموت ، إنما تفيض فينا بغنى عطايا إلهية بلا حصر إذ تهبنا برّ الله وتقدم لنا الحياة أبدياً بشركة أمجاد إلهية وميراث سماوى فائق ...

بهذا أكدّ الرسول ليس فقط تفوق آثار النعمة أثر الخطية وانما أكدّ إلتزامنا ونحن نتمسك بالنعمة أن نحيا كما يليق بمن نالها ، مقدسين فى الرب . هذا ما عاد ليؤكده بأكثر وضوح فى هذا الأصحاح مبرزاً بنوتنا لله التى ننالها خلال نعمة المعمودية ، إذ يقول :

« فماذا نقول ؟ أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ؟ حاشا!
نحن الذين متنا عن الخطية ، كيف نعيش بعد فيها ؟ !
أم تجهلون أننا كل من إعتمد ليسوع ا لمسيح إعتمدنا لموته ؟ !
فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا بجدة الحياة » ع ١ ـــ ٤ .

إن كان الله بكثرة رحمته أفاض بنعمته علينا لينزع عنا كل أثر للخطية فتمجد فينا نحن الخطاة ، هذا لا يدفعنا للإستهتار بالخطية أو التهاون فى الجهاد ضدها إنما يليق بنا أن نتركها سالكين كما يليق بنا كأولاد لله نلنا بنعمته البنوة له . هكذا يضع الرسول بولس « المعمودية » أمامنا لندرك مركزنا الجديد خلال النعمة فنحيا فى جدة الحياة كأولاد لله ...

هذا هو عمل الكنيسة تجاه المؤمنين ، كأم نحو أولادها ، تأكيد نعمة الله المجانية كباعث حقيقة للجهاد بلا إنقطاع ،وتذكير الكل بمركزهم الجديد خلال مياه المعمودية ليعيشوا كل زمان غربتهم سالكين بقوة القيامة كأولاد لله ، فى جهاد غير منقطع .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** [١٤٤] أن المعمودية قد أماتت الخطية فينا ، ولكى تظل الخطية ميتة يليق بنا أن نجاهد بلا إنقطاع ، فلا نطيع الخطية بالمرة ، بل نقف أمامها جامدين كالموتى .

+ « ماذا يعنى « إعتمدنا لموته » ؟

يقصد موتنا نحن كما مات هو . فالمعمودية هى الصليب ، وما كان الصليب والدفن بالنسبة للمسيح تكون المعمودية بالنسبة لنا ، ولو أن التطابق ليس تماماً . لأنه هو مات ودفن بالجسد ، أما نحن فنمارس الإثنين (الموت والدفن) بالنسبة للخطية .

لم يقل « متحدين معه بموته » وإنما قال « بشبه موته » ع ٥ ، فإن هذا وذاك هما موت ، لكن موضوع الموت مختلف ، المسيح مات بالجسد أما نحن فنموت عن الخطية التى من عندياتنا .

القديس يوحنا الذهبى الفم (١٤٥)

+ واضح أن من يعتمد يُصلب فيه إبن الله ، فإن جسدنا لا يقدر أن يطرد الخطية ما لم يصلب مع يسوع المسيح .

القديس أمبروسيوس (١٤٦)

+ لندفن مع المسيح بالمعمودية لنقوم معه !
لننزل معه لكى نرتفع أيضا معه !
لنصعد معه فنتمجد أيضاً معه !

القديس غريغوريوس النزينزى (١٤٧)

+ الآن إن كنا نمتثل لموته فالخطية التى فينا تكون بالتاكيد جثماناً ميتا ، تُجرح برمح المعمودية كما ضرب فينحاس الغيور الزانى بالرمح (عد ٢٥ : ٦ ، ٦) .

القديس غريغوريوس أسقف نيصص (١٤٨)

ويلاحظ فى حديثه عن تمتعنا بالحياة الجديدة فى مياه المعمودية الآتى :

أولًا : يربط الرسول بين الصلب والدفن والقيامة ، أو بين الموت مع السيد المسيح والحياة معه بقوة قيامته . فإن كانت المعمودية هى دفن فهى فى نفس الوقت قيامة ، بهذا نفهم طريق المسيح كطريق كرب وفى نفس الوقت طريق مبهج ، لأنه طريق الألم مع المسيح والقيامة معه . هذا من جانب ومن جانب آخر فإن تمتعنا بقيامته ليس أمراً مستقبلياً فحسب إنما هى حياة حاضرة نعيشها فى حياتنا اليومية .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم : [إذ يلمح هنا عن إلتزامنا بالسلوك المدقق يشير إلى موضوع القيامة ... فإنه يقصد بكلماته هكذا : أتؤمن أن المسيح مات وقام ؟ آمن بهذا من جهة نفسك ، فالقيامة كالصلب والدفن هى خاصة بك . إن كنت تشترك فى الموت والدفن فبالأولى أن تشترك فى القيامة والحياة . إن كانت الخطية ، الأمر الأصعب ، قد أزيلت فبلا شك ينزع الموت الأمر**

الآقل (فتنال القيامة) ... الآن إذ يقدم لنا القيامة فإنه يسألنا أمراً آخر هو تغيير (تجديد) عاداتنا هنا (بكونها قيامة عاملة فينا) . فعندما يصير الزانى عفيفاً والطماع رحوماً والعنيف مطيعاً ، بهذا تكون القيامة عاملة هنا كعربون للقيامة الأخرى . كيف يُحسب هذا قيامة ؟ لأن الخطية تموت والبر يقوم ، الإنسان القديم ينتهى والجديد الملائكى يعيش [149]] .

يكمل القديس يوحنا الذهبى الفم حديثه عن الموت مع المسيح والقيامة معه فى جرن المعمودية مبرزاً دورنا الايجابى فى « الإماته » ، فان كان السيد المسيح يهبنا أن نموت معه فى المعمودية إنما ليقدم لنا إمكانية السلوك هكذا والجهاد كل أيام غربتنا بلا توقف حتى لا نفقد نعمة المعمودية أو ثمرها فينا ... أى حتى لا نفقد تمتعنا بالموت مع المسيح . يقول القديس الذهبى الفم : [يتحدث الرسول عن نوعين من الإماته والموت ، الأولى هى عمل المسيح (فينا) فى المعمودية ، والثانى نمارسه بشغف بعد المعمودية ؛ فدفن خطايانا السابقة هو هبة منه ، لكن أن نبقى أمواتاً عن الخطية بعد المعمودية فيلزم أن يكون موضع شغفنا لنجد الله نفسه معيناً لنا . فان سلطان المعمودية لا يقف عند محو معاصينا السالفة إنما تهبنا آمانا من جهة المعاصى اللاحقة . بالنسبة للخطايا السابقة نساهم نحن بالإيمان لكى تُمحى ، وهكذا أيضاً بالنسبة للخطايا اللاحقة يلزمك إظهار تغيير نيتك مؤكداً أنك لا تدنس نفسك بعد . هذا هو ما يشير به عليك الرسول بقوله : « **إن كنا قد إتحدنا (زرعنا) معه فى شبه موته نصير أيضاً بقيامته** » ع ٥ . ألا تلاحظ كيف يستثير سامعه ليقوده إلى سيده محتملًا آلاماً كثيرة ليصير على شبهه ؟ ! لهذا لم يقل : « إتحدنا (زرعنا) معه فى موته » لئلا تعارضه بل قال : « فى شبه موته » . لأن جوهرنا لا يموت بل « إنسان الخطية » أى « الشر » هو الذى يموت .

« إن كنا قد زرعنا معه » ؛ فبإشارته للزرع هنا يلمح إلى الثمر الذى ينتج عنه ، فكما أن جسد (المسيح) بدفنه فى الأرض قدم لنا ثمر الخلاص للعالم ، هكذا نحن أيضا إذ ندفن فى المعمودية نحمل ثمر البرّ والتقديس والتبنى وبركات بلا حصر ، كما نحمل بعد ذلك عطية القيامة .

نحن دفنا فى المياه أما هو ففى الأرض ، نحن دُفنا عن الخطية أما هو فمن جهة

الجسد ، لذلك لم يقل : « زُرعنا معه فى موته » وإنما « فى شبه موته » ... لكنه لم يقل « نصير أيضا فى شبه قيامته » بل « بقيامته » ذاتها [١٥٠] ...] .

ثانياً : غاية المعمودية اننا إذ نُصلب مع السيد المسيح ننعم بالحياة المقامة الجديدة ، فنعيش هنا بفكر سماوى متمتعين بعربون الميراث الابدى .

+ الغنوسى (صاحب المعرفة الروحية الحقة) لن يضع غايته الرئيسية فى الحياة (الزمنية) إنما يبقى على الدوام سعيداً ومطوّبا وصديقاً ملوكياً لله .

القديس أكليمنضس الاسكندرى [١٥١]

+ يتقبل المعمدون الميراث ، هؤلاء الذين يعتمدون بموت المسيح ويدفنون معه ليقوموا معه . لذا فهم ورثة الله ووارثون مع المسيح (رو ٨ : ١٧) ، ورثة الله لأن نعمة المسيح توهب لهم ؛ وورثة مع المسيح لأنهم يتجددون بحياته ، وهم أيضاً ورثة المسيح إذ وهبهم الميراث بموته كما لو كانوا ورثة للموصى .

القديس أمبروسيوس [١٥٢]

ثالثاً : إذ أراد الرسول تأكيد حقيقة القيامة لم يقل « نصير أيضا بشبه قيامته » بل « بقيامته » عينها ، قدم لنا عربون هذه القيامة المقبلة خلال حياتنا الزمنية ، قائلًا : « **عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضا للخطية ، لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية ، فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن اننا سنحيا أيضاً معه** » ع ٦ ــ ٨ . نُمت هنا عن الخطية فنحيا للبرّ ... هذه هى القيامة الأولى التى يدعوها الرسول « جدة الحياة » ع ٤ ، عربون القيامة الأخيرة .

« جسد الخطية » الذى يبطل هو شرور الانسان وآثامه التى عاشت فيه فمات روحياً ... بالمعمودية يموت الانسان القديم بهذا الجسد أى « الآثام » ليمارس قوة القيامة كحياة جديدة ، بفكر جديد وتسبحة جديدة .

يقول **القديس جيروم** : [حتى التسبحة التى نتغنى بها جديدة (رؤ ١٤ : ٣) إذ نخلع الإنسان القديم (أف ٤ : ٢٢) ، فلا نسير فى عتق الحرف بل فى جدة الروح (رو ٧ : ٦) ... انه لا يسعفنى الوقت لأحاول تقديم كل

عبارات الكتب المقدسة الخاصة بفاعلية المعمودية شارحاً لك التعاليم السرية الخاصة بهذا الميلاد الجديد الذى هو ميلاد ثانٍ لكنه يُحسب الأول فى المسيح [١٥٣]] .

وقد حاول كثير من الآباء تأكيد أن الذى يموت فى المعمودية ليس « الجسد » إنما « جسد الخطية » ، مظهرين خطأ بعض الأفكار الغنوسية التى تنظر إلى الجسد (الجسم) كعنصر ظلمة يجب الخلاص منه ومقاومته . فاننا نؤمن بأن الله لم يخلق فينا عنصر ظلمة ولا شراً وان الجسد بأحاسيسه وعواطفه وقدراته هو من صنع الله الصالح إنما نحن أفسدناه بانحراف الاحاسيس والعواطف عن غايتها وهى الحب الى الشهوة والدنس . وكما يقول **العلامة ترتليان** فى مقاله عن « قيامة الجسد » : [الجسد ليس مضاداً للخلاص بل أعمال الجسد (المنحرفة) . عندما تُنزع عنه هذه الأعمال المسببة للموت يظهر الجسد فى آمان ويتحرر من كل عله الموت [١٥٤]] . ويكمل حديثه بافاضة [١٥٥] مؤكداً ان الذى يصلب مع المسيح ليس هيكل الجسد ولا كيانه الذاتى إنما سلوكه الاخلاقى (أو الطبيعة الفاسدة التى طرأت عليه) وأحاسيس الخطية التى طرأت عليه ، مدللًا على ذلك بأن الرسول لم يقل : « كى لا نعود نستعبد أيضاً للجسد » بل قال : « للخطية » ع ٦ . وأيضاً لم يقل : « احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الجسد » وانما قال : « عن الخطية » ع ١١ . وقد سبق لى معالجة هذا الموضوع فى مقدمة كتاب « العفة » **للقديس أغسطينوس** الذى سبق لى ترجمته ونشره .

رابعاً : إن كنا نقبل أن نبقى فى حالة « موت عن الخطية » فما هى المكافأة ؟ « **فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضا معه** » ع ٨ . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** انه إذ يتطلب منا الرسول أن نقوم بهذا الدور البطولى أن نموت عن الخطية فنصير بالنسبة لها كمن هو مُلقى جامداً بلا حراك ، فلا نشوّه عطية الله التى وهبت لنا فى المعمودية يقدم لنا الإكاليل : « الحياة مع المسيح » ، قائلًا « سنحيا أيضاً معه » . [حقاً حتى قبل نوالنا الإكليل فإن الشركة مع سيدنا هى فى ذاتها أعظم إكليل [١٥٦]] .

خامساً : لئلا يستثقل المؤمن هذا الطريق : « الموت مع المسيح » ، خاصة وانه يطالبنا به كل أيام غربتنا بعد تمتعنا بالدفن معه فى المعمودية ، أوضح الرسول

جانبين : الأول أن هذا الموت هو « مع المسيح » ، يرافقناالطريق بكونه الحياة والقيامة فلا يستطيع الموت أن يحطمنا ، والثانى أن المسيح مات مرة واحدة عن خطايانا وقام فلا يعود يموت ثانية هكذا يهبنا قوة القيامة والغلبة على الخطية ، بهذا لا يكون موتنا عن الخطية حرماناً أو خسارة بل ممارسة لقوة الغلبة والنصرة التى لنا بالمسيح غالب الخطية والموت . هذا هو ما قصده الرسول بقوله : « **عالمين أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً ، لا يسود عليه الموت بعد ، لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطية مرة واحدة ، والحياة التى يحياها فيحياها لله ، كذلك أنتم أيضاً إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا** » ع **٩ ـــ ١١** .

أكد الرسول أن السيد المسيح لم يمت عن ضعف خاص به إنما «للخطية» لكى يحطم خطايانا ويبدد قوتها ، لهذا لم يعد لها سلطانا علينا مادمنا فى إتحاد معه . حقاً الخطية خاطئة جداً وعنيفة بسببها مات المسيح عنا مرة واحدة ، لكنه بموته هدم سلطانها ، فلا نخاف السير معه فى هذا الطريق .

لقد مات المسيح مرة واحدة بلا تكرار ، لأنه لم يمت عن ضعف بل عن قوة الحب الباذل ، لكى إذ لا يموت مرة أخرى يهبنا ونحن نشترك معه فى موته أن نشاركه قيامته التى لا يغلبها الموت .

+ هذه هى نعمة الله ، وهذه هى طرق الله فى إصلاح بنى البشر ، فإنه تألم ليحرر الذين يتألمون فيه ،

نزل لكى يرفعنا ،

قبل أن يولد حتى نحب ذاك الذى هو ليس (بإنسان مولود عادى) ،

نزل إلى حيث (الموت) ليهبنا عدم الموت ،

صار ضعيفاً لأجلنا حتى ننال قوة ...

أخيراً صار إنساناً حتى نقوم مرة أخرى نحن الذين نموت كبشر ، ولا يعود يملك الموت علينا ، إذ تعلن الكلمات الرسولية قائلة : « لا يسود علينا الموت بعد » (راجع ع ٩ ، ١٤) .

القدس البابا أثناسيوس الرسولى (١٥٧)

لقد أكد الرسول ان المسيح مات مرة واحدة عن الخطية ، لهذا ففى سرّ الافخارستيا نقبل السيد المسيح الذى مات مرة على الصليب ، فنقبل ذات عمل الصليب الذى لا يتكرر إنما هو ممتد فى حياة الكنيسة كسّر غلبتها على الخطية والموت ، ويبقى سّر تسبيحها الذى لا ينقطع حتى فى الأبدية .

مات السيد المسيح مرة واحدة عن الخطية مقدماً ذبيحة الحب بإسمنا ، هذه التى يشتهى أن يقدمها فى حياة شعبه وخدامه . يروى لنا **القديس أمبروسيوس** (١٥٨) قصة لقاء السيد المسيح مع القديس بطرس عند أبواب روما وهو خارج تحت ضغط المؤمنين ليهرب من الإستشهاد ، فرأى السيد حاملًا صليبه ، فعرف انه يريد أن يصلب فى شخص خادمه لهذا عاد إلى روما وقدم نفسه للموت من أجل المسيح وتمجّد ربنا يسوع بصلبه .

سادساً : إن كان المسيح قد مات « للخطية » كى لا يكون لها سلطان علينا ، فانه لا يليق بنا إلا أن نسلم القلب عرشاً له بعد أن ملكت عليه الخطية زماناً . لنمت عن الخطية فلا تملك علينا بعد ولنحيا لله بالمسيح يسوع ربنا الذى يملك فينا ويقيم مملكته داخل قلوبنا ، مقدمين كل أعضاء جسدنا وكل طاقاتنا وعواطفنا لحساب ملكوته كآلات برّ لله بعد أن كانت خاضعة للشهوات كآلات اثم للخطية .

هذا ما عناه الرسول بولس بقوله : « **كذلك أنتم أيضاً إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا . إذن لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته ، ولا تقدموا أعضائكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضائكم آلات برّ لله ، فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة** » ع ١١ ـــ ١٤ .

يوضح الرسول ان المسيح يسوع ربنا هو الذى يهبنا الموت عن الخطية والحياة للآب كأبناء له ؛ وهو الذى يحطم الشهوة الشريرة لا الجسد ذاته ، محولًا أعضاء الجسد من آلات إثم للخطية إلى آلات برّ لله ، لهذا وجب أن يملك هو فينا لا الخطية .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى قول الرسول « لا تملكن الخطية » إعلاناً عن إستعباد الخطية للإنسان ، إذ تود أن تحكمه بالقوة والقهر ... لذا من يعود إليها

بعدما تمتع بنعمة المسيح يكون كمن قذف بالتاج من على رأسه ليحنى رقبته لعبودية إمرأة مجنونة مهلهلة الثياب وعنيفة . أما قوله « فى جسدكم المائت » إنما لكى يوضح الرسول أن الجهاد مؤقت وله نهاية مادام مرتبط بجسدنا الزمنى .

فيما يلى بعض مقتطفات للآباء بخصوص ملكية المسيح فينا وملكية الخطية علينا :

+ لا يجسر أحد أن يقول : « ملكى والهى » مز ٥ : ١ إلا ذاك الذى لا تملك الخطية فى جسده المائت ...

أنت تملك فىّ ، أما الخطية فلا تملك ، لأنك أنت إلهى !
أنت هو إلهى ، لأن بطنى ليست إلهاً لى ولا الذهب ولا الشهوة !
أنت هو الفضيلة ، أود أن اقتنيك !
أنت هو إلهى ، أنت هو فضيلتى !

القديس جيروم [١٥٩]

+ إنها كرامة عظيمة وشرف كبير أن يكون الإنسان عبداً للرب لا للخطية .
+ « قلب الملك فى يّد الرب » أم ٢١ : ١ .
لنكن ملوكاً فنحكم جسدنا (من الخطية) ونخضعه ، فيكون قلبنا فى يد الله .

القديس جيروم [١٦٠]

+ هذا هو عملنا الحالى مادامت حياتنا مستترة ، ألا نملك الخطية أو شهوة الخطية فى جسدنا المائت ، فاننا إن كنا نطيع شهوتها تملك علينا .

شهوة الخطية فينا لكننا لا نسمح لها أن تملك علينا ، ورغبتها موجودة لكن يلزم ألا نطيعها حتى لا تسيطر علينا . فإذ لا نسمح للشهوة أن تغتصب أعضاءنا بل للعفة ان تطلبها كحق لها ، بهذا تكون أعضاؤنا آلات برّ لله وليست آلات إثم للخطية . بهذا لا تسودنا الخطية ، لأننا لسنا تحت الناموس الذى يأمر بما هو للخير دون أن يهبه ، بل تحت النعمة التى تحببنا بما يأمر به الناموس ، وهى قادرة على السيطرة على (الإرادة) .

+ مادامت الخطية بالضرورة موجودة فى أعضائك فلا تجعل لها سلطان عليك لتملك وإنما على الأقل أطردها ولا تطع متطلباتها .

هل يثور فيك الغضب ؟ لا تُخضع له لسانك بالنطق بكلمة شريرة ، ولا تُخضع له يدك أو قدمك كأن تضرب بهما . ما كان يمكن للغضب غير المتعقل أن يثور فيك لو لم توجد الخطية فى أعضائك ، لكن أطرد قوتها الحاكمة ، فلا يكون لها أسلحة لمحاربتك ، عندئذ تتعلم هى ألا تثور فيك إذ تجد نفسها بلا أسلحة ...

هكذا يليق بكل أحد أن يجاهد إذ يبغى الكمال ، حتى إذ تجد الشهوة نفسها بلا إستجابة من الأعضاء تقل يوماً فيوماً خلال رحلتها .

القديس أغسطينوس (١٦١)

+ « إذن لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت » ع ١٢ ...

لم يقل : « لا تدعها توجد هناك » لأنها هى موجودة فعلًا .

+ مادمت تحمل جسداً قابلًا للموت تحاربك الخطية ؛ لكن ليتك لا تجعلها تملك ... أى إقطع رغباتها . فإن بدأت تطيعها تملك عليك .

ماذا يعنى « تطيع » ؟ تخضع أعضاءك كآلات إثم للخطية .

القديس أغسطينوس (١٦٢)

سابعاً : مرة أخرى يؤكد الرسول ان الدعوة للموت مع المسيح لا تعنى تحطيم كيان الجسد بل تقديسه ، فقد رأينا فى الحديث عن المعمودية ان الانسان العتيق الذى يُصلب (ع ٦) إنما يبطل جسد الخطية لا اعضاء الجسد فى ذاتها ، والآن إذ يتحدث عن الجهاد بعد المعمودية خلال امكانيات المعمودية أو خلال « عمل النعمة فينا يؤكد أن الدعوة للموت مع المسيح ليست دعوة سلبية للخسارة والتبديد وإنما دعوة ايجابية للربح . فالموت هنا هو ربح ، إذ فيه تمتع بالمعية مع المسيح المصلوب القائم من الأموات ، القادر لا على تحطيم اعضاء الجسم كآلات إثم للخطية وانما بالحرى يقيمها آلات برّ لله ، واهباً إياها تقديساً من عندياته .

يقول الرسول : « **ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات برّ لله** » ع **١٣** .

والعجيب قبل أن يطالبنا بتقديم اعضاءنا آلات برّ لله يطالبنا بتقديم « ذواتنا لله كأحياء من الاموات » ، بمعنى انه لن تتقدس اعضاؤنا الجسدية ما لم يتقدس كياننا

ككل ، ونقبل القيامة عاملة فى نفوسنا كما فى فكرنا وجسدنا الخ ...

+ الأعضاء عينها التى إعتدنا أن نخدم بها الخطية ونجلب بها ثمرة الموت يريدنا الله أن نستخدمها للطاعة للبرّ فنثمر للحياة .

القديس إيريناؤس (١٦٣)

يرى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** انه إذ يتقدس الانسان فى كليته ، خاصة النفس تتحول الاعضاء الجسدية من آلات اثم الى آلات برّ لمجد الله ، فتكون كالنفس كامرأة التى وجدت الدرهم المفقود (لو ١٥) فدعت جيرانها ليفرحوا معها ويشاركونها بهجتها بالدرهم . هكذا أعضاؤنا اشبه بالجيران ، ندعوها تمارس فرحنا بخلاص الرب عملياً !

ثامناً : يختم الرسول بولس حديثه عن عمل المعمودية الملتحم بالجهاد الروحى ، قائلًا : « **فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة** » ع **١٤** ، مؤكداً الامكانيات الجديدة التى صارت لنا خلال النعمة التى تعمل فينا فى مياه المعمودية كما فى جهادنا اليومى ، الإمكانيات الواهبة للغلبة والنصرة .

٢ ــ الحرية فى المسيح يسوع

إذ ركز الرسول بولس أنظارنا نحو المعمودية كأبناء لله نمارس هذه البنوة خلال موتنا مع المسيح وحياتنا معه كل أيام غربتنا ، أراد أن يُصَحح مفهوماً خاطئاً إستقر فى ذهن اليهود ألا وهو انهم أحرار لمجرد انتسابهم لإبراهيم جسدياً ، الأمر الذى وضح فى حوارهم مع السيد المسيح حين أعلن لهم : « انكم إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى ، وتعرفون الحق والحق يحرركم » يو ٨ : ٣١ ، ٣٢ ، « أجابوه : إننا ذرية إبراهيم ولم نُستعبد لأحد قط ، كيف تقول أنت إنكم تصيرون أحراراً ؟ ! أجابهم يسوع : الحق الحق أقول لكم أن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية ، والعبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد ، أما الإبن فيبقى إلى الأبد ، فإن حرركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً » يو ٨ : ٣٣ ــ ٣٦ .

يلاحظ فى حديث الرسول بولس هنا عن الحرية التى صارت لنا فى المسيح يسوع الآتى :

أولاً : يستخدم الرسول أسلوب التشجيع ، إذ يقول : « **فشكراً لله إنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التى تسلمتموها ، وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر** » ع **١٧ ، ١٨** . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** انه يعود فيدخل الثقة فى نفوسهم بعد أن أزعجهم بالخزى وأرعبهم بالعقاب مظهراً لهم انهم بالفعل نالوا الحرية من شرور كثيرة بفضل النعمة الإلهية ، لذا وجب عليهم تقديم الشكر لله على هذه العطية . بمعنى آخر إن كان الرسول يدعونا للحرية ، فإنه يدعونا لحياة نمارسها بالنعمة ، يجب أن تزداد وتلتهب فينا .

ثانياً : بقوله « **أطعتم من القلب** » يشير إلى أن الحرية التى نمارسها لا تتحقق عن قوة أو إضطرار ، إنما تُمارس خلال الحب « القلب » بكمال إرادتنا ... فالحرية فى المسيح هى عبودية للبر (ع ١٨) لكنها عبودية الحب الإختيارى وليس عبودية العنف الالزامى ؛ عبودية النضوج والالتزام بلا استهتار أو تسيّب !

+ لا يقل المسيحى إننى حرّ ، أفعلُ ما يحلو لى ، ليس لأحد أن يكبح إرادتى مادمت حراً . إن كنت بهذه الحرية ترتكب خطية فأنت عبد للخطية .

لا تفسد حريتك بالتحرر للخطية إنما لإستخدامها فى عدم إرتكاب الخطية . « فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة ، غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة إخدموا بعضكم بعضاً » غلا ٥ : ١٢ .

القديس أغسطينوس (١٦٤)

ثالثاً : ما هى صورة التعليم التى تسلمناها لنطيعها من القلب ؟ « إذ اعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر » ... أى خروج بالنعمة من حالة العبودية القاسية التى أذلتنا بها الخطية إلى حالة عبودية للبرّ يبتهج بها قلبنا بالحب الداخلى .

رابعاً : يقول الرسول : « **أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم** » ع **١٩** . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** ان الرسول يتكلم معهم بكونه إنساناً ، يشاركهم ذات العمل ، فهو لا يتحدث متعالياً عن أمر عسير صارم إنما يوصيهم كإنسان يحمل معهم ذات طبيعتهم ، وله خبرة عملية أنه كان قبلاً يستخدم أعضاءه لخدمة الإثم وقد تحررت فصارت أعضاؤه متعبدة للبر .

خامسا : يقارن الرسول بين العبودية للإثم والعبودية للبرّ ، فيرى الأولى قاسية ومخزية إذ يقول « **تستحون منها** » ع **٢١** ونهايتها الموت (ع ٢١ ، أما الثانية فعلى العكس تهب تقديساً ونهايتها حياة أبدية (ع ٢١) . فإن كانت الأولى تثمر عاراً وموتاً فالثانية تثمر قداسة وحياة أبدية . ويرى **الأب موسى** ان الثمر الثانى يحمل مستويين : الهدف النهائى وهو الحياة الأبدية وأما الهدف الحالى فهو « القداسة » التى هى « نقاوة القلب » والتى بدونها لن ننعم بالحياة الأبدية [١٦٥] . وكأن العبودية للبر تسندنا فى زماننا الحاضر بثمرها الذى للبر حيث تهب القلب نقاوة فيقدر على معاينة الله ، وتدخل بنا إلى العالم الأبدى إذ تهبنا « الحياة الأبدية » .

سادساً : إذ يتحدث الرسول بولس هنا عن « **الحياة الابدية** » ع ٢٤ كعطية مجانية للنعمة ، يتساءل **القديس أغسطينوس** : كيف يمكن ان تكون « الحياة الأبدية » جزاءً لأعمال صالحة (مت ١٦ : ٢٧) وفى نفس الوقت عطية مجانية للنعمة ؟ وقد جاءت اجابته باسهاب فى كتابه عن « النعمة والارادة الحرة [١٦٦] » ، نقتطف منها الآتى :

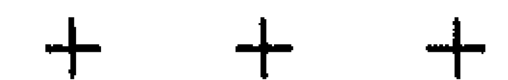
[يبدو لى أن هذا السؤال لا يمكن حله مطلقاً مالم نفهم انه حتى الأعمال الصالحة التى نجازى عنها بالحياة الأبدية هى من عمل نعمة الله ، لأنه عن ماذا قال الرب يسوع : « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » يو ١٥ : ٥ ؟ !

والرسول نفسه بعدما قال : « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » أف ٢ : ٨ - - ١٠ رأى بالطبع أن البشر يمكنهم أن يفهموا من هذه العبارة أنَّ الأعمال الصالحة ليست هامة للمؤمنين إنما يكفيهم الإيمان وحده ، وفى نفس الوقت يرى أولئك المفتخرون بأعمالهم كما لو أنهم قادرون وحدهم على تنفيذها ، لهذا وفق بين هذه الآراء بعضها البعض ... مكملًا : « لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » ...

إسمع الآن وأفهم إن عبارة : « ليس من أعمال » قيلت عن الأعمال التى تظن ان مصدرها هو أنت وحدك . لكن لتفتكر فى الأعمال التى يشكلها الله فيك . عن

هذه يقول : « نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع « لأعمال صالحة قد سبق فأعدها الله لكى تسلك فيها » ...

على أى الأحوال تُعطى الحياة الأبدية هكذا (كجزاء لأعمال صالحة) لأن الله يعمل أعمالًا صالحة فى إناس صالحين ، قيل عنهم : « الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرته » ، حتى ان المزمور المطروح أمامنا يقول : « الذى يكللك بالرحمة والرأفة » مز ١٠٣ : ٤ ، إذ من خلال رحمته تنفذ الأعمال الصالحة التى بها تنال الإكاليل] .





بعد تفنيده للحجة الأولى لليهود الخاصة ببنوتهم لإبراهيم الحّر رافعاً إياهم إلى البنوة للتمتع بالحرية الحقة ، أخذ يفند الحجة الثانية الخاصة بإستلامهم الناموس الموسوى دون سواهم ، معلناً أن الناموس يفضح الخطية ولايعالجها ، لذا فهو يبرر الخطاة ، إنما يقودهم إلى المسيح لينعموا ببره .

١ ــ الحاجة إلى التحرر من الناموس	١ ــ ٦ .
٢ ــ الناموس يفضح الخطية	٧ ــ ١٣ .
٣ ــ ناموس الله وناموس الخطية	١٤ ــ ٢٥ .

\+ \+ \+

١ ــ الحاجة إلى التحرر من الناموس

الناموس الذى يفتخرون به يمثل رجلًا يحكم على إمرأته الخاطئة بالموت ؛ إنه يدينها ! فالحاجة الآن إلى التحرر من حكمة هذا بدخُول آخر كرجل لها بعد أن يموت حكم الأول فتتحرر من سلطانه . بمعنى آخر يلزم أن يتحرر الإنسان من حكم حرفية الناموس ليتقبل العريس الآخر ربنا يسوع .

« أم تجهلون أيها الأخوة ، لأنى أكلم العارفين بالناموس ، أن الناموس يسود على الإنسان مادام حياً . فإن المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحىّ ، ولكن إن مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل ، فإذا مادام الرجل حياً تدعى زانية إن صارت لرجل آخر ، ولكن إن مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى أنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر . إذاً يا إخوتى أنتم أيضا قدمتم الناموس بجسد المسيح لكى تصيروا لآخر للذى قد أُقيم من الأموات لنثمر لله » ع ١ ـــ ٤ .

يلاحظ فى هذا النص الرسولى :

أولاً : إذ كان الرسول بولس يعالج موضوع إفتخار اليهود على الأمم بكونهم مستلمى الناموس أراد وهو يحطم كبرياءهم هذا ألا يهاجم الناموس ذاته لأنه ناموس الله المقدس ، إنما يهاجم مستخدميه . يظهر ذلك فى دقة العبارات التى إستخدمها الرسول هنا وهو يتحدث عن الناموس ، إذ نراه يكتب بحساسية شديدة :

ا ـــ وهو يقدم مثل المرأة المرتبطة برجل كمثال للأمة اليهودية المرتبطة بالناموس ، يقول : « **لأنى أكلم العارفين بالناموس** » ع ١ ... كأنه فى نفس المثال يتحدث ناموسياً ، عن أمور واضحة يحكم فيها الناموس نفسه ، أو بمعنى آخر يعلن الرسول أنه يقبل حكم الناموس ذاته فى هذا الأمر ، أو يلتجىء إلى حكم الناموس لأنه عادل ومقدس .

ب ـــ فى مثل المرأة المرتبطة برجل إكتفى بذكر موت الرجل لتحرر المرأة من سلطانه فلا تحسب زانية إن تزوجت آخر فإن المرأة هنا تشير إلى الكنيسة سواء على مستوى الجماعة أو كل عضو فيها ، فالمؤمن لايقدر أن يرتبط بحرف الناموس وأعماله الرمزية مع أعمال النعمة الإلهية ، والا حسب كإمرأة اقترنت بعريسين ....

هذا ويلاحظ دقة تعبير الرسول بولس فإن اذ يتحدث عن إقتران الإنسان بالناموس لم يتعرض لموت الناموس نفسه كى يتحرر الإنسان منه ، بل فى دقة بالغة يقول : « **قدمتم للناموس** » .... وكأن الذى يموت هو الانسان للناموس ليحيا للمسيح . قال هذا حتى لايظن أحد أن الرسول يقاوم الناموس لنفسه ويطلب

الخلاص منه ، إنما الحرية من حكمه ، ومن حرفيته القاتلة .

مرة أخرى يقول : « **إن الناموس يسود على الإنسان مادام حياً** » ع ١ ، لكن إن مات الإنسان فلا يخضع لشرائع الناموس الحرفية وأعماله .

ثانياً : فى المثال الذى بين أيدينا يقدم لنا الرسول امرأة ورجلين ، فإن المرأة تبقى تحت ناموس الرجل الأول مادام حياً ، فإن مات تحررت من سلطانه لترتبط بالآخر ، ولاتحسب هذه الأرملة زانية . فإن كانت المرأة تمثل جماعة المؤمنين ، والرجل الأول هو الناموس والثانى هو السيد المسيح ، فإن المؤمنين إذ يرتبطون بالناموس يخضعون لاعماله ويسقطون تحت الحكم الصادر منه ..... لذا صارت الحاجة ان يتحرر المؤمنون من هذا السلطان أى حرفية أعماله وايفاء الحكم الصادر منه بموتنا كى نرتبط بالثانى أى السيد المسيح القائم من الأموات . وقد تحق هذا الموت للناموس والتحرر منه خلال موت المسيح عنا إيفاءً للحكم الصادر ناموسياً ضدنا ! بهذا لم يكسر المسيح الناموس بل أكمله ، وحقق غايته ، بدخوله هو كعريس للجماعة المقدسة خلال موته بالصليب ، لتعيش معه عروساً متحدة معه أبدياً بلا إنفصال عنه .

إذن موتنا للناموس لحساب إتحادنا مع السيد المسيح لايعنى إنهياراً للناموس إنما يعنى تحقيق غايته بتقديمنا للرجل الآخر الذى أُقيم من الأموات لنقوم معه .

أكدّ الرسول التزامنا بالزواج الثانى ، قائلاً :
« إنكم لستم لأنفسكم » ١ كو ٦ : ١٩ .
« قد أشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس » ١ كو ٧ : ٢٣ .
« وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام » ٢ كو ٥ : ١٥ .

ثانياً :

هذا الزواج أنجب ثمراً لحساب الله ، إذ يقول : « **لنثمر لله** » ع ٤ ، على عكس الزواج السابق حين كان المؤمنون تحت سلطان الرجل الأول ، أى تحت الناموس الموسوى فانهم لم يستطيعوا أن يثمروا لله لا لسبب خاص بالناموس ذاته وإنما بسبب

طبيعة العصيان التى كانت لهم ، لذا جاء الثمر هو : « حكم الناموس علينا بالموت » .

يقارن الرسول بين الثمرين : ثمر الإتحاد بالرجل الأول المعلن حكمه علينا بسبب شر طبيعتنا وثمر الإتحاد بالثانى الذى يحررنا من الحكم الناموسى مقدماً لنا إمكانيات جديدة : « **لنثمر لله ، لأنه لما كنا فى الجسد كانت أهواء الخطايا التى بالناموس تعمل فى أعضائنا لكى نثمر للموت ، وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لابعتق الحرف** » ع ٤ـــ٦ .

يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** : [هاأنتم ترون ماقد نلناه من الزوج السابق ! إنه لم يقل : « لما كنا فى الناموس » ، إذ فى كل عبارة يحجم عن أن يعطى فرصة للهراطقة (بإحتقار الناموس) ، بل يقول « لما كنا فى الجسد » ، أى كنا فى الأفعال الشريرة ، فى الحياة الجسدانية . مايقوله لا يعنى انهم كانوا قبلًا فى الجسد وإنهم الآن بدون أجسام ، إنما يقصد بقوله هذا انه ليس الناموس هو سبب الخطايا وفى نفس الوقت لايحرر من خزيها ، إذ قام بدور المتهم القاسى بفضح خطاياهم ، حيث أن الذين يرتبطون به أكثر لايفكرون فى الطاعة نهائيا ، الأمر الذى يكشف نهاية عصيانهم بصورة أقوى . هذا ماجعله لايقول : « كانت أهواء الخطايا التى أنتجها الناموس » بل قال « كانت أهواء الخطايا التى بالناموس (خلاله) » .... بمعنى أنه خلال الناموس صارت ظاهرة ومعلنة . كذلك لم يتهم الجسد ذاته ، إذ لم يقل « الأهواء التى إرتكبتها الأعضاء » وإنما التى « تعمل فى أعضائنا » ، ليظهر أن أصل الضرر جاء من موضع آخر هى الأفكار التى تعمل فينا وليست الأعضاء التى تعمل الأهواء فيها . فإن النفس تقوم بدور اللاعب على القيثارة التى هى الجسد ، فتلزمه بذلك . فالنغم غير المنسجم لاينسب للأخير (القيثارة) بل للأول (النفس) أكثر من الأخير[١٦٧]] .

هكذا وإن أعلن الرسول بولس الحاجة إلى التحرر من الناموس ، الرجل الأول ، لكنه لايلقى باللوم على الناموس ولا أعضاء الجسم ، إنما العيب هو فى النفس التى تقود الأهواء فينا أكثر مما للجسد ... وان كان الأخير ملتزم بالمسئولية مع النفس لكن ليس المسئول الأول .

إذ تحقق الزواج الثانى يقول الرسول : « **وأما الآن فقد تحررنا من الناموس** » ع ٦ ،وقد جاءت الكلمة اليونانية للتحرير هنا بمعنى انه « لم يعد هناك أثر أو فاعلية » .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة بالقول : [أنظر كيف يستبعد هنا الناموس والجسد ، إذ لم يقل إن الناموس صار بلا فاعلية ، ولا الجسد بلافاعلية ، وإنما نحن صرنا بلا فاعلية (أى خلصنا) . كيف خلصنا ؟ بموت الإنسان القديم ودفنه ، هذا الذى كان ممسكاً بالخطية ، هذا ما يعنيه بقوله : « **إذ مات الذى كنا ممسكين فيه** » . كأنه يقول بإن القيد الذى كنا ممسكين به قد إنكسر وتبدد (مات) ، حتى أن الخطية التى كنا ممسكين بها لاتعود تمسك بنا . لكن لاترجعوا إلى الوراء أو تهملوا ، فقد تحررتم لتصيروا عبيداً لكن ليس بذات الطريقة السابقة وإنما « **بجدة الروح لابعتق الحرف** » .

إذن عندما أخطأ آدم وسقط جسمه تحت الموت والآلام تقبل خسائر جسدية كثيرة ، وصار الحصان (الجسم) أقل حيوية وأقل طاعة . ولكن إذ جاء المسيح جعله أكثر رشاقة بالنسبة لنا خلال المعمودية ، رافعاً إياه بجناح الروح (القدس) . بهذا لم تعد العلامات الخاصة بسباق الجرى هى بعينها القديمة ، إذ لم يكن السباق سهلًا كما هو الآن (لأن الحصان صار أكثر رشاقة) . لهذا السبب لم يطلب منهم أن يتركوا القتل فقط كما فى القديم وإنما حتى الغضب ؛ لايتركوا الزنا فحسب وإنما يتخلوا حتى عن النظرة غير الطاهرة ؛ يمتنعوا لاعن القسم الباطل فقط وإنما حتى عن القسم الصادق (مت ٥ : ٢١ ، ٢٧ ، ٣٣) . أما من جهة الأصدقاء فيأمرهم أن يحبوا حتى أعداءهم . فى كل الأمور أعطانا أرضاً أوسع للجرى عليها فإن لم نطع يهدد بجهنم ، مظهراً أن هذه الأمور نصارع من أجلها إلزامياً مثل العزوبيه والفقر ، يأمرنا أن نتممها .... لذلك يقول : « إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » مت ٥ : ٢٠ . ومن لايدخل الملكوت بالضرورة يلقى فى جهنم . لذلك يقول بولس أيضا : « فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » رو ٦ : ١٤ . وهنا أيضا يقول : « **حتى نعبد بجدة الروح لابعتق الحرف** » ع ٦ ، فإنه لم يعد الحرف الذى يدين ، أى الناموس

القديم ، وإنما الروح الذى يعين . لهذا السبب إن وجد بين القدماء إنسان بتول كان هذا الأمر غريباً تماماً ، أما الآن فقد صار هذا الأمر منتشراً فى كل أنحاء العالم . قديماً قليلون بالكاد كانوا يحتقرون الموت ، أما الآن (فى عهد القديس ذهبى الفم) فيوجد فى القرى والمدن طغمات من الشهداء بلا حصر ، لا من الرجال فحسب وإنما أيضا من النساء(١٦٨)] .

الآن إنعتقنا من الحرف وتمتعنا بجدية الروح ، وكأننا بملخس عبد رئيس الكهنة الذى قُطعت أذنه اليمنى كما بالسيف (يو ١٨ : ١٠) يمسك الرب بنفسه أذنه ويشفيه ، وكما يقول **القديس أغسطينوس**(١٦٩) كانت رمزاً لتجديد السمع ، بنزع الفكر الحرفى القديم والتمتع بالفكر الروحى الجديد .

٢ ــ الناموس يفضح الخطية

خشى الرسول بولس لئلا يسيىء القارىء فهم عبارته « وأما الآن فقد تحررنا من الناموس » ع ٦ ، لئلا يُظن أن الرسول يهاجم الناموس أو يقلل من قدسيته ، لذلك قدم سؤالًا : **فماذا نقول ؟ هل الناموس خطية ؟** » ع ٧ ، وجاءت الإجابة واضحة وصريحة : « **حاشا** » .... إذن فلماذا يفرح بتحريره من الناموس ؟

أولًا : لأن الناموس يفضح الخطية ولا يعالجها .... هو عرفنى على الخطية التى إرتكبها وربما لم أكن أدركها (ع ٧) .

ثانياً : لأن الناموس إذ قدم لى الوصية كشف طبيعة العصيان التى فىّ (ع٨-١١)، فربما لو لم توجد وصية معينة تمنعنى من شىء لاأهتم بعمله ، إنما وجود الوصية يثير فىّ طبيعتى (كل شىء ممنوع مرغوب) .... هنا العيب لافى الوصية التى أثارتنى وإنما فى طبيعة العصيان الخفية فى داخلى والتى لم يكن لها أن تظهر مالم توجد وصية .

أبرز الرسول بولس هاتين النقطتين بكل وضوح فى هذا الأصحاح (ع٧-١٣)وقد علق عليهما **القديس يوحنا الذهبى الفم** ، قائلًا :

[سبق فقال : « كانت أهواء الخطايا التى بالناموس تعمل فى أعضائنا »٧:٥؛« فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة »٦:١٤؛« حيث ليس ناموس ليس أيضا تعدٍ » ٤ : ١٥ ؛ « **وأما الناموس** فقد دخل لكى تكثر الخطية » ٥ : ٢٠ ؛ « لأن الناموس ينشىء غضباً » ٤ : ١٥ ، فلئلا يسىء هذا كله للناموس ، ولكى يصحح الشك الذى ينشأ عن هذه الأقوال قدم إعتراضاً ، قائلًا : « **فماذا نقول ؟ هل الناموس خطية ؟ حاشا** » ع ٧ . قبل أن يقدم البرهان أستخدام هذا القسم « حاشا God Forbid » ، لكى يسترضى السامع ، ملاطفاً من إضطرب للسؤال ....

هنا لايقول: «فماذا أقول، إنما» فماذا نقول؟ كأنه أمامهم مداولة وحكم، حيث اجتمعوا معاً ، وجاء الإعتراض لامنه ، وإنما خلال المناقشة بسبب ظروف الحال . فإنه لاينكر أحد أن الحرف يقتل والروح يحيى (٢ كو ٣ : ٦) ، إذ هذا واضح تماماً ، ولايقبل المناقشة . فإن كان هذا حقيقة معترف بها ، فماذا نقول عن الناموس ؟ هل الناموس خطية ؟ حاشا ! وضح لنا إذن هذا الأمر الصعب ! ...

يقول إن الناموس ليس خطية ، « **بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس** » ..... « **فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لاتشته** » ع ٧ . ألا تلاحظ كيف إنه لم يظهر الناموس كديان للخطية وانما أيضا إلى حد ما كمصدر لها ، لكن لا عن خطأ من جانبه هو (وإنما من جانب ضعفنا وعصياننا) ... هذا جاء عن ضعفنا لا عن عيب فى الناموس ، لأنه عندما نشته شيئاً ونُمنع منه تلتهب الشهوة بالأكثر . هذا لاينبع عن الناموس لأنه يمنعنا ليحفظنا منها ، وإنما الخطية هى من إهمالك وسوء تصرفك ، مستخدما ماهو صالح للضد . العيب ليس فى الطبيب بل فى المريض الذى لايسىء إستخدام الدواء ، فإن الناموس لم يعُط لإشعال الشهوة بل لإطفائها ، وإن كان ماقد حدث هو العكس . فاللوم ينسب لنا لا للناموس .... فإن عمل الطبيب يقف عند المنع لكن على المريض أن يضبط نفسه .

ولكن ماذا إن كانت الخطية قد اتخذت فرصة بالوصية ؟ بالتأكيد يوجد أشرار كثيرون إتخذوا من الوصايا الصالحة فرصة ليزدادوا شراً . هذا هو الطريق الذى به أهلك الشيطان يهوذا بإغراقه فى محبة الطمع وجعله يسرق ماهو للفقراء . فما حدث

لم يكن بسبب الثقة التى أُعطيت له بتسليمه الصندوق وإنما بسبب شر روحه . وأيضا حواء بإحضارها ما يأكله آدم طُرد من الفردوس ، لكن لم تكن الشجرة هى السبب وإن كان ماحدث قد إتخذ الشجرة فرصة لتحقيقه ....

لو كان الناموس ملوماً لأن الخطية وجدت فرصة به ، لإنطبق هذا أيضا على العهد الجديد ، ففى العهد الجديد نجد الآف القوانين أكثر أهمية ....

عندما قال الرب : « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية »يو ١٥ : ٢٢ ،وجدت الخطية مجالًا فى مجىء الرب وحديثه معهم ، ومع ذلك فقد صار عقابهم أشد . وأيضا عندما تحدث بولس الرسول عن النعمة قال : « فكم عقاباً أشرّ تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس إبن الله ؟ ! »عب ١٠ : ٢٩ ....[١٧٠]] .

+ لقد أستلمت الناموس ، وأنت تود ان تحتفظ به لكنك لاتقدر . بهذا تترك كبريائك وتدرك ضعفك . إذن إجرِ إلى الطبيب وإغسل وجهك . لتشتق إلى المسيح ولتعترف به ، آمن متكلًا عليه ، فانه إذ تتمتع بالروح بعد الحرف (السابق) تخلص .

+ إننا نصغى إلى الناموس ، فان لم توجد نعمة انما نصغى للعقاب الذى يحّل بنا .

القديس أغسطينوس[١٧١]

يكمل **القديس يوحنا الذهبى الفم** حديثه السابق ، متساءلًا : إن كان الإنسان لم يعرف الشهوة قبل الناموس ، فلماذا صار الطوفان ؟ ولماذا كان حرق سدوم ؟ ويجيب على هذا التساؤل بان الإنسان يعرف الخطية (بالناموس الطبيعى) لكن جاء الناموس يحدد الشهوة ويكشفها مقدماً للانسان معرفة دقيقة ، فصار الناموس جنباً إلى جنب مع الناموس الطبيعى يضيف على الإنسان إتهاماً أشد ، هذا مادعى الرسول ان يقول : « **أما أنا فكنت بدون ناموس عائشاً قبلًا** » ع ٩ ، إذ لم تكن هناك معرفة دقيقة ومحددة ولا إتهام صريح ضدى يحكم علّى بالموت . فبقوله « كنت عاشاً قبلًا » تعنى إننى لم أكن تحت إدانة الناموس الدقيقة والصارمة التى تستوجب موتى .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لم يعط للخطية وجودها ، إذ كانت موجودة من قبل لكنه أشار إلى تلك التى هربت من ملاحظتنا . هذا يُعتبر مدحاً للناموس ، إذ كان الناس يخطئون قبله وهم لايدركون . ولما جاء الناموس فإنهم وإن لم ينتفعوا منه بشيء إلا انه عرّفهم عليها بدقة مظهراً انهم يخطئون . هذا ليس بالأمر الهين لتحريرهم من الشر . فإن كانوا لم يتحرروا فالأمر لايخص الناموس الذى حدد كل شيء بهذا الهدف ، وإنما يسقط بالإتهام كله على أرواحهم ....

لذلك يقول : « **فوُجدت الوصية التى للحياة هى نفسها لى للموت** » ع ١٠ . لم يقل « جاءت الوصية للموت » أو « صارت للموت » بل قال : « **فوُجدت** » ....

كأنه يقول : إن أردت أن تعرف غايتها فهى تقود للحياة وأعُطيت بهذه الغايه ، فإن وُجدت للموت إنما الخطأ فيمن إستلم الوصية ، وليس فى الوصية التى تقود للحياة .

هذه النقطة سلط الرسول عليها ضوءاً جديداً ، بقوله : « **لأن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية خدعتنى بها وقتلتنى** » ع ١١ . لاحظ أنه فى كل موضع يبرر الناموس من الاتهام ويحفظه من الخطية .

« **إذاً الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة** » ع ١٢ .... لأنه وإن كان اليهود غيز طاهرين خلال الناموس ، وإن كانوا ظالمين وطامعين ، فإن هذا لا يفسد صلاح الناموس ، تماماً كما أن عدم أمانتهم لايبطل أمانة الله(١٧٢)] .

لقد أظهر قدسية الناموس وصلاحه وعدله ، مادحاً إياه ، لأنه وإن كانت الخطية وجدت الفرصة فى الوصية لتقتلنى ، لكنها بالأكثر إنفضحت فظهر شرها بقتلى ..... وبهذا يقودنا الناموس إلى ضرورة الخلاص منها ، إذ يقول : « **فهل صار لى الصالح موتاً ؟ حاشا ! بل الخطية ، لكى تظهر خطية ، منشئة لى بالصالح موتاً لكى تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية**» ع**١٣** . هكذا حوّل الرسول الاتهام من الناموس الصالح إلى الخطية الخاطئة جداً ، أو بمعنى آخر ركز أنظارنا على أنفسنا فى الداخل ، فانه بشرنا يتحول حتى ماهو صالح إلى ضررنا . وكما يقول **القديس أغسطينوس** : [النقطة موضوع الإهتمام ليس مانتسلمه بل الشخص الذى يتسلم

الشيء .... فإنه حتى الأمور الصالحة تكون ضارة ، والضارة تكون مفيدة حسب شخصية من يتقبلها . ها أنت ترى الشر قد جاء خلال الصالح (الناموس) مادام الذى يتقبله إنما يتقبله بطريقة خاطئة[١٧٣]] .

٣ ــ ناموس الله وناموس الخطية

إذ أظهر فى بداية هذا الإصحاح الحاجة إلى التحرر من الناموس الذى فضح خطاياى وأصدر حكمه علّى بالموت ، عاد ليؤكد أن العيب ليس فى الناموس وإنما فى الخطية العاملة فىّ ، والآن يمدح الرسول الناموس الإلهى ، ويعلن عن ناموس الخطية الكائن فى أعضائى ، لكى إذ أكتشفه ألجأ إلى المخلص القادر وحده أن ينقذنى منه .

« **فإننا نعلم أن الناموس روحى وأما أنا فجسدّى ، مبيع تحت الخطية** » ع ١٤ . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم**[١٧٤] أن الرسول بقوله هذا يعلن أنه لاحاجة للتدليل على أن « الناموس روحى » ، فإنه بعيد كل البعد عن كونه مصدراً للخطية ، أو علة للشرور الحادثة . إنه « روحى » ، معلم للفضيلة ومضاد للرذيلة ؛ يقودنا بعيداً عن كل أنواع الخطايا بالتهديد والنصح والتأديب والإصلاح وبمدحه للفضيلة . إذن من أين جاءت الخطية مادام الناموس معلماً هكذا ؟ ! إنها منا نحن : « وأما أنا فجسدّى ، مبيع تحت الخطية » . لقد تقبلت الشهوات الجسدية وأستعُبدت للخطية ، صرت غارقاً فى أعماقها ، ساقطاً تحت ناموسها ، فحسبت جسدياً .

+ لعنة الله الأصلية (بسقوط أبوينا فى العصيان) جعلتنا جسدانيين ، وحُكم علينا بالأشواك والحسك ؛ وقدّ باعنا أبونا بذلك التعاقد التعيس حتى إننا صرنا عاجزين عن فعل الصلاح الذى نريده ، إذ صرنا ننقطع أحياناً عن تذكر الله العظيم السمو مضطرين إلى الإنشغال بما يخص الضعف البشرى . وبينما نشتهى الطهارة ننزعج غالباً بغير إرادتنا بالشهوات الطبيعية التى لانريد حتى أن نعرفها ، لذلك نحن نعلم أنه ليس ساكن فى أجسادنا شىء صالح (رو ٧ : ١٨)،أى ليس ساكن فيه السلام الأبدى الدائم الذى لهذا التأمل المذكور .**الأب ثيوناس**[١٧٥]

+ « أما أنا فجسدىّ ، مبيع تحت الخطية » ع ١٤ . هذا يعنى : « بكونى إنساناً جسدانياً موضوع بين الخير والشر كوكيل حّر ، لى سلطان أن أختار ماأريد . فإنه « هاأنذا أجعل أمامكمَ طريق الحياة وطريق الموت » أر ٢١ : ٨ ؛ جا ١٥ : ٨ ؛ تث ٣٠ : ١٥) ، بمعنى أن الموت يأتى ثمرة لعصيان الناموس الروحى أو الوصية والطاعة للناموس الجسدى أى مشورة الحية . فبمثل هذا إختيار أنا مبيع للشيطان ، ساقط تحت الخطية . هكذا أمسك الشّر بى ، والتصق بى ، وسكّن فىّ ، وسلمنى العدل للشرير بإنتهاكى للناموس .

الأب ميثودوس(١٧٦)

والآن ماذا فعل ناموس الخطية فىّ ؟

أول : شوّه معرفتى ، إذ يقول الرسول : **« لأنى لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ماأريده بل ما أبغضه فإياه أفعل » ع ١٥ .**

ماذا يقصد الرسول بهذا ؟

ا - أفقدت الخطية نقاوة البصيرة الداخلية ، فصارت معرفتها للخطية غير دقيقة ، لذا يقول « لست أعرف ما أنا أفعله » .... لايعنى أن الإنسان يجهل الخطية ، وإلا لما دين عنها ، وإنما قبل الناموس لم يكن قادراً على معرفتها بدقة ، وذلك كما سبق فقال : « فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لاتشته » ٧ : ٧ . وكما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم كان الإنسان قبل الناموس لايعرف الخطية بحق ودقة لذلك أيضا كان العقاب أقل قسوة من الذين يخطئون وهم تحت الناموس عارفون الخطية .

ب - ربما يقصد هنا بقوله « لست أعرف » لامعرفة الفكر النظرى ، فانه بناموس الطبيعة يعرف الإنسان الخطية ، لكنه يقصد معرفة الإنسان القادر عن الإحجام عنها ومقاومتها ليعمل البر عوض الشر ، لهذا يكمل الرسول حديثه : **« إذ لست أفعل ماأريده بل ما أبغضه فإياه افعل »** .... وكأنه يقول صرت كمن بلا معرفة لأننى أمارس ماأبغضه .... وذلك كمن يشرب الخمور وهو يعرف إنها مؤذية لصحته ، لكن إستعباده لها جعله كمن يجهل آثارها عليه .

ثانياً : أفقدتنى الإرادة الصالحة العاملة ، إذ لم يقف الأمر عند تشويه المعرفة ، سواء بأفساد البصيرة الداخلية أو بالعجز عن التمتع بالمعرفة المقدسة خلال الخبرة ، وإنما أيضا تسيطر على إرادتى فتفسد إمكانية العمل الصالح فى حياتى ، وأحسب كمن يعمل بلا إرادة ، إذ سلمت نفسى بنفسى عبداً لها .

يليق بنا – **كما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم** – ألا نفهم العبارات الواردة هنا حرفيا ، فنظن أن الإنسان مصّير ، يمارس الشر إلزاماً ، وإلا كان سقوطه تحت الدينونة غير عادل . حينما يقول : « **لست أفعل ماأريده** » ع **١٥** لاينكر الرسول حرية الإرادة الإنسانية كمن يخطىء قسراً وجبراً ، وإلا كان الرسول قد أكمل الحديث هكذا : « بل ما أُجبر عليه وأُلزم به فإياه أفعل » إنما قال « بل ما أبغضه فإياه أفعل » ، فانه لاينكر ما للخطية من سلطان أفقده قوة الإرادة لكن فى نفس الوقت لايتصرف جبراً بغير إرادته .

الخطية مخادعة تجتذبه وتجعله يلتزم بممارستها وإن كان فى نفس الوقت يبغضها بحسب الناموس الطبيعى العامل فيه كما بحسب الناموس المكتوب ، لهذا يكمل قائلًا : « **فإن كنت أفعل مالست أريده فأنى أصادق الناموس أنه حسن** » ع **١٦** . كأنه يقول إن كنت بالناموس الطبيعى أكره الخطية التى أمارسها فإن الناموس المكتوب أو الموسوى يصادق على الناموس الطبيعى الذى يبغض الخطية ، لذا فالناموس حسن .

ربما يتساءل البعض : إن كان الإنسان قبل التمتع بالنعمة يستطيع تحت ظل الناموس المكتوب أو الموسوى أن يقول بأن الخطية شوهت معرفتى وأفقدتنى الإرادة الصالحة والعاملة حتى كنت لاأفعل ماأريده بل ماأبغضه (ع ١٥) ، فهل ينطبق هذا القول الرسولى علينا ونحن فى عهد النعمة ؟ أو بمعنى آخر هل هذا القول يناسب الخطاة الذين لم يتمتعوا بعد بعمل الله فيهم أم يئن منه الجميع ؟

يجيب **الأب ثيوناس** فى حديث طويل فى مناظرات **القديس يوحنا كاسيان**[177] **موضحا الآتى**

ا – يرى الأب ثيوناس أن الرسول ينطق بهذه الكلمات عن نفسه حتى بعد تحوله إلى الإيمان ليس لأن الوضع لم يتغير ، إنما لأنه وأن كان الرسول قد تمتع بفيض من الفضائل أشبه بالجواهر وبالبركات الإلهية ، لكنه إذ يتطلع إلى ما سيناله أبدياً يحسب مالديه تافهاً وقليلًا . فالرسول مع ممارسته للحياة المقدسة فى الرب لكنه يبغى أن يبلغ رؤية الله وجهاً لوجه ، لا يشغله شيئاً حتى وإن كان أمراً صالحاً لضروريات الحياة .

ب – إذ يقارن الرسول بولس صلاحه بصلاح الله الفائق يرى أنه « ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » لو ١٨ : ١٩ ، فيحسب الرسول نفسه تحت الضعف .

جـ – كلما تمتع الإنسان بالنمو الروحى إزداد نقاوة داخلية وفى نفس الوقت إذداد حساسية لاتفه الخطايا ، إن صح هذا التعبير .... كلما إرتفع الإنسان روحياً يخشى بالأكثر من السقوط لا عن يأس أو خوف وإنما عن حذر لئلا تكون سقطته مرة .

هذا الرأى لايمثل فكراً خاصاً بالأب ثيوناس وانما خاص بالكنيسة الجامعة ، فإنها تنظر إلى ماورد فى هذا الجزء من الإصحاح (٧ : ١٤ – ٢٥) انه وإن كان ينطبق على الانسان وهو تحت الناموس لكنه ينطبق بطريقة ما على كل عضو فى الكنيسة لازال فى الجسد ، لكن الفارق فى الحالتين كبير . فتحت الناموس تعّرف الإنسان على الصلاح ووقف موقف العاجز عن ممارسته ، أما فى عهد النعمة فقد صارت له معرفة أعظم وإمكانيات على مستوى فائق وقدرة على التحرك بالنعمة الإلهية وعمل الروح القدس فيه ، لكنه ليس معصوماً من الخطأ ، إنما يبقى يرتفع كما بجناحى الروح منطلقاً من مجد إلى مجد لعله يبلغ قياس قامة ملء المسيح ، وفى هذا مع شعوره بعمل الله العظيم فيه لكنه يدرك انه لم يبلغ بعد تمام إشتياقه فى الرب فيئن فى الداخل مقدماً التوبة بلا إنقطاع ، شاعراً مع الرسول بولس انه أول الخطاة لكن فى غير يأس .

+ جزئياً نحن فى حرية ، وجزئياً فى عبودية .

ليست الحرية كاملة بعد ولا نقية بالتمام ، لأننا لم ندخل بعد الأبدية .

نحن لانزال فى الضعف جزئياً ، لكننا نلنا الحرية جزئياً . ماقد إرتكبناه من

خطايا قد غُسل فى المعمودية سابقاً ، لكن هل قد محى كل الشر وبقينا بلا ضعف ؟ !

القديس أغسطينوس(١٧٨)

+ توجد فينا شهوة شريرة ، ولكن بعدم موافقتنا لها لانعيش أشراراً .

توجد فينا شهوة الخطية ، وبعدم طاعتنا لها لانكمل الشر ، لكن وجودها يعنى إننا لم نكمل الخير بعد ؛ وقد أظهر الرسول الأمرين :

ا – اننا لن نكمل الخير مادمنا نشتهى الشر .

بـ – ولم نكمل الشر مادمنا لانطيع مثل هذه الشهوة .

وقد أظهر الأمر الأول بقوله : « لأن الإرادة حاضرة عندى ، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد » ع ١٨ ، وأظهر الأمر الثانى بقوله : « إسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد » غلا ٥ : ١٦ . ففى النص الأول لم يقل إن الحسنى (الخير) غير موجودة إنما لم يكملها (ان أفعل لست أجد) ، وفى الثانى لم يقل إن شهوة الجسد غير موجودة بل قال « فلا تكملوا » .

لهذا فإن الشهوات الشريرة تجد لها موضعاً فينا حيث توجد اللذات غير المشروعة ، ولكننا لانكمل هذه الشهوات عندما نقاومها بالذهن خادمين ناموس الله .

كذلك فإن الخير يجد له موضعاً فينا حينما لاتكون للذة الخاطئة مكانا وذلك بغلبة اللذة الصالحة عليها . ولكن تكميل الخير لايتحقق تماماً طالما هذا الجسد – خادم ناموس الخطية – يستميل الشهوة الشريرة . فمع أننا نقاومها لكنها تتحرك ، بل مقاومتنا لها علامة تحركها فينا .

لهذا يكون كمال الخير بهلاك الشر تماماً ، فيعلوا الواحد ويبيد الثانى .

فإن ظننا أن هذا يتم فى هذه الحياة نكون مخدوعين ، إنما يتحقق بصورته الكاملة حينما لايكون بعد موت بل حياة أبدية فهناك فى الملكوت سيكون الخير فى أعلى

درجاته ، ولايكون شرّ قط .... فى ذلك الوقت ، وفى ذلك الموضع لايكون يعد جهاد للعفة وضبط النفس .

إذن ، الجسد ليس شراً متى تجنب الشر أى الخطأ الذى به يصير الانسان مخطئاً ، إنما هو أوجده . لأن كلا جانبى الانسان - الجسد والنفس - خلقهما الله الصالح صالحين ، أما الانسان فصنع الشر وبذلك صار شريراً .

القديس أغسطينوس(١٧٩)

+ **« لأنى لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما أريده بل ماأبغضه فإياه أفعل » ع ١٥ .**

لايفهم هذا التعبير عن فعل الشر وإنما عن التفكير فيه ، فإنه ليس فى سلطاننا أن نفكر فى الأمور غير اللائقة أو لانفكر ، إنما فى سلطاننا أن تنفذ مايفكرنا أو نمتنع عن التنفيذ . نحن لانقدر أن نمنع الفكر عن أن يأتينا من الخارج إلى ذهننا لكننا قادرون أن نمتنع عن طاعته أو ممارسته .

فى سلطاننا أن نريد بألا نفكر فى هذه الأمور لكننا لانقدر أن نطردها بحيث لاترجع إلينا فى ذهننا ثانية . لهذا كما قلت ليس فى سلطاننا أن نفكر أو لانفكر فيها ؛ هذا هو معنى العبارة : « لست أفعل الصالح الذى أريده » . فاننى لاأريد أن أفكر فيما يضرنى .... لكن « لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل » . فأنا لاأريد أن أفكر (بالشر) ومع هذا فانى أفكر بمالا اريده .

تأمل أليس عن هذه الأمور عينها يتوسل داود لله فى حزن إذ هو يفكر فيما لايريده ، فيقول : « من الخطايا المستترة يارب طهرنى ، من الغرباء إحفظ عبدك حتى لايتسلطوا علّى ، فحينئذ أكون بلا عيب وأتنقى من خطية عظيمة » مز ١٩ : ١٢، ١٣. كما يقول الرسول فى موضع آخر : « هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح » ٢ كو ١٠ : ٥ .

الأب ميثوديوس(١٨٠)

ثالثاً : أفسد جسدى

لم يقف عمل ناموس الخطية عند تشويه المعرفة الروحية وتحطيم قوة الإرادة الصالحة ، وإنما بسكنى الخطية فى داخلى صار ناموسها عاملًا فى أعضائى ، فصارت آلات إثم تعمل لحسابه ، هذا مايصرخ منه الرسول طالباً الخلاص من هذا الفساد لابتحطيم أعضاء جسده بل بتقديسها لحساب الله بعدما عملت لحساب الخطية .... هذا الأمر لايستطيع الناموس الطبيعى ولا الموسوى أن يهبه ، إنما هى نعمة الله التى تقدس الجسد مع النفس .

يشكو الرسول حاله ، قائلا : « **فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فىّ ، فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىّ ، أى فى جسدى ، شىء صالح ، لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد** » ع ١٧ ، ١٨ .

وكما يقول **القديس يوحناالذهبى الفم** أن الرسول لم يقل ان جسده هو الذى يفعل هذا بل « الخطية الساكنة فىّ » ، لأن الله خلق الجسد صالحاً ، ليس شراً فى ذاته ، لكن إذ دخلت الخطية لم يعد يسكن فيه شىء صالح .

يؤكد نفس القديس أن الجسد وإن كان ليس فى عظمة النفس لكنه ليس مضاداً للنفس ولا هو فى ذاته شر بل يسند النفس ، وكأنه بالقيثارة التى فى يدّى العازف والسفينة التى بين يدّى الربان ، لايضاد من يستخدمه وكأن الجسد مع النفس متحملان المسئولية معاً .

مرة أخرى يود الرسول أن يؤكد أنه لاباالجسد فى ذاته شراً ولا النفس أيضا وإنما الانسان فى كليته إذ قبل الشر فى حياته بإراداته أفسد حياته وحطم قوة الإرادة الصالحة لتعمل الخطية فيه وتقوده حسب هواها ، إذ يقول :

« لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل ، فإن كنت مالست أريده إياه أفعل أنا بل الخطية الساكنة فىّ »ع١٩، ٢٠.

فالمشكلة أيضا ليست فى الجسد وإنما فى الخطية التى سكنت فىّ فأفسدت النفس والجسد معاً ، لذلك إذ جاء السيد المسيح حملنى معه ليصلب الخطية التى سكنت فىّ ويسكن هو فى داخلى ، فعوض الأنين والصراخ « لست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فىّ » أقول : « فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » غلا ٢ : ٢٠ فإن كنا قد سبق فسلمنا أعماقنا للخطية لنمت مع غالب الخطية فيملك هو فينا ونستتر ونحن فيه ، كقول الرسول : « لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله ، متى أُظهر المسيح حياتنا ، فحينئذ تظهرون أنتم أيضا فى المجد » كو ٣ : ٣ ، ٤ .

هذا وقد أكد آباء الكنيسة أن الانسان مادام فى زمان الجهاد لن يعصم من الخطأ ، إنما يبقى بنعمة الله مجاهدا لينطلق من نصرة إلى نصرة ، صارخاً إلى الله بلا إنقطاع ليعينه من ضعفه حتى يكمل أيام غربته بسلام . ويحدثنا **الأب بينوفيوس** كيف تسند نعمة الله المؤمنين المجاهدين فيتخلصون من خطاياهم السابقة ، بل ويليق بهم ألا يذكروها ، لكن يبقى المؤمنون تحت الضعف فى بعض الأمور كالتى يدعوها النبى بالسهوات والخطايا المستترة (مز ١٩ : ١٢) ، لذا يقول الحكيم : « الصديق يسقط فى اليوم سبع مرات ويقوم » أم ١٤ : ١٦ ، فالتوبة عنها لاتنتهى . [لأنه سواء عن جهل أو نسيان أو بالتفكير أو الكلام أم بمجرد الإشتياق أو عن ضرورة أو عن ضعف الجسد أو نجاسة فى حلم ... هذه الأمور غالباً مانسقط فيها كل يوم بغير إرادتنا أو بإرادتنا(١٨١)] .

أخيراً إذ يستبعد الرسول كل إتهام عن الناموس وأيضا عن طبيعة جسده ، ويجعل من الخطية التى سيطرت عليه وغلبته وسكنت فيه مقاوماً للناموس ، أعلن تهلله بالناموس بالرغم من هزيمته بناموس الخطية ، مقدماً الشكر للسيد المسيح الذى يهبه النصرة على ناموس الخطية ، إذ يقول :

فإنى أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ، ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى . ويحى أنا الإنسان الشقى ، من ينقذنى من جسد هذا الموت . أشكر الله بيسوع المسيح ربنا . إذاً أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية » ع ٢٢ – ٢٥ .

ماذ يعنى أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية ؟ بالنعمة الإلهية التى صارت لى فى المسيح يسوع تقدست حياتى ، وإن كانت الخطية لاتكف عن محاربتى مادمت بعد فى الجسد .... هذا هو مفهوم النصرة بالنعمة الإلهية ، النصرة المرتبطة بجهاد لاينقطع مادمنا فى الجسد .... لكنه جهاد الرب الساكن فينا .

+ إن كان (الرسول) يخاف إغراءات الجسد فهل نحن فى آمان ؟ !
+ أتريد أن تعرف أن لنا أجساداً هى بعينها كأجساد القديسين ... كلنا نلتزم بالمصارعة ليتقبل كل مكافأته حسب جهاده .

القديس جيروم(١٨٢)

+ حتى الرسول كان يقمع جسده ويضبطه لئلا بعدما كرز للآخرين يصير هو نفسه مرفوضاً (١ كو ٩ : ٢٧) ، وإذ يشعر بعنف الأهواء الحسية يتحدث بإسم الجنس البشرى ، قائلًا : « ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ ! »

+ إن كان الرسول الإناء المختار ، المفرز لإنجيل المسيح (غلا ١ : ١٥) بسبب وخزات الجسد وإغراءاته للرذيلة يقمع جسده ويضبطه لئلا بعدما كرز للآخرين يصير هو نفسه مرفوضاً ، ومع هذا نجده يرى ناموساً آخر يعمل فى أعضائه ضد ناموس ذهنه . ويسبيه فى ناموس الخطية (ع ٢٣) ، وان كان وهو فى عرى وصوم وجوع وسجن وجلدات وعذابات كثيرة يعود إلى نفسه ليصرح : انا الانسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ ! فهل تظن أنه يليق بك أن تترك حذرك ؟ !

القديس جيروم(١٨٣)

+ كلنا نشعر بهذا ، كن ليس كلنا نخلص .
يالىٰ من إنسان شقى مالم أطلب الدواء ! ....
لنا طبيب ، فلنطلب الدواء . دواؤنا هو نعمة الله ، وجسد الموت هو جسدنا .
لنكن غرباء عن المسيح . فاننا حتى وإن كنا فى الجسد لكننا ليتنا لانتبع أمور

الجسد .... إنما نطلب عطايا النعمة : « أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً ، ولكن أبقى فى الجسد أُلزم من أجلكم » فى ١ : ٢٣ ، ٢٤ .

القديس أمبروسيوس(١٨٤)

+ يقول الرسول « **أنا نفسى** » ع **٢٥** ، اذ لايوجد إثنان من طبيعتين مختلفتين (واحد بطبعه صالح وآخر بطبعه شرير) ، إذ لم يأتيا عن مصدرين مختلفين .

يقول : « **بذهنى أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية** » ع **٢٥** ، مادمت أكون مسترخياً إذ يحارب (ناموس الخطية) الخلاص .

القديس أغسطينوس(١٨٥)

+ عندما يشعر القديسون أن ثقل الأفكار الأرضية يضايقهم ، وانهم يرتدون بعيداً عن سمو أذهانهم منقادين بغير إرادتهم أو بالحرى لاشعورياً إلى ناموس الخطية والموت ، وتعوقهم الأعمال الأرضية التى هى نافعة وصالحة عن معاينة الله ، فانهم يئنون إلى الله باستمرار ، معترفين بإنسحاق قلب لا بالكلام بل بقلوبهم أنهم خطاة . وبينما هم بغير إنقطاع يلتمسون من رحمة الله الصفح عما يقترفونه يوماً فيوماً بسبب الضعف الجسدى ، يزرفون دموعاً حقيقية للتوبة بغير إنقطاع ....

كذلك يدركون بالخبرة أنه بسبب ثقل الجسد يعجزون بقوتهم البشرية أن يبلغوا النهاية المطلوبة ، وأن يكونوا متحدين ـــ حسب إشتياق قلوبهم ـــ بذلك الصلاح الرئيسى الأسمى ، وإذ ينقادون بعيداً عن رؤيته مأسورين بالأمور العالمية يتوجهون إلى مراحم الله « الذى يبرر الفاجر » رو ٤ : ٥ ، ويصرخون مع الرسول : « ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ ! اشكر الله بيسوع المسيح ربنا » رو ٧ : ٢٤ ، ٢٥ . لأنهم يشعرون بأنهم على الدوام لايستطيعون أن يكملوا الصلاح الذى يريدونه ، إنما يسقطون فى الشر الذى لايريدونه والذى يكرهونه ، أى الأفكار الزائفة والاهتمام بالأمور الجسدية .

إنهم بالحقيقة يسرون بناموس الله بحسب الإنسان الباطن الذى يسمو فوق كل المنظورات ، ويسعون على الدوام ليكونوا متحدين بالله وحده ، لكنهم « يرون ناموساً

آخر فى أعضائهم » ، أى منغرس فى طبيعتهم البشرية « يحارب ناموس ذهنهم »رو٧ : ٢٢، ٢٣ ،أى يأسر أفكارهم إلى ناموس الخطية العنيف ، ويلزمهم أن يتخلوا عن ذلك الصلاح الأعظم ويرضخوا للأفكار الأرضية التى وإن ظهرت هامة ومفيدة ونحتاج إليها فى العبادة .... إلا أنها تقف عائقاً عن التأمل فى ذلك الصلاح الذى يسحر أنظار القديسين ، فيرونها شريرة ويحاولون تجنبها .....

اننى أقول أن هذا الناموس المنغرس فى أعضاء البشر جميعاً الذى يحارب ناموس أذهاننا ويعوقها عن رؤية الله .....

الأب ثيوناس(١٨٦)

+ أخيراً فان الرسول الطوباوى يعبر بوضوح أنه قال هذا عن الناس المقدسين والكاملين ومن على شاكلته ، فيشير بأصبعه إلى نفسه ويتدرج فى الحال : « **إذا أنا نفسى** » ع **٢٥** ،أى انا الذي أقول هذا أقدم أسرارى الخاصة مكشوفة ، لاسريرة شخص آخر . هذا الأسلوب أعتاد الرسول أن يستعمله بغير كلفة كلما أراد أن يشير بالأخص إلى نفسه (٢ كو ١٠ : ١ ؛ ١٢ : ١٣ ، ١٦ ؛ غل ٥ : ٢ ، رو ٩ : ٢) .

إذاً « أنا نفسى » تحمل بالتأكيد : أنا الذى تعرفونه بأنه رسول المسيح ، الذى تبجلونه بأعظم أحترام ، والذى تعتقدون بأنه من إسمى الشخصيات وأبرعها كشخص يتكلم فيه المسيح ، مع أنى أخدم ناموس الله بالذهن ومع ذلك أعترف بأننى بالجسد أخدم ناموس الخطية ، بمعنى أن حالتى البشرية تجذبنى أحياناً من الأشياء السماوية الأرضية ، وينحدر سمو ذهنى إلى الأهتمام بأمور تافهة . وبناموس الخطية هذا أجد بأننى فى كل لحظة أُوخذ هكذا مأسوراً بالرغم من مثابرتى باشتياق راسخ نحو ناموس الله ، ولكننى لااستطيع بأية وسيلة أن أنجو من سلطان هذا الأسر مالم أهرب دائما إلى رحمة المخلص .

لذلك يحزن جميع القديسين بتنهدات يومية من أجل ضعف طبيعتهم هذا . وبينما هم يستقصون أفكارهم المتنقلة ومكنونات ضمائرهم وخلواتهم العميقة يصرخون متضرعين : « لاتدخل فى المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتبرر قدامك حىّ »مز١٤٣ : ٢ ....

ها أنت ترى إذن كيف يعترف جميع القديسين بصدق أن جميع الناس كما هم أيضاً خطاة ، **ومع ذلك لاييأسون أبداً من خلاصهم ، بل يبحثون عن تطهير كامل بنعمة الله ورحمته .....**

لايوجد أحد ـــ مهما كان مقدساً ـــ فى هذه الحياة بلا خطية . وقد أخبرنا أيضا تعليم المخلص الذى منح تلاميذه نموذج الصلاة الكاملة .... ، إذ نقول : « وإغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا » مت ٦ : ١٢ .

إذن إذ قدم هذه كصلاة حقيقية يمارسها قديسون ، كما يجب أن نعتقد دون أدنى شك ، ممن يمكنه أن يبقى عنيداً ووقحاً ومنتفخاً بكبرياء الشيطان ، فيظن أنه بلا خطية ....

الأب ثيوناس(١٨٧)

مفهوم الجسد هنا

+ يلزمنا أن نأخذ كلمة « الجسد » هنا بمعنى الإنسان أو المادة الملموسة ، إنما يقصد الإرادة الشهوانية أو الرغبة الشهوانية .

الأب دانيال(١٨٨)

+ لننصت إلى الرسول القائل « **فانى أعلم أنه ليس ساكن فىّ أى فى جسدى ، شىء صالح** » ع ١٨ ، فان مايقصده الرسول هنا بالتأكيد هو « خطأ الجسد » الذى يوجد فى الشىء الصالح « الجسد » . فان زال هذا الخطأ من الجسد ، لايكون الجسد فاسداً ولا مخطئاً .

وقد كشف المعلم نفسه انه يقصد بهذا (أى الجسد) طبيعتنا (أى كياننا كله) ، إذ يقول فى البداية « فانى أعلم أنه ليس فىّ ثم يوضح « فىّ » بـ « أى فى جسدى » ، وهكذا يسمى جسده أنه هو himself ، ولايمكن أن يكون الإنسان عدو نفسه .

فعندما يُقمع الخطأ ، يصير جسدنا محبوباً ، إذ يلزمنا أن نعتنى به كقول الرسول « فانه لم يبغض أحد جسده » أف ٥ : ٢٩ .

وفى موضع آخر « **إذاً أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله ، ولكن بالجسد ناموس الخطية** » ع ٢٥ . ليسمع من لهم آذان ، فانه يقول « إذاً أنا نفسى » أنا بالذهن ، وأنا بالجسد ..... ولكن كيف يخدم بالجسد ناموس الخطية ؟ ! هل بقبوله شهوة الجسد وتكميلها ؟ ! حاشا ! بل لأن حركات الشهوة التى لايريدها هى كائنة فيه ، وإذ هو لايوافقها فإنه بذهنه يخدم ناموس الله ولا يسلمه أعضاءه لتكون آلات إثم للخطية .

القديس أغسطينوس(١٨٩)

البهجة بناموس الله

إن كان ناموس الخطية الذى بالنعمة نجاهد بلا انقطاع لكى يكمل تحررنا منه ، فان هذا الناموس لايقدر أن يحطم بهجة خلاصنا وسرورنا بناموس الله العامل فى داخلنا ، إذ يقول الرسول : « **فانى أسرّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن** » ع**٢٢**. هكذا لايفقد الانسان بهجته وسلامه وسط الجهاد ضد ناموس الخطية .

+ نملك نوعاً من السلام مادمنا نسر بناموس الله بحسب الانسان الداخلى ، لكنه ليس سلاماً كاملًا ، لأننا نرى ناموساً آخر فى اعضائنا يحارب ناموس ذهننا .

القديس أغسطينوس(١٩٠)

+ إذ نكون أحراراً نسر بناموس الله ، لأن الحرية فرح ....
لتكن بهجتك فى الله ولتكن حراً .
لاتخف العقوبة بل حب البر .
ألا تقدر أن تحب البر ؟ خف إذن من العقوبة لعلك تبلغ حب البرّ .

القديس أغسطينوس(١٩١)

+ إذن بسبب حسن نقول إن عذوبة الله مخفية فيك لقد وجد ناموس (الخطية) له موضعاً فى أعضائك يقاوم ناموس ذهنك ويسبيك . لهذا فإن العذوبة التى بالنسبة لك مخفية يشرب منها الملائكة القديسون بينما لاتقدر أنت تستذوقها بسبب السبى ......

القديس أغسطينوس(١٩٢)



فى الأصحاح السابق بعد أن أبرز الرسول دور الناموس كفاضح للخطية دون معالج لها ، قدم لنا صورة قاتمة للغاية من جهة ناموس الخطية كمفسد لحياتنا كلها ومثير لشهوات الجسد ضد كل إشتياق روحى ، والآن إذ ينتقل بنا إلى السيد المسيح الغالب وحده لهذا الناموس يشرق علينا بالإمكانيات الإلهية التى تعمل فى حياة المؤمن . لهذا إن كان بعض الدارسين يحسبون هذه الرسالة فى كليتها هى « كاتدرائية الإيمان المسيحى » ، فيرى البعض فى هذا الأصحاح « قدس الأقداس » أو المذبح الروحى ، عليه يقدم المؤمن الحقيقى ذبيحة الحب والفرح والشكر وسط مصارعته ضد الشر وضيقاته الزمنية

لقد قدم لنا هذا السفر بقوة إمكانيات الحياة المقدسة فى الرب ، أو تمتعنا ببّر المسيح غالب ناموس الخطية ، فاتحاً باب الرجاء فى المجد الأبدى ، ملهباً القلب بمحبة المسيح الفائقة .

١ – المسيح وناموس الروح ١ – ١٧ .
٢ – تجديد الخليقة وعمل الروح ١٨ – ٢٧ .
٣ – المسيح المبرر ٢٨ – ٣٤ .
٤ – محبتنا للمسيح المبرر ٣٥ – ٣٩ .

١ - المسيح وناموس الروح

إن كانت الخطية قد سيطرت على الإنسان ؛ سكنت فيه ، وأخضعته لناموسها ، فصار الانسان جسدياً (٧ : ١٤) يسلك بنفسه كما بجسده تحت مذلة شهوات الجسد وحُسب مبيعاً للخطية ، فقد جاء السيد المسيح لالينتزع ناموس الخطية من أعماقنا فحسب وإنما ليقيم « **ناموس روح الحياة** » ع ٢ ، الذى يعطى للمؤمن إمكانية « **السلوك ليس حسب الجسد بل حسب الروح** » ، فيحسب الإنسان فى كليته ، بجسده ونفسه إنساناً روحانياً أو روحياً .

أزال السيد المسيح ناموس الخطية المستعبد للإنسان ليقيم فيه ناموس روح الحياة واهب الحرية ! أعطانا روحه القدوس ساكناً فينا (ع ١١) يهب حياة للنفس والجسد معاً ، حياة برّ عوض موت الخطية ، حياة البنوة لله عوض العبودية للخطية ! حقاً أعطانا إمكانية الحياة وسط الآلام لكى ننعم بالروح على الميراث مع مسيحنا .

هذا هو موجز حديث الرسول بولس عن « المسيح وناموس الروح » ، والآن ، لنتبع كلماته الرسولية :

أولا : الإنعتاق من الدينونة : « إذاً لاشىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » ع ١ .

إن كان ناموس الخطية يحطم نفسيتنا ويرعبنا فإن نعمة المسيح ترفعنا لندرك اننا بالمسيح يسوع مبررون ، إن سلكنا حسب الروح لاحسب الجسد ..... لأن برّ المسيح لايعمل فى المتهاونين الذين يستسلمون مرة أخرى للحياة الجسدانية .

يقول **الأب ثيوناس** معلقاً على هذه العبارة : [نعمة المسيح تحرر جميع القديسين يوماً فيوماً من ناموس الخطية والموت ، هذا الذى يخضعون له قسراً بالرغم من توسلهم الدائم إلى أن يصفح الله عن تعدياتهم(١٩٣)] .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [كحقيقة واقعة ان يسقط كثيرون فى الخطية حتى بعد المعمودية مما يسبب صعوبة فى الأمر ، لذلك أسرع ليواجه هذا الأمر ، لا بقوله « فى المسيح يسوع » فحسب وإنما يضيف « السالكين ليس

حسب الجسد » ، مظهرا ان هؤلاء يتركون تراخينا . الآن لنا القوة للسلوك « ليس حسب الجسد بعد أن كان هذا عملا صعباً . وهاهو يقدم برهانه على كلامه هذا ، بقوله : « **لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى** » ع ٢ . كما دعى الخطية « ناموس الخطية » ها هو يدعو الروح « ناموس الروح » .

لقد وصف ناموس موسى بأنه روحى (٧ : ١٤) فما هو الفرق بينهما ؟ الفرق عظيم وبلا حدود ، فإن ذاك روحى ، أما هذا فناموس الروح . ماهو التمييز بينهما ؟ الأول مجرد أُعطى بواسطة الروح ، أما هذا فيهب الذين يتقبلونه الروح بغير حدود . لذلك دعاه « ناموس الحياة » مقابل ناموس الخطية لاناموس موسى . فعندما يقول أنه أعتقنى من ناموس الخطية والموت لايقصد ناموس موسى ....

نعمة الروح القدس توقف الحرب الخطيرة بذبح الخطية ، فيصير المقاوم لنا سهلًا بالنسبة لنا ، وتتوجنا منذ البداية عينها ، وتسحبنا للصراع بعد أن تمدنا بعون فائض(١٩٤)] .

إذاً ناموس المسيح ، الذى هو ناموس الروح هو تمتع بعطية الروح الذى يحطم فينا عنف الخطية ويسندنا فى صراعنا ضدها ، واهباً إيانا روح الغلبة والنصرة فنكلل !

لاحظ **القديس يوحنا الذهبى الفم** إن الرسول هو يتحدث عن السيد المسيح واهب ناموس الروح هذا العمل هو عطية الثالوث القدوس محب البشر ، الآب أرسل إبنه مبذولًا لأجلنا ، والإبن قدم نفسه فديه ليدين خطايانا فى جسده ، والروح القدس يسكن فينا ليعمل بناموسه فينا ..... هذا هو عمل الثالوث القدوس الذى أعلنه الرسول فى العبارة : « **لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل إبنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد** » ع ٣ .

يلاحظ هذا فى النص الآتى :

١ - يرى **القديس يوحنا ذهبى الفم** أن الرسول لم يستخف بالناموس بقوله « لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه » ، فانه لم يقل إن الناموس شر ، وإنما وهو متفق مع السيد المسيح يوّد صلاحنا ، لكنه يعجز عن التحقيق .... هذا العجز لايقوم

على عيب فيه وإنما على فسادنا نحن الذين صرنا جسدانيين ، إذ يقول « كان ضعيفاً بالجسد » ، هنا لايقصد « الجسم الإنسانى » إنما الحياة الجسدانية .

ويرى **القديس جيروم** إن سرّ العجز فى الناموس هو عدم قدرتنا على تنفيذه ، إذ يقول : [لقد عجز الناموس ، لأنه لم يستطع أحد أن يتممه أحد سوى الرب القائل : « ماجئت لأنقض (الناموس) بل لأكمل » مت ٥ : ١٧[١٩٥]] .

+ كان الناموس يعمل ليجعل الناس أبراراً لكنه لم يستطع ، فجاء (المسيح) وفتح طريق البر بالإيمان ، وبهذا حقق ما إشتهاه الناموس ؛ مالم يستطيع الناموس أن يحققه بالحرف حققه هو بالإيمان . لهذا السبب يقول : ما جئت لأنقض الناموس .

القديس يوحنا الذهبى الفم[١٩٦]

ب – لم يقل « دان الجسد » ، وإنما قال : « دان الخطية » ، فصار الجسم مقدساً مع النفس يحمل برّ المسيح وقوة الروح ، قادراً على الغلبة ضد الخطية .

جـ يقول الرسول : « أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية » ، وكما **يقول القديس يوحنا الذهبى الفم** ليس لأنه لم يأخذ جسداً مثلنا وإنما لأنه أخذ جسدنا بدون الخطية

+ جاء فى الجسد ، أى فى جسد شبه الخطية ، لكن ليس فى جسد خاطىء ، إذ لم يخطىء قط ، لذلك صار ذبيحة حقيقية عن الخطية إذ هو بلا خطية .

+ أرسل الله إبنه لا فى جسد خاطىء بل فى شبه جسد الخطية ، وأرسل الإبن هؤلاء الذين ولدوا بجسد خاطىء لكنهم تقدسوا به من دنس الخطية .

القديس أغسطينوس[١٩٧]

+ لم يقل « فى شبه الجسد » ، إذ أخذ المسيح جسداً حقيقياً وليس شبه جسد ، ولا قال « فى شبه الخطية . لأنه لم يخطىء إنما صار خطية لأجلنا . جاء فى شبه جسد الخطية .... قيل « فى شبه » لأنه مكتوب : « هو إنسان من يعرفه ؟ ! » أر ١٧ : ٩ (الترجمة السبعينية) . حسب الناسوت إنسان ،

فى الجسد ، حتى يمكن أن يعُرف ، لكنه فى القوة هو فوق الإنسان لايمكن أن يدرك . أخذ جسدنا لكنه ليس له سقطات الجسد .

القديس أمبروسيوس(١٩٨)

+ جاء من هذا الجسد لكنه ليس كسائر البشر ، لأن العذراء لم تحبل به بالشهوة وإنما بالإيمان .

جاء فى العذراء هذا الذى هو قبل العذراء .
إختارها الذى أوجدها ، خلقها ذاك الذى سبق فإختارها .
وهبها الإثمار ولم ينزع عنها طهارتها التى لم تمس

القديس أغسطينوس(١٩٩)

ء - **جاء فى تعليقات القديس أثناسيوس الرسولى** وغيره من الآباء تأكيد علة قبوله « شبه جسد الخطية » الا وهو اتحاده بطبيعتنا لننعم بالاتحاد معه ونتمتع بعمله فينا بكوننا أعضاء جسده .

+ صار إنساناً ليؤلهنا فيه .

ولُد من إمرأة ، من عذراء ، ليغير جيلنا الخاطى فنصير جنساً مقدساً ، شركاء فى الطبيعة الإلهية ، كما كتب الطوباوى بطرس (٢ بط ١ : ٤) .

+ بسبب حسن مُسح الرب الذى بطبيعته غير المتغيرة هو محب للبر ومبغض للإثم ، وأُرسل دون أن يتغير حاملًا الجسد المتغير ليدين فيه الخطية ، ويؤكد له الحرية والقدرة محققاً برّ الناموس فيه ، بهذا يمكننا أن نقول : لسنا فى الجسد بل فى الروح إن كان روح الله ساكناً فينا (رو ٨ : ٩)

البابا أثناسيوس الرسولى(٢٠٠)

ثانياً التمتع بالبر

إذ لم يقف الأمر عند حدود الإنعتاق من الدينونة وإنما نحمل البّر الذى يشتاق الناموس أن نتمتع به لكنه يعجز عن تقديمه .

يقول الرسول : « **لكى يتم برّ الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح** » ع ٤ .

ماذا يعنى أن يتحقق بّر الناموس فينا ؟ يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن « البر » هنا لايعنى مجرد عدم وجود خطية ، وإنما [البر بالنسبة لنا هو التمتع بالنصرة[٢٠١]] ، وأن البر لايعنى مجرد الإمتناع عن الخطية وإنما التزين بالصلاح أيضاً ، فلا يقف عند السلبيات إنما يجب ممارسة الإيجابيات .

مرة أخرى يؤكد **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن « البر » حياة ديناميكية مستمرة ، وعمل روحى غير متوقف ، لذا يقول : [فى هذه العبارة يظهر بولس ان المعمودية لاتكفى لخلاصنا مالم نمارس حياة لائقة بهذه العطية بعد نوالها[٢٠٢] » .

ثالثاً : الإنشغال بإهتمام الروح لابإهتمام الجسد :

« فإن الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فبما للروح ، لأن اهتمام الجسد هو موت ، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام ، لأن إهتمام الجسد هو عداوة الله ، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضا لايستطيع ، فالذين هم فى الجسد لايستطيعون أن يرضوا الله ، وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم .... » ع ٥ ـــ ٩ .

يلاحظ فى حديث الرسول بولس عن إهتمام الروح وإهتمام الجسد الآتى :

ا – لايقارن الرسول هنا بين جوهر الجسد أى الجسم بأعضائه وبين الروح ، وإنما بين إهتمام الجسد وإهتمام الروح ، فيقصد بإهتمام الجسد شهوات الجسد واهتماماته واشتياقاته الجسدانية ، ويقصد باهتمام الروح أشتياقات الروح واهتماماتها الروحية .

مرة أخرى نؤكد أن الانسان بجسده وروحه يمثل وحدة واحدة ، إن ترك لجسده العنان يتلذذ بشهوات جسدانية ، يتعدى الجسد حدوده فيُحسب جسدانياً ، إذ يسلك الإنسان ككل – بفكره ونفسه وجسده – بطريقة جسدانية ، وكأنه قد صار جسداً بلا روح . وعلى العكس إن سلم حياته كلها تحت قيادة الروح القدس تتقدس روحه الإنسانية ويتقدس جسده بكل احاسيسه وعواطفه فيسلك الإنسان ككل كما لو كان روحاً بلا جسد ، إذ يتصرف حتى الجسد بطريقة روحية .

خلال هذه النظرة يمكننا أن نعّرف إهتمام الجسد بمعنى ترك الإنسان الجسد على هواه ليتعدى حدوده فتخضع حتى النفس لتحقيق هوى الجسد ، أما إهتمام الروح فيعنى خضوع الإنسان لروح الله فيسلك كإنسان روحى يحقق هوى الروح . الأول يثمر موتا للنفس والجسد على مستوى ابدى ، والثانى يهب حياة وسلاما أبديا(ع٦) الأول يخلق عداوة لله (ع ٧) إذ يطلب الإنسان ملذاته على حساب صداقته مع الله ، أما الثانى فيوجد رضّى فى عينى الله .

بهذا الفهم يفسر **القديس يوحنا ذهبى الفم** العبارة : « **فالذين هم فى الجسد لا لايستطيعون أن يرضوا الله** » ع ٨ ، قائلا : هل نقطع جسدنا إرباً حتى نرضى الله ، هاربين من طبيعتنا البشرية ؟ ! هذا التفسير الحرفى غير لائق ، فهو لايقصد الجسم الإنسانى ولا جوهره إنما يعنى الحياة الحيوانية العالمية المستهترة التى تجعل الانسان جسدانياً ، حتى النفس تصير جسدانية ، فتتغير طبيعتها ويتشوه نبلها .

وأيضا حين نسمع : « **أما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح** » لانفهم بهذا أننا خلعنا الجسم الإنسانى ، لكننا ونحن فى هذا الجسم قد تركنا تيار الشهوات الجسدانية ، فصرنا كمن بلا جسد من جهة الشهوات . هذا التعبير إستخدمه السيد المسيح نفسه حين قال لتلاميذه : « أنتم لستم من هذا العالم » ، بمعنى إنهم لايحملون فكر العالم الأرضى وشهواته الزمنية بالرغم من وجودهم فى العالم .

بنفس المعنى يقول **القديس إيريناؤس** : [بهذه الكلمات لايجحد مادة الجسم وإنما يظهر ضرورة ان يكون الروح القدس منسكباً فيه . فهو بهذا لايمنعهم من الحياة وهم حاملون الجسد ، إذ كان الرسول نفسه فى الجسد حين كتب لهم هذا ، إنما كان يقطع شهوات الجسد التى تجلب الموت للإنسان[٢٠٣]] . كما يقول : [لايتحقق هذا بطرد الجسد وإنما بشركة الروح ، لأن من يكتب إليهم ليسوا بدون جسد إنما تقبلوا روح الله الذى به نصرخ : أباّ الآب (٨ : ١٥)[٢٠٤]] .

ويرى **القديس أكليمنضس الاسكندرى** ان التعبيرين « فى الروح » و « ليسوا فى الجسد » إنما يعنى أن الغنوسيين أى أصحاب المعرفة الروحية الحقة يرتفعوا فوق اهواء الجسد : [إنهم إسمى من اللذة ، يرتفعون فوق الأهواء ، يعرفون ماذا يفعلون . الفنوسيون أعظم من العالم[٢٠٥]] .

بـ ان إهتمام الروح ليس من عندياتنا ، إنما هو ثمر سكنى السيد المسيح فينا الذى بسكناه يميت الحياة الجسدانية الطائشة ، فيحيا الإنسان بكليته – جسماً ونفساً – فى إنسجام كعضو فى جسد المسيح ، إذ يقول الرسول : « **وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية ، وأما الروح فحياة بسبب البّر** » ع ١٠

السالك بالروح القدس إنما ينعم بالمسيح أيضا ساكناً فيه ، إذ يقول الرسول : « وإن كان المسيح فيكم .... » . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ينطق (الرسول) بهذا لا ليؤكد أن الروح هو نفسه المسيح ، حاشا ، وإنما ليظهر أن من له روح المسيح ، وأيضا يكون له المسيح نفسه . فإنه لايمكن إلا حيث يوجد الروح يوجد المسيح أيضا ، لأنه حيث يوجد أحد الأقانيم الثلاثة يكون الثالوث القدوس حالًا ، لأن الثالوث غير منقسم على ذاته ، بل له وحدة فائقة للغاية .... الآن تأمل عظمة البركات التى ننعم بها بنوالنا الروح : بكونه روح المسيح يكون لنا المسيح نفسه ، ونصير مناظرين للملائكة ، وننعم بالحياة الخالدة ، ونمسك بعربون القيامة ، ونركض بسهولة فى سباق الفضيلة(٢٠٦)] . يكمل **القديس الذهبى الفم** تعليقه على العبارة الرسولية مظهراً ان الجسد الذى لم يكن خاملًا فحسب بسبب الخطية بل كان ميتاً ، ها هو بالمسيح الساكن فينا صار رشيقاً يركض بسهولة فى ميدان الفضيلة لينال الجعالة .... الجسد بذاته ميت بالخطية لكن بالله الروح تمتع بالحياة التى لاتنحل ، وصار له بّر المسيح .

هكذا اذ يتحدث عن سكنى المسيح فينا يعلن عن « بّر المسيح » الذى لا يقف عند إماته الحياة الشهوانية الجسدانية وإنما ينعم بتجلى الحياة بحسب الروح(ع ١٠).... يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** ان الرسول بولس يشجع السامع معلناً عن البرّ كمصدر للحياة ، لأنه حيث لاتوجد خطية لايوجد الموت ، وحيث لا موت تكون الحياة غير قابلة للإنحلال .

رابعاً : التمتع بالقيامة

إن كان ناموس الخطية قانونه الموت الأبدى فإن ناموس الروح الذى يهبه لنا المسيح قانونه القيامة من الأموات على مستوى أبدى يهبنا السيد المسيح روحه

القدوس ساكناً فينا ، الروح الذى أقام السيد المسيح من الأموات إذ هو قادر أن يقيم طبيعتنا الساقطة فينزع عنها ناموس الخطية أو الحياة الجسدانية الشهوانية ليهبنا الطبيعة الجديدة ، الطبيعة المقامة فى المسيح يسوع ، يسودها ناموس القيامة والحياة . هذا ما أعلنه الرسول بقوله : « **وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحّى أجسادكم المائته أيضاً بروحه الساكن فيكم** » ع ١١ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [مرة أخرى يمس نقطة القيامة بكونها أكثر الأمور تبعث الرجاء فى السامع وتهبه ضماناً لما يحدث له فى المسيح ، فلا تخف إذن لأنك مثقل بجسد مائت . ليكن لك الروح فستقوم ثانية لامحالة ..... حقاً سيقوم الكل ، لكن لايقوم الكل للحياة ، إنما يقوم البعض للعقاب والآخر للحياة(يو ٥ : ٢٩)..... انه لا يعاقبك إن رأى روحه يشرق فيك ، بل يوقف العقاب ..... ويدخل بك إلى حجال العرس لتكون هناك مع العذارى (تك ٢٥ : ١٢) ليتك إذن لاتسمح لجسدك (الحياة الجسدانية) أن يعيش فى هذا العالم ، لكى يعيش جسدك هناك . يمت كى لا يموت ! فإن إحتفظت به هنا حياً لايعيش ، وإن مات يحيا . هذا هو حال القيامة بوجه عام . إذ يجب أن يموت أولًا ويدفن عندئذ يصير خالداً . ولكن هذا يحدث فى جرن المعمودية ، حيث يتحقق الصلب والدفن وعندئذ القيامة . هذا أيضا ماحدث بالنسبة لجسد الرب ، إذ صُلب ودفن وقام . ليحدث هذا أيضا بالنسبة لنا ، فتكون لنا الإماته المستمدة عن أعمال الجسد . لاأقصد موت جوهر الإنسان ، فان هذا بعيد عن قصدى ، إنما موت ميوله نحو الأمور الشريرة ، فإن هذا هو الحياة أيضا ، بل ما هو هذا إلا حياة[٢٠٧]] .

يرى **القديس أمبروسيوس**[٢٠٨] فى هذه العبارة الرسولية : « **سيحّى أجسادكم المائته أيضا بروحه الساكن فيكم** » **ع ١١** تأكيداً لوحدة العمل بين الثالوث القدوس ، فإن الآب يحّى من يشاء ، وأيضا الابن (يو ٥ : ٢١) ، كذلك الروح القدس وقد جاء فى حزقيال : « هلم ياروح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا .... فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً » خر ٣٧ : ٩ ، ١٠ .

خامساً : الشعور بالدين للروح

« فإذن أيها الإخوة نحن مدينون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد ، لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون ، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » ع ١٢ ، ١٣ .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة هكذا :

[بعد أن أظهر عظم مكافأة الحياة الروحية إذ تجعل المسيح ساكناً فينا ، وتحيى أجسادنا المائته ، وتهبها أجنحة لتطير بها إلى السموات ، وتجعل طريق الفضيلة سهلًا ، بلياقة يحثنا لتحقيق هذا الهدف . لم يقل : « يلزمنا ألا نعيش حسب الجسد » ، وإنما قال هذا بطريقة أكثر إثارة وقوة هكذا : « نحن مدينون للروح » . هذا ماعناه بقوله . نحن مدينون ليس للجسد » .

فى كل موضع يؤكد أن مايقدمه الله لنا لنا ليس على سبيل الدين وإنما مجرد نعمة (مجانية) . ولكن بعد هذا يوضح أن مانفعله نحن ليس بتقدمة إختيارية إنما هو دين (مقابل معاملات الله لنا) ، إذ يقول : « قد أشتريتم بثمن بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس » ١ كو ٧ : ٢٣ ، كما يكتب : « انكم لستم لأنفسكم » ١ كو ٦ : ١٩ ، وفى موضع آخر يثير ذات الفكر فى أذهانهم بقوله : « وهو مات لأجل الجمع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم » ٢ كو ٥ : ١٥ . لقد أراد أن يثبت هذا بقوله : « نحن مدينون » ... بقوله : « نحن مدينون ليس للجسد » ، ولئلا تظن انه يتحدث عن طبيعة الجسد قال : « إن عشتم حسب الجسد » ....

يقدم لنا هنا تعليماً .... وهو أنه يلزمنا ألا نعيش حسب الجسد ، بمعنى ألا نجعله سيد حياتنا ، إنما ليكن الجسد هو التابع لا القائد ، ليس هو الذى يدبر حياتنا ، بل ناموس الروح هو الذى يدبرها . بإبرازه هذه النقطة ، وتأكيده اننا مدينون بالروح ، واظهاره منافع هذا الدين الذى علينا للروح لايتحدث عن الأمور الماضية بل عن الأمور المقبلة .... فإن نفع الروح لايقف عند هذا فقط انه حررنا من خطايانا السابقة بل يهبنا حصانة ضد خطايانا المقبلة ويحسبنا أهلًا للحياة الخالدة (ستحيون)[٢٠٩]] .

+ وهبك المخلص الروح الذى به تميت أعمال الجسد .

القديس أغسطينوس[٢١٠]

سادساً : التمتع بروح البنوة

ركز الرسول بولس فى هذا الأصحاح وهو يتحدث عن « ناموس الروح وبّر المسيح » ، عن شعورنا أننا مدينون للروح القدس الذى يعتقنا من الدينونة مادمنا نسلك حسب الروح ، ويهبنا روح الغلبة والنصرة فنواجه حرب الخطايا بقوة ونركض فى ميدان الفضيلة ، منطلقين نحو السماء كما بأجنحة الروح ..... أخيراً يكشف لنا الرسول عن عمل هذا الروح الإلهى فينا لابتقديم إمكانيات إلهية إلينا فحسب وإنما بتجديد مركزنا بالنسبة لله ، فينزعنا من مركز العبودية لنحتل مركز البنوة الفائق الذى به نصرخ نحو الآب قائلين « ياأبّا الآب » ، نحسب بالحق أولاد الله لنا حق الميراث مع المسيح .

« **لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله ، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ ياأبّا الآب ؛ الروح نفسه يشهد لأرواحنا اننا أولاد الله** » ع ١٤ - ١٦ .

يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على هذه العطية بقوله :

[الآن فإن هذه أيضا أعظم كرامة من الأولى . ولهذا لم يقل « لأن كثيرون يعيشون بروح الله » ، إنما يقول « لأن كثيرون ينقادون بروح الله ، مظهراً انه يستخدم سلطاناً على حياتهم (يقتادهم) كربان يقود سفينة ، أو سائق مركبة على زوج من الفرس ، **فهو** لايقود الجسد فقط وإنما النفس أيضا ، يملك عليهما .... ولأنه يخشى بسبب الثقة فى عطية جرن المعمودية يهملون فى رجوعهم بعد نوالهم العماد ، لذا يود أن يقول لهم انكم وإن نلتم المعمودية ولاتنقادون للروح فانكم تفقدون الكرامة التى نلتموها وسمو بنوتكم[٢١١] .....] .

يرى ذات القديس ان قول الرسول : « **لم تأخذوا روح العبودية** » يشير إلى العهد القديم حيث لم ينل اليهود روح البنوة إنما بنوالهم الناموس مجردا عاشوا تحت

تهديدات العقوبة فى خوف كعبيد ، أما فى العهد الجديد فلم تعد مكافأة الوصية أموراً زمنية ولا عقابها زمنياً ، إنما قُدمت الوصية للبنين ، ليكون الله نفسه هو مكافأتنا ، ننعم به أباً أبدياً ، نناديه « أدبا » ، وهى كلمة أرامية توجه لمناداة الأب .

يعلق **القديس أغسطينوس** على القول : « **روح العبودية أيضا للخوف** » ، قائلًا : [يوجد نوعان من الخوف ينتجان صنفين من الخائفين ، هكذا يوجد نوعان من الخدمة يقدمان نوعين من الخدام . يوجد خوف يطرده الحب الكامل خارجاً (١ يو ٤ : ١٨) كما يوجد نوع آخر من الخوف هو طاهر ويبقى إلى الأبد (مز ١٩ : ٩) . يشير الرسول هنا إلى الخوف الذى ليس للمحبة .... كما يشير فى موضع آخر إلى الخوف الطاهر ، بقوله : « لاتستكبر بل خف » رو ١١ : ٢٠[٢١٢]] .

بهذا الروح نحمل لغة البنين فى حديثنا مع الله كأب لنا ، فنصرخ بالروح القدس الساكنة فينا ، واهب البنوة ، لنقول : يا « أباً » . هذا الصوت الذى نصرخ به كما يقول **القديس جيروم** : [لايخرج من الشفاه بل من القلب ، ففى الحقيقة يقول الله لموسى : « مالك تصرخ إلىّ ؟ ! » خر ١٤ : ١٥ ، وبالتأكيد لم ينطق موسى بكلمة[٢١٣]] .

+ بالحرى يجدر بهم أن يفهموا انهم إن كانوا أبناء الله فبروح الله ينقادون ليفعلوا ماينبغى فعله . وعندما يفعلون هذا يقدمون الشكر لله الذى به فعلوا ..... وهذا لايعنى انهم لم يفعلوا شيئاً (أى لايحرمون من نسبة هذه الأعمال إليهم) .

+ انه يعنى عندما تميتون بالروح أعمال الجسد فتحيون (ع ١٣) مجدوا الله ، أشكروه ، قدموا له التشكرات ، ذاك الذى تنقادون بروحه ، لكى تقدروا على السير فى هذه الأمور لتظهروا كأبناء الله ......

القديس أغسطينوس[٢١٤]

يحدثنا **القديس كبريانوس** عن التزاماتنا كأولاد لله ، قائلًا : [إن كنا أولاداً لله ، إن كنا بالفعل قد بدأنا أن نكون هياكله ، إن كنا نتقبل روحه القدوس ، يلزمنا أن نحيا بالقداسة والروحانية . إن كنا نرفع أعيننا عن الأرض نحو السماء ، إن كنا نرفع

قلوبنا ، ونمتلىء بالله (الآب) والمسيح بالعلويات والإلهيات فليتنا لانفعل إلا مايليق بالله والمسيح ، كما يحثنا الرسول ، قائلاً : « فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا مافوق حيث المسيح جالساً عن يمين الله ، اهتموا بما فوق لابما على الأرض ، لأنكم قدمتم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله ، متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظُهرون أنتم أيضا معه فى المجد » كو ٣ : ١ — ٤ . ليتنا نحن الذين فى المعمودية متنا ودفنا عن الخطايا الجسدية التى للإنسان القديم وقمنا مع المسيح فى التجديد السماوى نفكر فى أمور المسيح ونمارسها[٢١٥]]

هذا ويروى **القديس غريغوريوس أسقف**[٢١٦] أن عطية البنوة التى ننالها بالروح القدس هى عطية السيد المسيح نفسه هذا الذى حمل مالنا ليهبنا ماله ، فحمل موتنا ولعنتنا وخطايانا وعبوديتنا لينزع هذا كله عنا فلا نُحسب بعد عبيداً بل أبناء وأحياء .

ويعلق **القديس أغسطينوس**[٢١٧] على تعبير « أبا الآب » ، قائلًا أن كلمة « أبا » تقابل فى اللاتينية Pater وهى تعنى أيضا « الآب » ، وكأن الكنيسة تكرر الكلمة إذ تصرخ بلغة اليهود « أبا » وبلغة الأمم « الآب » ، فهى كنيسة واحدة تضم أعضاء من اليهود والأمم يشعر الكل بأبوة الله لهم بلا تمييز .

هذه البنوة يشهد بها الروح القدس نفسه الذى يسكن فينا واهباً إيانا « كرامة البنوة » ، إذ يقول الرسول : « **الروح نفسه أيضا يشهد لأرواحنا اننا أولاد الله** » ع ١٦ .

سابعاً : التمتع بالميراث

إذ ننال روح البنوة ، نحسب أبناء الله لنا حق الميراث الأبدى ، وكما يقول الرسول : « **فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضا ، ورثة الله ووارثون مع المسيح** » ع١٧

ظن اليهود أنهم كأصحاب للناموس هم ورثة المواعيد دون سواهم ، لكن الرسول بلطف يكشف لهم أن الأمم إذ نالوا روح البنوة بالمعمودية صاروا ورثة الله ، وكما قال السيد المسيح نفسه : « أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين » مت ٢١ : ٤١ ، كما قال : « وأقول لكم إن كثيرون سيأتون من المشارق

والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق فى ملكوت السموات ، وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية » مت ٨ : ١١ ، ١٢

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [أضاف إلى قوله إننا ورثة الله « ووارثون مع المسيح » . لاحظ طموحه ، فإنه يريد أن يقترب بنا إلى السيد . فحيث انه ليس كل الأبناء ورثة أظهر أننا أبناء وورثة أيضا ، ولما كان ليس كل الورثة ينالون ميراثاً عظيماً أبرز هذه النقطة بكوننا ورثة الله . مرة أخرى إذ يمكن أن نكون ورثة لله ولكن ليس ورثة مع الإبن الوحيد أظهر أن لنا هذا أيضا(٢١٨)]

ثامناً : الشركة مع المسيح المتألم والممجد

إن كان الروح القدس يهبنا الميراث كأبناء لله ، نرث الله مع المسيح ..... فإن هذا الميراث هو عطية مجانية لافضل لنا فيها، لكنها لا تقدم للخاملين بل للجادين فى الشركة مع المخلص ، الذين لهم شركة فى آلامه يتمتعون بشركة أمجاده ..... « **إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضا معه** » ع ١٧ .

٢ - تجديد الخليقة وعمل الروح

إذ سبق فحدثنا عن « ناموس الروح » مبرزاً عمل لله فينا ، انه يعتقنا من الدينونة إن سلكنا بالروح القدس وليس حسب شهوات جسدنا ، ويهبنا إهتمام الروح الذى هو الحياة والسلام ، وننعم بسكنى السيد المسيح فينا فيهبنا بره ، وننعم بعربون القيامة عاملًا فينا ، ونشعر بالدين نحو الروح الذى يهبنا البنوة لله والميراث مع المسيح والشركة معه ، الآن يحدثنا عن عمل الروح فينا وأثره حتى على الخليقة غير العاقلة ، مبرزاً ترقب العالم المخلوق من أجلنا لعودتنا إلى الأحضان الإلهية كأبناء لله بعد أن تركناه زماناً فسببنا للأرض اللعنة وللخليقة فساداً . هذا من جانب ، ومن جانب آخر إذ نعود الآن لنختبر عربون الروح بقيامة نفوسنا من موت الخطية تتمتع أيضا أجسادنا بهذه القيامة مترقبة يوم الرب العظيم بصبر ليعيش الإنسان بكامله - نفسا وجسدا - فى كمال قوة القيامة أبدياً .... ولئلا يستصعب المؤمن هذا أكدّ دور الروح القدس نفسه واهتمامه بنا لتحقيق هذا العمل فينا .

أولا : بدأ الرسول حديثه بالقول : « **فإنى أحسب ان الآم الزمان والحاضر لاثقاس بالمجد العتيق أن يستعلن فينا** » ع ١٨

وضع هذه العبارة كخاتمة للحديث السابق وإفتتاحية للحديث الجديد ، فإنه إذ كان يتحدث عن « برّ المسيح » وارتباطه بناموس الروح ، كاشفا عن عمل الروح فينا خاصة البنوة لله والتمتع بالميراث أراد أن يوضح ان حياتنا مع الله ليست هروباً من الضيق والألم الحاضر وإنما هى إرتفاع على الآلام الحاضرة خلال انفتاح القلب على المجد الأبدى . وكأن الرسول بعد أن عرفنّا على عطايا الله غير المدركة إذا به يقودنا بثقة وسط آلام هذا الزمان وأخطاره ، معلناً ان اتحادنا مع الله بروحه القدوس فى إبنه لايغير الظروف المحيطة بنا بل إتساعاً فى القلب والفكر وقوة للنفس لتجتاز كل الظروف بنبل من أجل الأمجاد الأبدية .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة قائلا : [لاحظ كيف يهدىء روح المصارعين ويرفعها فى نفس الوقت ، فانه بعد ما أظهر أن المكافأت أعظم من الأتعاب ، يحثهم لإحتمال متاعب أكثر دون أن يستكبروا ، إذ لايزالوا يغلبون لنوال الأكاليل كمكافأة لهم . فى موضع آخر يقول : « لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً » ٢ كو ٤ : ١٧ هنا لم يقل إن الآلام خفيفة ، لكنه يربط الآلام بالراحة خلال إعلان المكافأة بالصالحات العتيدة . « فإنى أحسب ان الآلام الزمان الحاضر لاتقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » ... لم يقل « المجد الذى سيكون لنا » وإنما « يستعلن فينا » ، كما لو كان المجد فينا فعلًا لكنه لم يستعلن بعد ..... هذا أوضحه أكثر فى موضع آخر : « حياتنا مستترة مع المسيح فى الله » (كو ٣ : ٣) ...... هذه الآلام - أيا كانت - مرتبطة بحياتنا الحاضرة ، أما البركات القادمة فتبلغ عصوراً بلا حدود[٢١٩]] .

هذا الحديث الرسولى عن المجد الأبدى الذى يُستعلن فينا خلال الآلام الزمنية المؤقته ألهب قلب المؤمنين للانطلاق بالحب الإلهى على مستوى سماوى يرفع نفوسهم فوق كل ألم وضيق أو طلب خير زمنى أو بركة مؤقته :

+ المحبة لاتجد شيئا ثقيلا ؛ الغيور لايعرف عملا صعباً . تأمل ماأحتمله يعقوب

من أجل راحيل المرأة التى وعُد بها، إذ يقول الكتاب المقدس : « فخدم يعقوب براحيل سبع سنين ، وكانت فى عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها »تك٢٩: ٢٠. لقد أخبرنا بنفسه بعد ذلك عما إحتمله : « كنت فى النهار يأكلنى الحّر فى الليل الجليد » تك ٣١ : ٤٠ .

هكذا يليق بنا أن نحب المسيح ونطلب على الدوام قبلاته ، وعندئذ يبدو كل صعب سهلا لنا ، وماهو طويل يصير قصيراً .

لُتضرب بسهام حبه (مز ١٢٠ : ٥) فنقول فى كل لحظة : « الويل لى فإن غربتى قد طالت علىّ » مز ١٢٠ : ٥ .

+ إن تطلعت أن ترث خيرات العالم لاتقدر أن تكون شريكاً مع المسيح فى الميراث .

+ إنك طماع للغاية ياأخى ، إذ تود أن تبتهج بالعالم هنا وتملك مع المسيح هناك .

القديس جيروم (٢٢٠)

+ [إلى المقدمين للإستشهاد فى المناجم :]
إنكم تنتظرون كل يوم بفرح يوم رحيلكم المنقذ .
هاأنتم قد تركتم العالم بالفعل وتسرعون نحو مكافاءات الإستشهاد ، نحو المنازل الإلهية ، لكى تروا بعد ظلمة العالم هذه النور اللأئق ، وتتقبلون مجداً أعظم من كل الآلام والأحزان .

الشهيد كبريانوس (٢٢١)

+ لم يقل الإناء المختار بفرح شديد إعتباطا : « فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » . انظر فان النير هين وذلك الحمل خفيف (مت ١١ : ٢٩) ، فإنه وإن كان عسيراً على القليلين الذين أختاره لكنه سهل بالنسبة للذين يحبونه . يقول المرتل : « على حسب كلامك شقتيك لزمت طرقاً وعرة » مز ٢٦ : ٤ .

القديس أغسطينوس (٢٢٢)

ثانياً : إذ يعلن الرسول أن الروح لاينزع عن المؤمن الآلام والضيقات إنما يهبه مجداً خفياً فى الداخل وسط الآلام الخارجية ، يُستعلن هذا المجد فى يوم الرب العظيم ، ينتقل من حياة المؤمن الداخلية إلى الخليقة عينها ، قائلا : « **لأن إنتظار الخليقة بتوقع إستعلان أبناء الله** » ع **١٩**

ماذا يقصد بالخليقة التى تترقب فى شوق إعلان بنوتنا لله ؟

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول يقصد بالخليقة هنا العالم كله بما فيه من جمادات . فإن كان الله قد خلق العالم كله من أجل الانسان ليحيا سيداً فيه يحمل صورته الإلهية ومثاله ، فإن فساد الإنسان إنعكست آثاره حتى على الخليقة ، فعندما سقط آدم جاء الحكم : « ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك » تك ٣ : ١٧ ، ١٨ . قاوم الإنسان إلهه ، فإثمرت مقاومته مقاومة الخليقة له ، ولكنها حتى فى هذه المقاومة كأنها تترجى عودته إلى حضن الله كإبن له فتعود هى متهللة من أجل الإنسان الذى خلقت لأجله .

صّور الرسول بولس الخليقة كشخص يئن ويتمخض معاً يترجى صلاح الحياة كلها .... غير أن هذا لايفُهم بصورة حرفية مادية وإلا توقعنا أن تعود البشرية كما مع آدم فى الفردوس الأول الأرضى المادى ويبقى الفردوس خالداً ، الأمر الذى يتنافى مع فكر المسيح وروح الإنجيل ، إنما أراد الرسول أن يبرز فاعلية عمل السيد المسيح فى حياة الانسان ، حتى تكاد الخليقة غير العاقلة أن تنطق متهللة من أجل المصالحة مع الله وعودته إلى الأحضان الأبوية .

فى أوضاع إستثنائية سمح الله للطبيعة العنيفة أن تخضع للمؤمن ، كملاطفة الحيوانات المفترسة الجائعة للشهداء فى الساحات الرومانية ، وعدم فاعلية السم على بعضهم ، وسكنى بعض المتوحدين والسواح مع الحيوانات البرية ، وإعالة البعض فى الصحراء بواسطة غربان الخ .... هذا كله لم يكن قاعدة عامة إنما تحققت بفيض خاصة فى عصور الضيق الشديد لمساندة الإيمان بطريقة ملموسة ، ولتأكيد العطايا الإلهية الداخلية غير المنظورة والأمجاد السماوية المترقبة .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** [إن (الرسول بولس) يجعل من العالم كله أشبه بشخص ، كما سبق ففعل الأنبياء عندما قدموا الأنهار تصفق بالأيادى (مز٩٨ : ٨)، والتلال تقفز ، والجبال تتحرك ، لالنتخيل هذه الكائنات الجامدة أشخاصاً حية ، فننسب لها قوة العقل وإنما لكى ندرك عظمة البركات وكأنها قد أثارت الخليقة غير الحسية أيضا . يستخدمون ذات الأسلوب أيضا فى الظروف المؤلمة حيث يصورون الكرمة تنتحب والخمر يبكى والجبال وعوارض الهيكل تصرخ ، لندرك مدى بشاعة الشر . هكذا إمتثل الرسول بالأنبياء فجعل من الخليقة هنا أشبه بكائن حى يئن ويتمخض ، لتظهر عظمة الأمور المقبلة ....

مامعنى أن **الخليقة أُخضعت للباطل** (ع ٢٠) ؟

لماذا صارت فاسدة ؟ وماهو السبب ؟

بسببك أنت أيها الانسان،فانك إذ حملت جسدا ميتاً قابلا للآلام تقبلت الارض لعنة وأنبتت شوكا وحسكاً .

حتى السماء إذ تبلى مع الأرض ستتحول إلى حالة أفضل ، إسمع ماينطق به النبى : « من قدم أسست الأرض ، والسموات هى عمل يديك ؛ هى تبيد وأنت تبقى ، وكلها كثوب تبلى كرداء تغيرهن فتتغير » مز ١٠٢ : ٢٥ ، ٢٦ . ويعلن اشعياء ذات الأمر ، بقوله : « إرفعوا إلى السموات عيونكم وأنظروا إلى الأرض من تحت ، فإن السموات كالدخان يضمحل والأرض كالثوب تبلى وسكانها يموتون (مثلها) » إش ٥١ : ٦ .

ها أنت ترى بأن معنى سقطت الخليقة فى عبودية الباطل ، وكيف تتحرر من حالة الفساد ؟ ! ....

لقد حاصرها الشر لأجلك وصار مفسداً ، مع أن (الخليقة) لم ترتكب خطأ من جانبها ، ولأجلك أيضا سيحدث عدم الفساد . هذا هو معنى « **على الرجاء**» ع ٢٠ .

عندما يقول أنها أخضعت « **ليس طوعاً** » لاليظهر أن ماقد حدث لها وإنما لكى

نتعلم عناية المسيح للكل ، فإن اصلاح الخليقة لايكون من ذاتها[٢٢٣]] .

[الآن ، ماهو رجاء الخليقة ؟]

« لأن الخليقة نفسها أيضا ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله» ع ٢١

الآن ، ماهى هذه الخليقة ؟ إنها لاتعنيك أنت وحدك وإنما معك أيضا الخليقة الأدنى ، التى لاتشترك معك فى العقل أو الحس ، هذه تشاركك بركاتك .

يقول « ستعتق من عبودية الفساد » بمعنى أنها لاتعود تصير فاسدة ، وانما تتمشى جنبا إلى جنب مع الجمال الذى يوهب لجسدك . فكما انه عندما صار جسدك فاسداً فسدت هى أيضا ، هكذا الآن إذ صار جسدك غير فاسد تتبعه هى أيضا . وإذ يعلن الرسول هذا يبلغ إلى النتيجة : « **إلى حرية مجد أولاد الله** » فتتحقق حريتها .

إنه يشبه مربية تربى إبن ملك ، عندما ينال الإبن سلطان أبيه تتمتع هى معه بالخيرات ، هكذا أيضا بالنسبة للخليقة معنا .

ها أنت ترى فى كل الأمور أن الإنسان يحتل مركز القيادة ، فمن أجله خلقت كل الأشياء .

أنظر كيف يلطف (الرسول) المصارع مظهراً محبة الله غير المنطوق بها من نحو الانسان ، إذ يود أن يقول : لماذا أنت مرتبك عند تجاربك ؟ فإن كنت تتألم من أجل نفسك فإنه حتى الخليقة تتألم بسببك . وليس فقط يلطف وإنما يظهر أيضا أن ماينطق به أمر ذا أهمية ، لأنه إن كانت الخليقة التى أُوجدت بكاملها لأجلك هى « **على رجاء** » فكم بالأولى يليق بك أنت أن تكون على رجاء ، يامن من خلالك ستتمتع الخليقة بتلك الخيرات ؟ !

كما أن الآباء إذ يرون الأبناء فى طريقهم لنوال كرامة يُلبسون الخدم ثياباً بهية من أجل مجد الإبن ، هكذا يلبس الله الخليقة عدم الفساد من أجل مجد حرية الأبناء[٢٢٤]] .

ويرى **القديس غريغوريوس اسقف نيصص**[٢٢٥] ان الخليقة التى تئن على رجاء هى جماعة السمائيين الذين كمن هم يئنون من أجل الانسان ليفرحوا بتمتعه بالبنوة ، وكما قال السيد المسيح إن السماء تفرح بخاطىء واحد يتوب (لو ١٥) .

ويرى **القديس إيريناؤس** أن « الخليقة » هنا تعنى « الجسد » ، إذ يقول : « من العدل انه فى ذات الخليقة التى فيها تعبوا وتألموا متزكين بكل طرق الأحتمال أن يتقبلوا مكافأة اتعابهم ، وانه فى الخليقة التى فيها ذُبحوا من أجل محبتهم لله فيها ذاتها ينتعشون مرة أخرى . فى الخليقة التى إحتملوا العبودية يملكون . فإن الله غنى فى كل شىء ، وكل شىء هو له . يليق إذن أن تُعاد الخليقة عينها إلى حالتها الأولى فتصير بلا مقاومة تحت سلطان البّر كما أوضح الرسول فى الرسالة إلى أهل رومية[٢٢٦]] .

ثالثاً : الخليقة توبخنا برجائها كما بأبنينها

إن كانت الخليقة التى تتمتع بالخيرات من أجلنا إذ سقطت تحت الفساد بسببنا تترجى مجدنا كأولاد لله لتلبس عدم الفساد ، فإنها فى هذا الأنتظار كمن فى حالة ولادة مستمرة تنتظر « جديداً » ، إذ يقول الرسول : « **فإنا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن** » ع **٢٢** . هذا هو حال الخليقة التى أوجدت من أجلنا فكم بالحرى يليق بنا أن تئن نحن أيضا ونتمخض بالآلام من أجل تمتعنا بكمال مجد البنوة لله ؟ !

رابعاً : إن كانت الخليقة التى لم تنل شيئـا قد إمتـلات رجـاءً وصارت كما فى حالة ولادة تئن وتتمخض فكم بالحرى يليق بنا نحن الذين تمتعنا فعلًا بعمل الروح القدس فى نفوسنا ، فنلنا باكورة المجد فى داخلنا لنترجى كمال عمله فى حين تخلص أجسادنا أيضا بقيامتها فى يوم الرب العظيم فتنعم مع النفوس بذات المجد ، إذ يُقول الرسول : « **وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا** » ع **٢٣ ؟ !**

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن باكورة الروح الذى نلناه يدفعنا لهذا الأنين الداخلى المملوء رجاءً . هذه الباكورة عظيمة للغاية. لاتقف عند غفران الروح لخطايانا وإنما أيضا تهبنا البر والتقديس ، وقد ظهرت هذه الباكورة فى عصر الرسول بإخراج

الرسل للشياطين وإقامة الموتى خلال ظلهم (أع ٥ : ١٥) وثيابهم (أع١٩: ١٢) .
هذه هى الباكورة فماذا يكون كمال الروح ؟

إذن لنتوقع التبنى كقول الرسول ...... كيف يكون هذا ونحن قد نلنا البنوة لله فعلا ؟ إننا نتوقع كمال مجد البنوة بقيامة الجسد من الأموات ، كقول الرسول : « الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل إستطاعته أن يخضع لنفسه كل شىء » فى ٣ : ٢١ ، « لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد ، وهذا المائت يلبس عدم موت » ١ كو ١٥ : ٥٣ .

إذاً مانلناه كباكورة الروح إنما يفتح باب الرجاء للإنسان ليجاهد بالصبر حتى يبلغ كمال الروح الذى يمجّد الإنسان بكليته نفساً وجسداً ، على مستوى أبدى ، لذلك يكمل الرسول حديثه عن الرجاء لنوال كمال الروح قائلا :

« لأننا بالرجاء خلصنا ، ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً ، لأن ماينظره أحد كيف يرجوه أيضا و إن كنا نرجو مالسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر » ع٢٤، ٢٥ .

١ - ماذا يعنى : « بالرجاء خلصنا » ؟

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [هذا يعنى أننا لانطلب كل شىء لنا فى هذه الحياة ، وإنا يكون لنا رجاء أيضا ..... مؤمنين أن ماوعدنا به الله يحققه لنا ، بهذا نحن خلصنا ؛ فان فقدنا الرجاء نفقد كل مانلناه .....

يود أن يقول : أتساءل ، ألم تكن أنت خاضعاً لخطايا بلا حصر ؟ ألم تكن يائساً ؟ ألم تكن تحت الحكم ؟ ..... ما الذى خلصك إذن ؟ الرجاء فى الله وحده ، وثقتك من جهة مواعيده وعطاياه ، فإنه ليس لك شىء آخر تقدمه له . إن كان هذا هو الذى خلصك فلنتمسك به الآن أيضا . فمن قدم لك بركات عظيمة هكذا لايمكن أن يخدعك فى البركات المقبلة . لقد وجدك ميتاً ومحطماً وسجيناً وعدواً ، فجعلك صديقاً وإبناً وحراً وباراً ووارثاً معه ، مقدماً لك أموراً عظيمة هكذا لم يكن يتوقعها أحد ، بعد التمتع بمثل هذه العطايا بسخاء وحب يخونك فى الأمور المقبلة ؟ ! ....

هذا الطريق (الرجاء) خلصك من البداية ؛ إنه العربون الذى أحضرته وحده إلى العريس . فلنتمسك به ولنحتفظ به ، فإنك إن طلبت شيئاً فى هذا العالم تفقد صلاحك الذى به صرت بهياً ، لهذا يكمل الرسول : قائلا : « **ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء ، لأن ماينظره أحد كيف يرجوه أيضا ؟** [(٢٢٧)]] .

يقول **القديس أغسطينوس** : [وإذ ننتظر خلود الجسد وخلاص نفوسنا فى المستقبل نتسلم العربون فيُقال إننا قد خلصنا(٢٢٨)] .

يشبه **القديس أغسطينوس** هذا الرجاء بالبيضة التى تحمل فى داخلها حياة تقدمها خلال دفء الضيقات والآلام ، إذ يقول : [انها بيضة ، وليس بعد (كتكوت) . إنها مغلفة بقشرة ، لكن لاتنظر إليها هكذا بل أنتظر فى صبر ، ولتجعلها فى دفء فستقدم حياة . إضغط عليها ....(٢٢٩)] .

ب – إن كانت باكورة الروح تدفعنا للتمسك بالرجاء لنوال كمال المجد الذى يهبه الروح للأبناء ، فإن هذا الرجاء ليس بالعمل السلبى .... بمعنى آخر يلتزم المؤمن أن يمارس دوراً إيجابياً باحتماله الأتعاب الكثيرة والآلام من أجل رجائه فى غير المنظورات ، إذ يقول الرسول « **نتوقعه بالصبر** » ع **٢٥** .

هذا مايؤكده الرسول على الدوام : إبراز عمل النعمة الإلهية المجانية ، لكن دون سلبية من جهة المؤمن !

جـ – إن كان المؤمن فى رجائه بالتمتع بكمال عمل الروح ليُعلن مجد أبناء الله أبدياً وذلك خلال الصبر ، فإن هذا الصبر عينه هو عطية إلهية نقتنيها بالله نفسه ، إذ يسندنا الروح القدس نفسه فى جهادنا ، حتى فى الأمور البسيطة والضعفات ، وكما يقول الرسول : « **وكذلك الروح أيضا يعين ضعفاتنا** » ع ٢٦ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لكى تعرف أنه ليس بأتعابك وحدها والمخاطر التى تواجهها إنما تقف النعمة بجانبك ، حتى فى الأمور التى تبدو هينة للغاية ، إذ يعمل معك ، وفى كل الأحوال يقوم بدوره فى الإتحاد(٢٣٠)] .

ء – إذ يتعرض الرسول بولس لعون الروح القدس لنا فى جهادنا حتى فى الضعفات البسيطة كى نلتهب بالرجاء ونثابر بالصبر ، يبرز عملاً رئيسياً للروح القدس فى حياتنا ، بقوله : « **لأننا لسنا نعلم مانصلى لأجله كما ينبغى ، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لاينطق بها ، ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ماهو إهتمام الروح ، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين** » ع **٢٦، ٢٧.**

يرى القديس يوحنا الذهبى الفم[٢٣١] ان « الروح » هنا الذى يشفع فينا إنما يعنى القلوب الملتهبة بالروح القدس خلال « موهبة الصلاة » ، إذ يعطى الروح القدس للبعض موهبة الصلاة عن الآخرين .... فالروح يقترح على النفوس المقدسة ما تصلى به من أجل أخوتها ، لأنها لاتعلم ماتصلى لأجله كما ينبغى ، فقد صلى بولس طالباً أن يرى روما ، وصلى موسى مشتهياً رؤية فلسطين (تث ٣ : ٢٦) ، وطلب أرميا عن اليهود (ار ١٥ : ١) وتشفع إبراهيم عن أهل سدوم (تك ١٨ : ٢٣) ، ومع مالهذه الصلوات من قيمة كبرى تكشف عن قلوب مقدسة محبة للآخرين ، لكنها فى رأى **القديس يوحنا الذهبى الفم** لم يكن هؤلاء يعرفون مايصلون لأجله كما ينبغى ..... فالإنسان مهما بلغت قداسته يحتاج إلى عون الروح ليرشده حتى فى الصلاة عن الآخرين .

الروح يسند ليس فقط فى الصلاة عن الآخرين وإنما حتى من أجل الانسان نفسه ، لأنه كما يقول **الأب إسحق** تلميذ القديس أنبا انطونيوس : [أحياناً نسأل أموراً تضاد خلاصنا ، وبواسطة عنايته الإلهية يرفض طلباتنا ، لأنه يرى ماهو لصالحنا بحق أعظم مما نستطيع نحن . وهذا ماحدث مع معلم الأمم عندما صلى أن ينزع منه ملاك الشيطان الذى سمح به الرب لأجل نفعه . « من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى ، فقال لى : تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » ٢ كو ١٢ : ٨، ٩[٢٣٢]] .

يعلق **القديس أغسطينوس** على آنات الروح القدس فينا ، قائلا : [لايئن الروح القدس فى ذاته مه نفسه فى الثالوث القدوس ، فى جوهره الأبدى .... إنما يئن فينا ، أى يجعلنا نئن . فإنه ليس بالأمر الهين أن الروح القدس يجعلنا نئن ، إذ يهبنا أن

ندرك أننا غرباء نسلك فى أرض غربتنا ، ويعلمنا أن ننظر نحو وطننا ، فنئن بشوق شديد(٢٣٣)] .

٥ – إدراك تدبير الله لمحبيه

أبرز الرسول بولس حاجة المؤمن لإدراك خطة الله الخلاصية فى حياته هو شخصياً ، إذ يقول : **« ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده » ع ٢٨ .**

خطة الله بالنسبة لنا فائقة ، فهو لايغير مجرى الأحداث والظروف حسب أهوائنا الشخصية إنما يحوّل كل الأمور بلا إستثناء لبنيان نفس المؤمن الحقيقى ، فتعمل حتى الظروف المضادة لمجده .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة ، قائلا بأنه يليق بالمؤمنين ألا يختاروا لأنفسهم الحياة حسب فكرهم حاسبين ان هذا نافع لهم ، إنما يقبلون مايقترحه الروح القدس ، لأن أموراً كثيرة تبدو للإنسان نافعة تسبب له مضاراً كثيرة . كمثال قد يظن الإنسان أن الحياة الهادئة التى بلا مخاطر ولا متاعب نافعة له ، لذلك طلب الرسول ثلاث مرات ان يرفع الله عنه التجربة ، فجاءته الإجابة : **« تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل »** ٢ كو ١٢ : ٨ ، ٩ . بمعنى آخر لنترك كل الأمور فى يدّى الروح ليحولها لبنيان نفوسنا .

مرة أخرى يؤكد **القديس يوحنا الذهبى الفم** إن كل الأمور التى تبدو مؤلمة تعمل لخير الذين يحبون الله ، أما الذين لايحبونه فحتى الأمور التى تبدو صالحة ومقدسة تعمل ضدهم إن لم يرجعوا إليه بالحب ، فمن كلماته :

+ حتى الضيقات أو الفقر أو السجن أو المجاعات أو الميتات أو أى شيء آخر يّحل بنا يستطيع الله أن يحوّل كل الأمور إلى نقيضها .

+ كما أم الأمور التى تبدو ضارة تكون نافعة للذين يحبون الله ، فانه حتى الأمور النافعة تصير ضارة للذين لايحبونه .

[ضرب أمثلة باليهود الذين لم ينتفعوا بالناموس الصالح بل وتعثروا حتى فى السيد المسيح] .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٣٤)

+ بالنسبة للكاملين والحكماء يُقال : « كل الأشياء تعمل للخير للذين يحبون الله » ، أما بالنسبة للضعفاء الأغبياء فقد قيل أن كل شىء ضد الشخص الغبى (أم١٤ : ٧)، فلا ينتفع من النجاح ولاينصلح شأنه من المصائب .... إذ ينهزم الإنسان بأكثر سهولة بالنجاح أكثر من الفشل ، لأن الفشل يجعل الإنسان أحياناً يقف ضد إرادته ، وينال إتضاعاً ، وخلال حزنه المفيد يقلل من خطيته وينصلح شأنه ، أما النجاح فقد يدفع بالإنسان إلى الكبرياء العقلى والعظمة الكاذبة ....

الأب تادرس(٢٣٥)

+ ماذا يعنى بـ « كل الأشياء » إلا تلك الآلام المرعبة القاسية التى تحل بنا ؟ ! فإنه بالحق يصير حمل المسيح الثقيل خفيفاً بالرغم من ضعف محبتنا .

القديس أغسطينوس(٢٣٦)

يقدم لنا **القديس جيروم(٢٣٧)** أيوب مثلًا حّياً لمن تتحول الأضرار بالنسبة إلى خيره ، فلم يترك العدو شيئا فى أيوب غير مضرب سوى لسانه لعله يجدف به على الله ، لكن هذه كلها آلت إلى خيره ، فقد جاء إليه الله وتحدث معه على مستوى الصديق مع صديقه .

يعلق كثير من الآباء على تسمية الذين يحبون الله هكذا : **« الذين هم مدعوون حسب قصده » ع ٢٨** ، نقتطف الآتى :

+ لو أن الدعوة وحدها كانت كافية فلماذا لم يخلص الكل ؟ .....
ليست الدعوة وحدها تحقق الخلاص ، وانما نية المدعوين . فالدعوة ليست ملزمة لهم ولا هى قهرية ، إذ الكل مدعوون لكن لايطيع الكل الدعوة .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٣٨)

+ يقول المخلص نفسه : إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى »يو ٨ : ٣١ .
هل يحسب يهوذا من بين تلاميذه مادام لم يثبت فى كلامه ! ؟
هل يحسب من تلاميذه الذين قيل عنهم : « فعلم يسوع ان تلاميذه يتذمرون على هذا ، فقال لهم : أهذا يعثركم ؟ ! ..... » يو ٦ : ٥٩ - ٦٦ .

ألم يلقبهم الانجيل « تلاميذ » ؟ ومع هذا لم يكونوا تلاميذ حقيقين لأنهم لم يثبتوا فى كلمته ، كقوله : « إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى » يو ٨ : ٣١ . فإذ ليس لهم المثابرة بكونهم ليسوا تلاميذ حقيقيين ، فإنهم ليسوا أبناء حقيقيين حتى وإن ظهروا هكذا أو دعُوا هكذا .

إذن نحن ندعو الناس مختارين وتلاميذ المسيح وأولاد الله ، لأنهم هكذا يدعون إذ يتجددون (بالمعمودية) ونراهم يعيشون بالتقوى ، ولكن هذا يصير حقيقة إن ثبتوا فيما دعوا فيه ......

القديس أغسطينوس(٢٣٩)

و - إهتمام الله بمجدنا

إن كان الروح الإلهى يحول حتى الأمور التى تبدو لضررنا لخيرنا ، لأننا مدعوون حسب قصده ، فما هو هذا القصد الإلهى ؟

قصد الله من جهة الإنسان أن يرفعه إلى المجد ؛ فالله ليس فى حاجة إلى تعبده أو خدمته إنما يحبه كإبن ، يوده شريكاً فى المجد . هذا هو الأمر الذى فى ذهن الله من جهة مختاريه الذين سبق فعرفهم لذلك عينهم « **ليكونوا مشابهين صورة إبنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين** » ع **٢٩** .

+ أنظر سمو هذه الكرامة ! فما هو للإبن الوحيد بالطبيعة ينالونه بالنعمة . إنه لم يكتف بهذه الدعوة أن يكونوا مشابهين له ، بل يضيف نقطة أخرى : « ليكونوا بكراً بين إخوة كثيرين » .... هكذا يستخدم كل وسيلة ليقيم العلاقة بوضوح شديد .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٤٠)

+ إستخدم الرسول الملهم هذا التعبير « بكراً » فى أربع مناسبات : مرة يدعوه « بكر كل خليقة » كو ١ : ١٥ ، وأخرى : « بكراً بين إخوة كثيرين »رو ٨ : ٢٩ ، وأيضا « بكر من الأموات » كو ١ : ١٨ . وفى مناسبة أخرى يستخدم التعبير بطريقة مطلقة دون ربطه بكلمة أخرى ، قائلًا : « وأيضاً متى أُدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله » عب ١ : ٦ فبأى معنى صار بكراً بين إخوة كثيرين ؟ بالتأكيد هذا واضح أنه من أجلنا نحن الذين بالميلاد جسد ودم وُلد بيننا واشترك هو أيضاً فى اللحم والدم (عب ٢ : ١٤) ، لكى يغيرنا من الفساد إلى عدم الفساد بميلادنا نحن من فوق بالماء والروح . لقد قاد بنفسه طريق هذا الميلاد منزلًا الروح القدس على المياه بعماده ، حتى يصير فى كل شىء بكراً للذين يولدون روحياً معطياً إسم « إخوة » للذين يشتركون معه فى الميلاد ويتشبهون به بعمادهم بالماء والروح .

القديس غريغوريوس أسقف نيصص(٢٤١)

+ لنفهم هذه الكلمات (**مشابهين صورة إبنه**) عن الإنسان الداخلى ، لذلك يقول فى موضع آخر : « ولاتشاكلوا هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد اذهانكم » رو ١٢ : ٢ . قدر ما نتغير عن شكل هذا الدهر نتشكل كأبناء لله .

يمكننا أيضا أن نفهم هذه الكلمات هكذا ، انه كما تشكل بنا فظهر كمن هو مائت هكذا نتشكل نحن به بعدم الموت ، وهذه الحقيقة ترتبط بقيامة الجسد .

القديس أغسطينوس(٢٤٢)

+ فى الجسد يصير الرب قائدنا (بكرنا) إلى ملكوت السموات وإلى أبيه ، قائلًا : أنا هو الطريق، والباب، ومن خلالى ينبغى أن يدخل الكل(يو ١٤ : ٦ ؛ ١٠ : ٩)

البابا أثناسيوس الرسولى(٢٤٣)

يعالج الرسول بولس موضوع اختيار الله لنا أو تعيينه لمختاريه ، مؤكداً انه لاقهر

ولا إجبار فى قبول نعمة الله ، إنما يعين الله الذين يعرف أنهم يقبلون نعمته فى كمال حريتهم ، إذ يقول : « **الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ... والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً** » ع **٢٩ ، ٣٠** .

ويلاحظ فى هذا النص ان الله . « سبق فعرف الذين له » ، فاختياره وتعيينه لهم لا على أساس محاباة وإنما على أساس معرفته السابقة لهم ، لا بمعنى أن لهم الفضل فى شيء إلا قبولهم لدعوته وتجاوبهم لعمله فيهم بالمثابرة والجهاد . الله هو الذى يدعو وهو الذى يبرر وهو الذى يمجد ، لكن ليس فى سلبية من جهتنا !

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على تبرير الله وتمجيده لنا بالقول : [لقد بررهم بتجديد جرن المعمودية ، والذين بررهم مجدهم بالعطية أى بالتبنى (٢٤٤)] .

+ كثيرون دُعوا فعلًا وتبرروا (بالمعودية خلال الايمان) ، ومن يبقى إلى النهاية فهؤلاء « مجدهم أيضاً » ، وهذا لم يتم بعد .

بالرغم من أن هذين الأمرين أى أنه دعاهم وبررهم لم يتحققا بعد فى كل من قيل عنهم ألا أنه لا يزال يوجد كثيرون إلى نهاية العالم سيدعون وسيتبررون . وقد استخدم صيغة الماضى – حتى بالنسبة للأمور المستقبلة – كما لو كان الله قد بسبق فأعدها منذ الأزل .

القديس أغسطينوس(٢٤٥)

ز – مرافقة الله لنا فى الجهاد الروحى

إذ تحدث عن عطية الله لنا أنه عيننا عن معرفته السابقة لنا بأننا نقبل عمله فينا ، ودعانا ، وبررنا بالمعمودية ، ومجدنا بالبنوة لنصير مشابهين صورة ابنه ، يقف معنا كل أيام جهادنا ، لنقول مع الرسول : « **فماذا نقول لهذا : إن كان الله معنا فمن علينا ؟ !** » ع **٣١** .

يعلق **القديس يوحنا لذهبى الفم** ، قائلًا : [إن كان الله نفسه قد صار (للمؤمن) ، فحتى الأمور التى تبدو ضده تتحول لحسابه .... المؤمن الذى يهتم

بنواميس الله لايقف أمامه إنسان ولاشيطان ولاشيء ما ! فإن سلبته ماله تصير بالأكثر صرافاً لمكافأته . وان تحدثت ضده بشره يُحسب هذا الشر مصدر بهاء جديد فى عينى الله . إن حرمته حتى من الطعام يتمجد بالأكثر وتعظم مكافأته . إن قدمته للموت ، الذى هو أقسى مايقع على الكل ، فإنك تربطه بإكليل الأستشهاد . أى طريق حياة مثل هذا ؟ ! هذا الذى لايقدر شيء ما أن يقف ضد هذه حتى أن الذين يدبرون مكائد له يكونون بالنسبة له ليس أقل من الذين يخدمونه ؟ ! لهذا يقول : « إن كان الله معنا فمن علينا ؟ ![٢٤٦]]

س - الفداء كأعظم عطية

بلا شك أن حب الله الفائق الذى خلاله بذل إبنه الوحيد عنا يسحب كل المشاعر ويمتص كل الأحاسيس ليقف الإنسان فى عجز ، ماذا يطلب بعد ؟ ! يقول الرسول : « **الذى لم يشفق على إبنه بل بذل لأجلنا أجمعين ، كيف لايهبنا أيضا معه كل شيء ؟ !** » ع **٣٢** .

قدّم إبنه مبذولًا ونحن بعد أعداء لمصالحتنا ، فماذا يحجبه عنا بعد المصالحة ؟ ! أو كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [الذى وهب الأمور العظيمة لأعدائه ، أفلا يهب الأمور الأقل لأصدقائه ؟ ![٢٤٧]] .

يقول الرسول : « **الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين** » ع ٣٢ ، وكأن الأب هو الذى قدم الكأس للإبن ، لكنَّ الإبن أيضا بحبه أراد أن يشرب الكأس ، فالبذل مشترك : « الآب بذل إبنه الحبيب والإبن بذل ذاته ، وكما يقول **القديس أغسطينوس** : [واضع هذا الكأس واحد مع شاربه ، إذ يقول الرسول نفسه : « أحبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » أف ٥ : ٢ [٢٤٨]] . كما يقول **القديس أمبروسيوس** : [يظهر الإناء المختار بوضوح وحده الحب الإلهى ، فإن كلًا من الآب والابن قد بذلا ، الآب بذل إذ إذ لم يشفق على إبنه لأجلنا اجمعين (رو ٨ : ٣٢) ، والإبن بذل إذ « أسلم ذاته لأجلى » غلا ٢ : ٢٠[٢٤٩]] .

على أى الأحوال ان التطلع إلى الصليب يسحب قلب المؤمن بالحب إذ يرى فى الله « الحب النازل » ، فيخجل أن يطلب بعد شيئا إلا أن يرتفع بالصليب إلى الحضن الأبوى بالروح القدس ليبقى فيه أبدياً ينعم بأبوته الالهية الفائقة .

حقا أن التطلع إلى الصليب يسحب القلب ليبقى فى حالة شكر وتسبيح بلا إنقطاع ، الأمر الذى يزداد قوة وبهاءً عندما نرتفع إلى السموات لندرك بالأكثر فاعلية هذا الحب حين نوجد مع الله ابناء له وأحباء ! الصليب يبقى تسبحتنا السماوية غير المنقطعة .

ش - رعاية حتى النهاية

إن كان الفداء الإلهى هو قمة ماقدمه الله للإنسان معلناً كمال حبه لا بالكلام والعواطف وإنما بالبذل حتى الصليب ، فانه يبقى الصليب حدثاً فوق الزمن ، ويبقى المصلوب حتى بعد صعوده إلى السماء يرعى البشرية ، مشتاقاً أن يسحبهم إلى مجده الأبدى ..... رعايته دائمة وهو فى السموات لاتنقطع حتى يدخل بنا إلى حيث هو قائم .

هذا العمل الإلهى يعطى الرسول الجرأة ليقول :

« من سيشتكى على مختارى الله ؟ ! الله هو الذى يبرر .
من هو الذى يدين ؟ المسيح هو الذى مات ، بل بالحرى قام أيضاً ، الذى هو أيضاً عن يمين الله ، الذى أيضاً يشفع فينا » ع ٣٣ ، ٣٤ .

+ إنه لايترك رعايته لنا ، بل لايزال يشفع فينا محتفظاً بذات الحب لنا .

+ إن كان الروح نفسه يشفع فينا بآنات لاينطق بها (ع ٢٦) ، والمسيح مات ويشفع فينا ، والآب لم يشفق على إبنه من أجلك وقد إختارك وبررك ، فلماذا تخاف بعد ؟ !

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٥٠)

+ إنه يشفع فينا كل يوم غاسلًا أقدامنا ، ونحن أيضاً نحتاج إلى غسل أقدامنا

يومياً بسلوكنا بالحق بخطوات روحية ، فنعرف الصلاة الربانية ، قائلين :
« وإغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا » مت ٦ : ١٢ .

القديس أغسطينوس (٢٥١)

+ ليصلِ كل واحد منا عن الآخر كما يشفع المسيح عنا .

القديس أغسطينوس (٢٥٢)

هذا وقد وجد **القديس أمبروسيوس** (٢٥٣) فى هذه العبارات الرسولية باب الله مفتوح لكل نفس ترجع إليه ، فإستخدمها فى الرد على إتباع نوفاتيانوس الذين أغلقوا الباب على الراجعين بالتوبة لله بعد إنكارهم للسيد المسيح أو سقوطهم فى خطايا بشعة ، مثقلين النير عليهم باليأس .

٣ – ناموس الروح ومحبة المسيح

إذ إنتقل الرسول بولس من الناموس الموسوى فاضح الخطية دون معالج لها (ص ٧) إلى ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع كاشفاً عن عمل الروح القدس فينا خلال عمل المسيح الفدائى إذ يرفعنا من إهتمام الجسد إلى إهتمام الروح وعوض العبودية يهبنا روح البنوة لله مقدساً نفوسنا وأجسادنا ، واهباً إيانا القيامة الداخلية ورجاء قيامة الأجساد أيضاً ، يسندنا فى كل جهادنا حتى فى الضعفات ، محولًا كل الأمور لخيرنا ليحقق غايته فينا ألا وهو « مجدنا السماوى » .... أمام هذا العمل الالهى العجيب الذى جاء ثمرة مجيء المسيح وبذل حياته عنا لم يعرف الرسول إلا أن يرد الحب بالحب إذ ينشد لحن محبته للسيد المسيح ، قائلًا :

« من سيفصلنا عن محبة المسيح ؟ !
أشدة أم ضيق أم إضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف ؟ ! كما هو مكتوب : إننا من أجلك نمات كل النهار ، قد حُسبنا مثل غنم للذبح .

ولكننا فى هذه جميعها يعظم إنتصارنا بالذى أحبنا .
فإنى متيقن أنه لاموت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » ع ٣٥ – ٣٩ .

سحبت هذه التسبحة قلب الكنيسة ليشتهى أبناؤها الألم كل يوم من أجل المحبوب ، ليقدموا حياتهم ذبيحة حب لذاك الذبيح الذى سبق فبادر بالحب مقدماً حياته مبذولة عنا .

لم تعد الآلام والضيقات تحطم النفس بل علة الدخول إلى موكب الغلبة والنصرة تحت قيادة المسيح يسوع المتألم والمصلوب .

+ « من أجلك نمات كل النهار » .... من الواضح اننا سنرحل ومعنا أكاليل كثيرة إذ نعيش أياماً كثيرة ، أو بالحرى ننال أكاليل أكثر من الأيام بكثير ، إذ يمكن أن نموت فى يوم واحد لامرة ولا مرتين بل مرات كثيرة . لأنه من كان مستعداً لهذا يبقى ينال مكافأة كاملة على الدوام .

+ لقد أظهر (الرسول) أيضاً أن أجسادنا قد صارت ذبيحة ، فيليق بنا ألا نرتبك ولا نضطرب عندما يأمر الله بتقديمها .

+ لأنه بالحقيقة لأمر عجيب ، ليس فقط أننا غالبون وإنما غالبون بذات الأمور التى وُضعت كمكائد لنا . نحن لسنا غالبين فحسب وإنما « أكثر من غالبين » ، إذ نمارس الغلبة بسهولة بلا تعب ولا مشقة .... لأن الله يصارع بجوارنا . فلا تشك ، فاننا وان ضُربنا نحسب أفضل من الضاربين ، وأن طُردنا نغلب الذين يضطهدوننا ، وإن متنا يبقى الأحياء (الذين يقتلوننا) فى صراع ..... إنهم لايحاربون البشر بل يقاومون القدير الذى لايُغلب !

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٥٤)

+ العبارة « ذبحت ذبحها » أم ٩ : ٢ تعبر عن الشهداء فى كل مدينة حيث يذبحون يومياً من أجل الحق بواسطة غير المؤمنين ، صارخين بصوتٍ عالٍ : « إننا من أجلك نُمات كل النهار ، قد حُسبنا مثل غنم للذبح » .

القديس هيبوليتس(٢٥٥)

+ ليس شيء من هذه الأمور يقدر أن يفصل المؤمنين أو ينزع الملتصقين بجسده ودمه .....

الإضطهاد هو إختبار للقلب وفحص له . الله يسمح به لنا لكى نمحص ونتزكى ، إذ يود أن يزكى شعبه على الدوام ، لكن معونته لا تقصر عن مساعدة المؤمنين فى كل وقت وسط التجارب .

الشهيد كبريانوس(٢٥٧)

+ هنا تعبير « **كل النهار** » يعنى كل الزمان الذى فيه نحتمل إضطهادات ونذبح فيه كغنم . هذا النهار لايعنى نهاراً يحتوى على إثنتى عشر ساعة إنما كل الزمان الذى فيه يتألم المؤمنون فى المسيح ويموتون لأجله .

القديس إيريناؤس(٢٥٧)

ربما نتساءل : هل يمكن للملائكة أو القوات أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ؟

+ لم يقل هذا كما لو كانت الملائكة تحاول هذا أو القوات الأخرى ، حاشا ! إنما أراد أن يظهر عظم الحب نحو المسيح . فإنه لايحب المسيح من أجل الأشياء الخاصة بالمسيح (ولو كانت السمائيين) ، وإنما من أجل المسيح يحب الأشياء التى له . فله وحده يتطلع ، وأمراً واحداً يخافه هو السقوط عن محبته للمسيح . فإن هذا الأمر فى ذاته أكثر رعباً من جهنم ، أما التمتع بالحب فيشتاق إليه أكثر من الملكوت .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٥٨)

هذا وقد لاحظ **القديس أمبروسيوس**(٢٥٩) فى هذا الحديث الرسولى ان الرسول لايميز بين محبتنا للآب ومحبتنا للمسيح (ع ٣٥ ، ٣٩) ، علامة وحدة اللاهوت ، مقدمين كل شيء فداء حبنا لله .

+ + +

الأصحاحات ٩ - ١١

إختيار الله شعبه

قلنا أن اليهود بوجه عام كانوا يشعرون بإمتياز خاص بهم دون سائر الأمم من ثلاث جوانب رئيسية : انهم أبناء إبراهيم صاحب الوعود الإلهية ، وأصحاب الناموس الموسوى ، وشعب الله المختار .

بالنسبة لبنوتهم لإبراهيم رفعهم الرسول بولس من البنوة الجسدية إلى البنوة له روحياً إن حملوا إيمانه فيهم ، وإنتقل من بنوتهم لله نفسه الأمر الذى يشترك فيه الأمم المتنصرون معهم (ص ٤ - ٦) . أما بالنسبة للناموس (ص ٧ - ٨) فأوضح أن الحاجة لا إلى الناموس فى ذاته بل إلى غايته : المسيح يسوع ، إذ يعجز الناموس عن التبرير من الخطية إنما يقف عند كشفها أما الإيمان فهو سرّ تبرير الكل . والآن فى الأصحاحين ٩ ، ١٠ يتحدث عن إميتازهم كشعب مختار ، وهو أمر غاية فى الدقة ويصعب النقاش مع اليهود فيه ، إذ لايقبلون التفاهم أو التحرك عنه قيد انمله، لذا كان الرسول يتحدث معهم وكأنه يسير على أشواك ، يود أن يكسبهم لكن ليس على حساب الحق أو على حساب إنفتاح الباب لسائر الأمم ، فجاء حديثه مزيجاً بين حبه الشديد لبنى جنسه وإنفتاح قلبه للأمم ، كما كرس الأصحاح الحادى عشر للحديث مع الأممى المتنصر إلا يستكبر على أخيه اليهودى المتنصر ، بسبب إنفتاح باب الإيمان له ، لأن خطة الله الخلاصية من نحو شعبه لابد أن تتحقق فى أواخر الدهور حين يقبل اليهود الإيمان بالمسيح بعد جحودهم له كل هذا الزمان .... إنه يطالب الأممى المتنصر أن يسلك بروح الإتضاع لئلا وهو غصن من شجرة برية مغروسة فى شجرة الزيتون الأصلية يقُطع بسبب كبرياء قلبه .

يلاحظ أن الرسول وهو يستعرض هذا الموضوع أبرز ثلاث نقط :

ا – محبة الله المعلنة خلال مواعيده واختياره لشعبه ، لكن ليس كل الإسرائيليين حسب الجسد إنما لمن يقبل البنوة له بالإيمان .

ب – قسوة الانسان الذى يقابل حب الله بالعصيان والجحود ، وقد كان الثمر هو رفض إسرائيل الجاحد .

جـ – البركة الشاملة ، فإن الرفض يبقى جزئياً إذ يشتاق الله أن يضم الكل له خلال الإيمان العام لكل الأمم والشعوب بما فيهم اليهود حين يقبلون ذاك الذى جحدوه .



المشكلة الرئيسية فى حياة اليهود هى شعورهم بأنهم شعب الله المختار ، لذلك ترك معالجتها بعد تفنيد الحجتين السابقتين الخاصتين بإنتسابهم لإبراهيم وإستلامهم للناموس .

عالج الرسول هذه الحجة بحكمة عجيبة ، إذ لم ينكر إختيارهم كشعب الله ، إنما أكّد أنه لايقوم على إمتياز فيهم أو عن إستحقاق خاص بهم ، إنما عن محبة الله الذى « يرحم من يشاء » ..... خلال هذا الفهم أعلن الله أيضاً حبه للأمم فإختارهم هم أيضاً .

١ – تقدير الرسول لليهود .	١ – ٥
إختيار الله للآباء .	٦ – ١٣ .
٣ – إختيار الأمم أيضا .	١٤ – ٢٩ .
٤ – تعثر إسرائيل .	٣٠ – ٣٣ .

\+ \+ \+

١ – تقدير الرسول لليهود

إذ ختم الرسول حديثه السابق مؤكداً انه لايمكن حتى للملائكة أو خليقة ما أن تفصله عن محبة المسيح ، ولئلا يظن اليهود المتنصرون أنه تحدث بهذا ليعلن أنه مستعد أن يتخلى عن شعبه بنى جنسه من أجل إيمانه بالسيد المسيح ، أراد أن يوضح بقوة أن إيمانه بالسيد المسيح يلهب بالأكثر قلبه بالحب نحو بنى جنسه ويتسع قلبه لإحتوائهم فى الإيمان حتى ولو كان قبولهم يلتزم حرمانه هو ! لهذا يفتتح الرسول حديثه هنا بقوله : « **أقول الصدق فى المسيح ، لاأكذب وضميرى شاهد لى بالروح القدس إن لى حزناً عظيماً ووجعاً فى قلبى لاينقطع ، فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد**» ع **١ – ٣** .

حبه لخلاص شعبه يؤكد بالأكثر محبته للسيد المسيح ، وشوقه لخلاصهم يثبت بالأكثر علاقته به ، أما حديثه هنا فمن قبيل تأكيد مدى محبته لهم فى الرب وإهتمامه بهم ، ومدى بذله لنفسه لحسابهم .

كان الرسول بولس أشبه بإبراهيم أب الأباء الذى رفع إبنه الذى أخذ فيه المواعيد على مذبح المحبة ، حاملًا السكين كصليب ليذبحه ، مؤمناً أن الله قادر أن يقيمه له حياً ويحقق مواعيده فيه ..... هكذا يرفع الرسول بولس نفسه كما إسحق على مذبح الحب من أجل أنسبائه حسب الجسد ممسكاً بالصليب ، مؤمناً أن محبته لبنى جنسه لن تحرمه من المسيح ولاتخسره خلاصه بل بالعكس تزيد نفسه بهاءٍ ومجداً فى عينى الله ، لأنه إنما يمارس حب المسيح ويقبل عمل روحه فيه . فإن أعلن الرسول إنه مستعد أن يخدم شعبه حتى النهاية ولو كان على حساب نفسه ، فإن هذه المشاعر الصادقة لاتكون إلا لحساب نفسه أكثر فأكثر .

لعل الرسول بولس وهو يكتب هذه الكلمات يمتثل بموسى حين أعلن محبته لشعب الله ، إذ يصرخ : « والآن إن غفرت خطيتهم وإلا فإمحنى من كتابك الذى كتبته » خر ٣٢ : ٣٢ . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** إن هذه الصلاة كانت أثمن ماقدمه موسى النبى إذ يظهر خلالها أكثر بهاءً منه وهو يتمم المعجزات ، لأن الحب أعظم من عمل الآيات . هكذا لايلوم أحد الرسول بولس فى كلماته هذه

إذ يراه يحقق الوصية الإنجيلية : « بهذا قد عرفنا المحبة إن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغى لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة » ١ يو ٣ : ١٦ .

لقد أتهم الرسول بولس بخيانته لشعبه وعوائدهم وناموسهم (أع ٢١ : ٢٨؛٢٢ : ٢٢؛ ٢٥ : ٢٤)، لهذا يؤكد الرسول محبته العميقة لهم مهما بدت الخسارة معلناً ومؤكداً انه صادق فى كلماته ، إذ هو ملتزم أن ينطق « بالحق » لا « الكذب » بسبب إتحاده بالمسيح، مشهداً الروح القدس الساكن فيه على ضميره الذى لايدركه إنسان !

يقول **الأب إسحق** تلميذ القديس أنبا انطونيوس : [أخيراً إذ إمتلأ الإناء المختار بهذه المشاعر رغب لو أمكن أن يكون محروماً من المسيح من أجل نمو الشعب المنتمى إليه وخلاص كل أمه إسرائيل لمجد أبيه .... (برفضهم الفكر التعصبى وقبول الإيمان المسيحى بدل الجحود) .... ويقول أيضا : « لأننا نفرح حينما نكون ضعفاء وأنتم تكونون أقوياء » ٢ كو ١٣ : ٩ (٢٦٠)

الآن إذ يعلن محبته الشديدة لخلاصهم قبل أن يعالج موضوع إختيارهم كشعب الله أراد أن يبرز جانبين :

أولا : انه لايتحدث كغريب عنهم أو عدو يقاومهم إنما يدعوهم هكذا « **أنسبائى حسب الجسد** » ع ٣ ، أى إخوتى خلال رابطة الدم .... إذ صار له إخوة أيضا جدد خلال رابطة الإيمان الجديد والروح ، فهو يحدث اخوته المحبوبين إليه .

ثانياً : انه لايتجاهل إمتيازاتهم ، إذ يقول : « **الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والإشتراع والعبادة والمواعيد ، ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد ، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين** » ع **٤ ، ٥** .... وكأنه يقول أنا أعلم انكم إخوتى بشعب الله الذى ميّزكم الله بميزات دون سواكم ، وقد قدم لنا هذه الميزات كلها تكمل فى شعب الله الجديد ، إذ يقول :

١ – **هما إسرائليون**: فقد نال يعقوب هذا اللقب « إسرائيل بأمر إلهى لأنه جاهد مع الله والناس وغلب (تك ٣٢ : ٨) . فإن كان كلمة « إسرائيل » تعنى « يملك

كالله »[٢٦١]، فإن إسرائيل وإن كان قد ملك ولكن إلى حين ، أما إسرائيل الجديد فيقدم ملوكاً حقيقين لا يملكون على الزمنيات إنما ينعمون بشركة المجد الإلهى مع ملك الملوك ورب الأرباب ، يترنمون قائلين : « جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه » رؤ ١ : ٦ .

ب - **ولهم التبنى** : بمعنى أن الله إشتاق أن يتبناهم له ليكونوا كأهل بيته وخاصته ؛ فعندما دعى الله موسى للعمل وسط شعبه قال له : « فتقول لفرعون : هكذا يقول الرب ، إسرائيل إبنى البكر ، فقلت لك إطلق إبنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه ، ها أنا أقتل إبنك البكر » خر ٤ : ٢٢ ، ٢٣ . وعندما قدم الله لشعبه وصايا تميزهم عن الوثنيين كان قول الرب : « أنتم أولاد الرب إلهكم » تث ١٤ : ١ ، وحين أعلن الله خلاصه لهم عند رجوعهم اليه ، قال : « لأنى صرت لإسرائيل أباً وإفرايم هو بكرى » أر ٣١ : ٩..... لكن إسرائيل لم يستطع أن يمارس البنوة لله بل مارس العصيان (إش ١ : ٢) غير مقدم له كرامة الأبوة (مل ١ : ٦) .... لذا إحتاج إلى تغيير شامل لقلبه وطبيعته بسكنى روح التبنى فيه ، فيمارس بنوته لله ، ويحق له التمتع بالميراث مع المسيح الإبن وحيد الجنس(رو ٨ : ١٤-١٧).

جـ - **لهم المجد** (ع ٤) ، وكان علامته ظهور عمود السحاب والنار فى البرية وأيضا فى الخيمة والهيكل ، إذ قيل : « ثم غطت السحابة خيمة الإجتماع وملأ بهاءَ الرب المسكن » خر ٤٠ : ٣٤ . وكان وجود تابوت العهد علامة وجود المجد الإلهى ، لذلك عندما سمعت إمرأة فينحاس باستيلاء الفلسطنيين عليه : قالت « زال المجد من إسرائيل لأن التابوت قد أُخذ » ١ صم ٤ : ٢١ . أما إسرائيل الجديد فصار « المسيح » نفسه هو مجده ، يسكن وسط شعبه ويحل فى قلوبهم ، ويملأهم بروحه القدوس .

ء - **لهم العهود** (ع ٤) ، إذ أراد الله أن يرفع مؤمنيه دخل معهم فى عهود مستمرة ليقيم منهم شعباً له ، لكن هذا الشعب لم يلتزم بالعهود بل تجاوزها(هو ٨ : ١)ونقضها (حز ١٧ : ١٨) وحُسب حانثاً للعهد وخائناً له .... لذا صار المؤمنون فى حاجة إلى الألتقاء مع الله على مستوى عهد جديد لا يُنقش

على حجارة كما فى العهد القدم وإنما داخل القلب بالروح القدس ، يعلن حب الله الباذل خلال دم إبن الله المبذول على الصليب (عب ١٢ : ٢٤) .

هـ – **لهم الإشتراع** (ع ٤) ، إذ إمتازوا بنوال الشريعة لكنهم لم يحفظوها فى حياتهم العملية بل حسبوا كاسرين لها .

و – **لهم العبادة** (ع ٤) وقد جاءت الشريعة تقدم الكثير من الطقوس الخاصة بالعبادة ، كانت فى الحقيقة ظلًا للعبادة الروحية .

ز – **لهم المواعيد** (ع ٤) خاصة المواعيد التى تنبأ عن مجىء المسّيا ، هذه التى إهتم الأنبياء بإعلانها .

حـ – **ولهم الآباء** ، إذ جاءوا من نسل الآباء البطاركة إبراهيم وإسحق ويعقوب .

ط – **ومنهم المسيح حسب الجسد** (ع ٥) .... يكفيهم فخراً أن السيد المسيح ، كلمة الله ، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد قد جاء متجسداً منهم .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى** على هذا الحديث الرسولى بقوله : [مايقوله الرسول لايتحدث به على المكشوف ، فإنه إذ كان الكل يتكلم متهماً الله أنه بعد أن حبسهم أهلًا لإسم « الأبناء » ، ولإستلام الشريعة ، ولمعرفتهم له أكثر من كل البشر ، والتمتع بمجد عظيم كهذا ، وخدمتهم له أكثر من كل العالم ، وتقبل المواعيد ، ومنهم الأباء كأصدقاء له ، وما هو أعظم من الكل ان من نسلهم جاء السيد المسيح ، الآن قد صاروا مطرودين ومرذولين وحّل محلهم أناس لم يعرفوه من قبل قط ، هم من الأمم . إذ نطقوا هذا كله وجدفوا على الله ، سمع بولس ذلك فانعصر قلبه وغار على مجد الله واشتهى لو أمكن أن يحُرم هو ليخلصوا هم ، وينقطع هذا التجديف ، فلا يظهر الله كمخادع لنسل أولئك الذين سبق فوعدهم بالنعم . ولكى تنظروا انه للأسف وعد الله الذى قدمه لإبراهيم « أعطيك الأرض ولنسلك » لا ليسقط .... قال : « **ولكن ليس هكذا أن كلمة الله قد سقطت** » ع ٦[٢٦٢]]

هكذا جاء الحديث فى بقية الأصحاح أشبه بدفاع للرسول عن عدم سقوط

كلمة الله أو مواعيده للآباء ، إنما تتحقق ليس حسب المفهوم الحرفى الضيق الذى إلتزم به اليهود إنما بالمفهوم الروحى العميق .

هذا وإذ أعلن لهم إمتيازهم لم يداهنهم على حساب الحق ، مؤكداً أن الذى تجسد منهم هو « **الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد** » ع **٥** . وكما يقول **القديس هيبوليتس** : [هذه الكلمة تعلن سرّ الحق بإستقامة ووضوح ، فإنه ذاك الكائن على الكل هو الله ، القائل بدالة : « كل شيء قد دُفع إلىّ من أبى »مت١١ :٢٧ .الكائن على الكل هو الله المبارك وقد وُلد إذ صار إنساناً ، لكنه هو الله إلى الأبد . فى هذا يقول يوحنا أيضا : « الكائن والذى كان والذى يأتى ، القادر على كل شيء » رؤ ١ : ٨ . حسناً دُعى المسيح بالقادر ، إذ بهذا ينطق بما شهد به المسيح عن نفسه(٢٦٣)] .

٢ - اختيار الله للآباء

حسب اليهود أنفسهم أنهم نالوا خلال آبائهم وعداً إلهياً أبدياً انهم شعب الله ، هذا الوعد أو هذه الكلمة الإلهية لن تسقط عبر الأزمنة . والرسول بولس كمؤمن بكلمة الله يدرك انها لن تسقط أيضا ، إنما الخطأ ينصب فى فهمهم لكلمة الله ، فإن الله إذ وعد « إسرائيل » إنما يقدم وعده « لإسرائيل الروحى الحقيقى » لا لجنس معين بذاته مهما كانت تصرفاته ، وإذ يعد إبراهيم بالنسل خلال إسحق فإنه يطلب النسل الروحى الذى له إيمان إبراهيم واسحق لا أولاد الجسد .... ثم ان الله الذى إختار إسرائيل شعباً له من حقه أن يبسط ذراعيه لسائر الأمم ليقبل الكل شعبه خاصة إن سقط إسرائيل الجسدى فى الجحود وعدم الإيمان .

يقول الرسول : « **ولكن ليس هكذا حتى أن كلمة الله قد سقطت ، لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون** » ع ٦ .

يؤكد الرسول بولس إيمانه بكلمة الله انها لن تسقط ومواعيده لإبراهيم أب الآباء باقية ، لكن مايرفضه الرسول هو تفسيرهم للإنتساب لإسرائيل ، فإنه ليس كل انسان من شعب إسرائيل اسرائيلياً بحق ، أى ليس الكل أعضاء فى شعب الله ، وكما

سبق فقال : « لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان فى الظاهر فى اللحم ختاناً » رو ٢ : ٢٨ .

يعطى الرسول تفسيراً كتابياً لنسل إبراهيم الذى فيه تتحقق المواعيد الإلهية ، إذ يقول : « **ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد ، بل بأسحق يُدعى لك نسل ، أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يُحسبون نسلًا ، لأن كلمة الموعد هى هذه : أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة إبن ، وليس ذلك فقط بل رفقه أيضا وهى حبلى من واحد وهو إسحق أبونا ، لأنه وهما لم يولدوا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الإختيار ليس من الأعمال بل من الذى يدعو ، قيل لها ان الكبير يستُبعد للصغير ، وكما هو مكتوب : أحببت يعقوب وأبغضت عيسو** » ع ٧ - ١٣ .

يلاحظ فى هذا النص الرسولى :

أولا : حكمة الرسول بولس وتمييزه فى الحديث معهم ، فكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** إن الرسول قدم « إسحق » مثلا للبنوة لإبراهيم ، فانه وإن كان إبناً لإبراهيم حقيقياً لكنه لم يولد حسب قوة الجسد أو حسب ناموس الطبيعة ، إذ كان الأب شيخاً والأم عاقراً وإنما مولوداً حسب قوة الوعد الإلهى . إذاً فنسل إبراهيم هم الذين ينعمون بالولادة لاحسب الجسد وإنما حسب الإيمان والتمسك بوعود الله روحياً .

لم يهاجم الرسول اليهود بكونهم نسلا لإبراهيم ، إنما هاجم فهمهم لشعب الله بطريقة حرفية جامدة تقف عند الأنتساب الجسدى لإبراهيم .... لنكن كإسحق فنصير أصحاب الوعد الإلهى حاملين البنوة لا لإبراهيم فحسب بل كما يقول الرسول : « هم أولاد الله » ، « وأولاد الموعد » .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [هذا الوعد إذن وكلمة الله هما اللذان شكّلا إسحق وولداه . فماذا إن كان الرحم هو الإداة وأحشاء المرأة هى الوسيلة ؟ لكن ليس قوة الأحشاء هى التى ولدت الطفل بل قوة الوعد . هكذا نحن أيضا نولد بواسطة كلمة الله . ففى جرن المعمودية كلمة الله تلدنا وتشكلنا . لقد ولدنا من

جديد بالعماد بإسم الآب والابن والروح القدس . هذا الميلاد ليس بقوة الطبيعة بل بقوة وعد الله (يو ٣ : ٣ ؛ أف ٥ : ٢٦ ؛ يع ١ : ١٨ ؛ ١ بط ٣ : ٢١) .

فأنه كما سبق فأنبأ عن ميلاد إسحق ثم حقق الوعد هكذا بالنسبة لنا أيضا قد سبق فأعلن عن ميلادنا منذ أجيال طويلة بواسطة الأنبياء ثم حقق الوعد . أنتم تعرفون كيف قدم الوعد انه سيتحقق كأمر عظيم ، وقد تممه بسهولة شديدة (هو ٢ : ١ الخ).

لكن إن قال اليهود إن الكلمات : « **بإسحق يدعى لك نسل** » تفهم بأن كل من يُولد من إسحق بالضرورة يحسب نسله ، بهذا يكون بنو آدم أبناؤه ، لأن أباهم عيسو (أدوم) هو أيضا ابنه ..... هكذا ترون أنه ليس كل أولاد الجسد هم أولاد الله ، هكذا سبق فأخبر بطريقة ما عن تجديد الميلاد الذى من فوق بواسطة المعمودية . (إذ يرى القديس بأن الوعد بنسل إسحق يشير إلى الوعد للمولودين فى المعمودية ميلاداً ليس حسب الطبيعة أو الجسد)

إن قلتم أن الولادة تتحقق بالرحم (من سارة) أقول أنها تتم هنا بالمعمودية ، إذ تتم بالروح كما تحققت هناك بالوعد . فالرحم أكثر جموداً من الماء بسبب عقر (سارة) وشيخوختها .

إذن لنتيقن معرفة دقيقة عن سمونا ، ولتكن حياتنا لائقة بهذا السمو ، فإنه ليس شيء جسدى أو أرضى ، وليتنا لانسمح أن يكون شيء من هذا فينا .

الله لم يصنعنا (كأبناء له) خلال النوم ولا بمشيئة جسد (يو ١ : ١٣) ولا خلال جنون الشهوة .... بل خلال الحب الإلهى نحو الإنسان (تى ٣ : ٥) .

وكما أنه فى تلك الحالة تحقق الميلاد بعد أن نزع الزمن الرجاء، هكذافى حالتنانحن بعد أن غلبتنا شيخوخة الخطية ولُد إسحق فجأة صغيراً وصرنا نحن أولاد الله ونسل إبراهيم (إش ٦٠ : ٣١) [٢٦٣]] .

إذن وعد الله قائم وكلمته لم تسقط بل قائمة وفعالة ، وإسحق لازال يولد حتى اليوم كما من سارة آلتى لاتحمل قوة الولادة بالطبيعة إنما بالوعد الإلهى ، إذ لايزال شعب

الله يقوم خلال رحم الكنيسة الذى هو المعمودية حيث يولد إسحق على الدوام لا خلال الجسد ولا بهوى إنسان وإنما يولد بالروح القدس بقوة الكلمة .

يرى **القديس أغسطينوس** إن هذا الوعد لنسل إبراهيم من إسحق المولود من سارة قد تحقق عندما علق السيد المسيح ، وأعلن ملكه على هذا النسل ، إذ جاء فى علته التى سجلت على الصليب « ملك اليهود » ، فقد ملك الرب بالصليب على اليهود من « نسل إسحق » .... لكنه لم يملك على النسل حسب الجسد بل هو حسب الروح ، إذ يقول : [المسيح ملك اليهود (حسب عنوان علته) ، لكن اليهود مختونى القلب بالروح لا بالحرف ، الذين مدحهم من الله لا من الناس ، الذين ينتمون لأورشليم الحرة ، أمنا الأبدية فى السماء ، سارة الروحية التى تطرد الجارية وأولادها من بيت الحرية . فما كتبه بيلاطس قد كتب ، لأنه ماقاله الرب قال(٢٦٤)] .

يقول **القديس أغسطينوس** : [لكى يكونوا أبناء الوعد نسل إبراهيم يلزم أن يدعو فى إسحق ، وذلك بتجميعهم معاً فى المسيح خلال دعوة النعمة(٢٦٥)] .

هذا ويرى **القديس أغسطينوس(٢٦٦)** إن أبناء الجسد الذين يولدون من قطورة هم رمز الهراطقة الذين جاءوا كما من زوجة ثانية من السرارى .

ثانياً : لم يقف الرسول بولس عند تقديم مثل واحد لتحقيق وعد الله بطريقة روحية لاحرفية جامدة ، وإنما قدم مثلاً آخر خلال إختيار الله ليعقوب دون عيسو ، وهما فى أحشاء رفقة .

ففى مثل إسحق ربما يقال أن الوعد يتحقق فى إسحق ونسله دون إخوته ، لأن إسماعيل إبن الجارية ، ولأن إسحق هو إبن الحرة أكبر سناً من أخوته الذين من قطورة ، فهو الوارث للمواعيد الإلهية دون سواه ، لذلك قدم الرسول « يعقوب وعيسو » وهما من أب واحد وأم واحدة ، بل وكانا توأمين فى بطن واحدة ، ومع ذلك لم يكن لهما نصيب واحد . فمن جهة الجسد لايختلف يعقوب عن عيسو فى شىء ، بل يمتاز عيسو بأنه البكر جسدياً .... ومع ذلك « الكبير يُستعبد للصغير » ....

بمعنى آخر إن كان اليهود يمثلون « الكبير » إذ سبقوا الأمم فى معرفة الله ، لكنهم إذ يجحدونه بينما يقبل الأمم الإيمان ، يتحرر من العبودية ويسقط اليهود فيها .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على إختيار يعقوب دون عيسو ، هكذا : [أنظر كيف حدث هذا ليس فقط فى حالة إبراهيم وحده بل وفى حالة ابنه أيضا أن الايمان والفضيلة فى كل الأحوال هما المهمان ويعطيان العلاقة الحقيقة (للبنوة) . هنا نتعلم انه ليس خلال الميلاد وحده بل خلال تأهل الأشخاص لفضيلة أبيهم يحسبون أبناء له . فلو أن البنوة تقوم على الميلاد الجسدى (وحده) لإستحق عيسو أن يتعم بما ناله يعقوب ... أنه يظهر بأن شرف الميلاد الجسدى ليس بذى قية ، إنما يلزمنا أن نطلب فضيلة النفس التى يعرفها الله قبل أن تمُارس ..... الإختيار تم بناء على سبق معرفة الله ، إذ يعلم من هو صالح(٢٦٧) ومن هو ليس يصالح] .

ثالثاً : ربما يتساءل البعض : لماذا قيل : « **لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الإختيار ليس من الأعمال بل من الذى يدعو قيل لها إن الكبير يستعبد الصغير ؟** » ألعل عند الله محاباة ؟ لماذا يحب يعقوب ويبغض عيسو ؟

بمعنى آخر هل لأن الله إختار يعقوب قبل أن يعمل خيراً أو شراً خرج صالحاً بينما خرج عيسو شريراً ؟ ولماذا يحُاسب عيسو إذن على شره ويكافأ يعقوب على صلاحه ؟

تأتى الإجابة على ذلك هكذا :

ا — أوضح الرسول نفسه فى ذات الرسالة عدم محاباة الله ، قائلًا بكل صراحة : « لأن ليس عند الله محاباة » ع ١١ . وقد سبق فأوضح الرسول ان إختيار الله يقوم على سبق معرفته غير المحدودة ، إذ يقول : « لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ، فهؤلاء دعاهم أيضا » رو ٨ : ٣٠ .... فإن كان قد أحب يعقوب وعينه ودعاه إنما لأنه سبق فعرفه انه يقبل الدعوة ويتجاوب مع محبة الله حتى وأن كان فى قبوله للدعوة يتعرض للضعفات والسقطات ، فالله يحبه من أجل نيته الصادقة والجادة عملياً ، أما رفضه لعيسو فيقوم على رفض عيسو لله واصراره على المقاومة ضد الله .

ب – بقوله : « لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً ولا شراً » أراد أن يؤكد الرسول أن يعقوب لم يتبرر بسبب أعمال الناموس ولا أعماله الصالحة الذاتية ، فسّر محبة الله له إنما تقوم على نعمة الله المجانية ، لكن دون سلبية من جهة يعقوب . بمعنى آخر لو إنتظر الله حتى ينمو يعقوب ويكبر ويظهر كرجل صالح وعندئذ يدعوه لتعرض يعقوب للكبرياء وحسب أن الله دعاه عن إستحقاق ذاتى ، وانه هو الذى سبق فسلك بالصلاح فتأهل بذاته للدعوة ، لكن الله أعلن حبه ليعقوب وهو بعد فى الأحشاء ليبرز الله كمبادر بالحب نحو مؤمنيه حتى قبل ممارستهم لعمل صالح .... يحبهم إذ يعلم انهم يقبلون دعوته المجانية وعمله الإلهى فيهم .

جـ – لعل الرسول بولس أراد أن يوضح لليهود أنهم ان كانوا يعجزون عن تقديم مبرر لإختيار الله لأبيهم يعقوب « إسرائيل » ، فكيف يدركون خطة الله نحو العالم كله ؟ ! الله الذى سبق فأحب يعقوب وهو فى الأحشاء لايدرك شيئاً له أيضاً أن يختار الأمم ويحبهم حتى ولو لم يدرك اليهود والأمم سّر هذا الإختيار والحب للأمم ! بمعنى آخر يعجز الشعب اليهودى ويعقوب نفسه عن تقديم تفسير لقبوله ، وهكذا يعجز الكل عن إدراك سّر إنفتاح باب الايمان للأمم أيضا .

ء – حديث الرسول هنا لايقلل من دور الإيمان فى الجهاد ، لكنه يؤكد أن خلاص الإنسان لايتحقق بالعمل الصالح خارج دائرة الايمان ، وانه ماكان يمكن قبول يعقوب لو لم يبادر الله بالحب أولا .... لهذا لانعجب إن سمعنا أن الله سيجازى كل إنسان حسب أعماله (مت ١٦ : ٢٧) .

ه – يقدم لنا **القديس إيريناؤس**(٢٦٨) تعليلًا للقول الإلهى : « **أحببت يعقوب وأبغضت عيسو** » ، وهو أن الله إستخدم حتى الأجناء فى بطن أمهاتهم كنبوة ، فأعلن هنا عن ظهور أمتين ، واحدة مستعبدة والأخرى حرة ، لكن للإثنين أب واحد هو ربنا الواحد ... فإن كان إسحق هو أب يعقوب كما أب عيسو هكذا الله هو أب اليهود كما الأمم .

و – يرى **القديس أغسطينوس** ان فى هذا نبوة لما يحدث فى كنيسة المسيح التى كانت كرفقة تحمل فى داخلها أبراراً وأشراراً ، إذ يقول : [صارعا فى رحم الأم ،

وحين صارعا قيل لرفقة : « فى بطنك أمتان » ، رجلان ، شعبان ، شعب صالح وآخر شرير ، يتصارعان معاً فى رحم واحد . كم من أشرار فى الكنيسة ! فإن رحماً واحداً يحملهم حتى يُعزلوا فى النهاية . الصالحون يصرخون ضد الأشرار ، والأشرار ضد الصالحين ، وكلاهما يصارع أحدهما الآخر فى أحشاء أم واحدة(٢٦٩)] .

هذا وقد سبق لنا إقتطاف بعض التعليقات الآبائية فى هذا الشأن عند دراستنا لسفر التكوين(٢٧٠) .

نختتم حديثنا عن إختيار يعقوب دون عيسو دون محاباة بقول **القديس أغسطينوس** : [بالنسبة للخطية الأصلية كان الإثنان متشابهين ، أما بالنسبة للخطية الفعلية فكانا مختلفين ..... الأكبر يُستعبد للأصغر ، يفهمها كتابنا إن اليهود يخدمون الشعب الأصغر أى المسيحيين (بتقديم النبوات والرموز لهم)(٢٧١)] .....

٣ - إختيار الأمم أيضا

إذ أعلن الرسول حبه الشديد لخلاص بنى جنسه وحزنه عليهم لأنهم رفضوا مواعيد الله الصادقة ، مؤكداً ان كلمة الله لن تسقط وإنما تتحقق الوعود فى إسرائيل الروحى الجديد ، بدأ يحدثنا عن إختيار الله للأمم كشعب له ، وانه ليس من حق الإنسان الإعتراض على تدابير الله وقضائه ، مؤكداً ان هذا الإختيار ليس بالأمر الجديد إذ سبق فأعلن الله عنه بالأنبياء .

« **فماذا نقول ؟ ألعل عند الله ظلماً ؟ ! حاشا !** » ع **١٤** .

كأن إعتراضاً قد أُثير بقوله ان الله أحب يعقوب وأبغض عيسو وهما بعد فى البطن لم يعملا خيراً أو شراً ، ألا وهو : ألعل عند الله ظلماً ؟ ! وتأتى الإجابة قاطعة لاتحتاج إلى تدليل : حاشا ! لأننا لانقدر أن ندرك كل أسرار حكم الله وتدبيراته من كل الجوانب ، فحكمنا البشرى مختلف تماماً عن حكم الله . هنا يود الرسول أن يؤكد مبدأ هاماً ان الله لايحابى أحداً ولايظلم أحداً حتى وإن بدى لنا حسب الفكر البشرى ذلك فى أمر ما .... بهذا يمهد الرسول الطريق كى لايحكموا على خطة الله

الخلاصية من جهة قبول الأمم ، لالسبب إلا إدراكنا ان الله ليس بظالم وإن بدى تصرفه غير مدرك بالنسبة لنا .

« لأنه يقول لموسى : انى أرحم من أرحم ، وأتراءف على من أتراءف» ع ١٥ .

تحقق هذا الحديث الإلهي مع موسى حين إشتاق أن يتمتع بالمجد الإلهي (خر ٣٣ : ١٩ الترجمة السبعينية) ، وقد جاء هذا القول ليعلن لموسى أنه مع كل تقدير الله له ولجهاده ولكن ماينالهـ من عطية سماوية ألا وهو التمتع برؤية المجد الإلهي فهي نعمة مجانية إلهية تُعطى له ، وليس ثمناً لجهاده ولا عن أعمال ذاتية .... لكنها أيضا لاتوهب للمتراخين أو الخاملين ؛ هي نعمة مجانية للمجاهدين بروح الإيمان الحّي .

ويرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** ان حديث الله هذا مع موسى يعنى أن موسى مع مابلغه من تقدير فى عيني الله لكنه لايقدر أن يدرك أعماق حكمة الله وأحكامه ، وكأن الله يقول له : [ياموسى ، ليس لك أن تعرف من هو مستحق لحبي نحو الانسان ، إنما أترك هذا لى . فإن كان ليس من حق موسى أن يعرف فكم يكون الأمر بالنسبة لنا ؟ !(٢٧٢)] .

هذا ويلاحظ ان الله لم يقل : « أرحم من أرحم وأهلك من أهلك » ، بل قال : « أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف » ، مظهراً سلطانه الإلهي فى الحب والرحمة والرأفة بالإنسان ، إذ لايود هلاك الخاطىء مثل أن يرجع ويتوب ، إنه بادر بحب يعقوب من جانبه أما بغضة عيسو فجاءت ثمراً طبيعياً لجحود عيسو نفسه واصراره وعناده على عدم قبول مراحم الله .... الله حب ، لكنه لايلزم الغير بقبوله .

« فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » ع ١٦ .

هل يتنافى هذا مع الوصية الرسولية : « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » فى ٢ : ١٢ وما شابهها ؟

إن كانت رحمة الله ليست لمن يشاء ولا لمن يسعى ، فلماذا يقد لنا الله وصاياه ، ويطلب منا أن نقبله بإرادتنا الحرة ومشيئتنا الإختيارية ؟ ولماذا يحثنا فى العهدين القديم والجديد على الجهاد حتى النهاية ، قائلًا : « الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص »

متى ١٠ : ٢٢ ؛ ٢٤ : ١٣ ؛ مر ١٣ : ١٣ ؟ ! وفى سفر الرؤيا يؤكد الرب : « كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة » رؤ ٢ : ١٠ ، بل ويقول لملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا : « أنا عارف أعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك وصبرك .... » رؤ ٢ : ١٩ ؟ !

لايستطيع أحد ممن يقرأ الكتاب المقدس بفهم روحى أن يتجاهل دور الإنسان الإيجابى فى تمتعه بالخلاص المجانى ، وان الله يريد إرادتنا الحرة أو مشيئتنا الإختيارية مع سعينا الجاد ، لأنه يقّدر الحرية الإنسانية كل التقدير ولا يتجاهل دورنا العملى ..... إنما ما نود تأكيده هنا **ان الكتاب المقدس لايُفهم كأجزاء منفصلة مستقلة عن بعضها البعض ، إنما يمثل وحدة واحدة متكاملة ، يعالج أموراً كثيرة ومتباينة ..... لذا يليق بالقارىء أن ينعم بروح الحكمة والتمييز حتى لايستخدم عبارة فى غير موضعها ، إنما فيما يناسبها وبروح الكتاب ككل .**
فالرسول بولس هنا لايعالج مشكلة حرية الإرادة الإنسانية أو الإختيار والجبر ، وإلا لأعلن بوضوح كما فى نفس هذه الرسالة وفى رسائله الأخرى تقدير الله للإرادة البشرية وعدم القسر والإجبار فى قبول الرحمة الإلهية أو عمل النعمة المجانى .... إنما يعالج هنا مشكلة لاتخص الأفراد كأفراد وإنما تخص قبول الأمم ، لذلك فهو لايتحدث عن إرادة الإنسان هل هى حدة أم لا ، إنما عن خطة الله نحو خلاص العالم كله .... ان الله الذى سبق فإختار إسرائيل شعباً له كخميرة لتقديس العالم بمجىء المخلص حسب الجسد منهم ، من حقه أن يرحم من يرحم ويتراءف على من يتراءف بفتح باب الرجاء لكل الشعوب ، دون أن تقف الجبلة الضعيفة لتحاكمه .

يقول **القديس جيروم** : [من جانبنا نحن نقبل حرية الإرادة هذه بسرور ، لكننا لن ننسى أن نشكر العاطى ، مدركين اننا نصير بلا قوة مالم يحفظ الله عطاياه فينا على الدوام .... المشيئة هى منا ، والسعى أيضا من جانبنا ، لكن بدون معونة الله المستمرة لاتكون لنا مشيئة ولا سعى . يقول المخلص فى الإنجيل : « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » يو ٥ : ١٧ . إنه دائم العطاء ، مانح باستمرار . لم يكتف بأن يهب النعمة مرة واحدة إنما يقدمها على الدوام . إننى أطلب لكى أنال ، وإذ أنال أعود فأطلب ثانية ، إذ أنا طامع فى غنى الله وهو لايمتنع عن العطاء ، وأنا لاأكف

عن الأخذ . كلما شربت عطشت ، إذ أسمع تسبحة المرتل : « ذوقوا وأنظروا ماأطيب الرب » مز ٣٤ : ٨ . كل صلاح نناله هو تذوق للرب[٢٧٣]] .

كما يقول أيضاً : [حيث توجد النعمة فإنها لاتوهب عن أعمال بل هى عطية مجانية من العاطى ..... ومع ذلك فلنا أن نشاء أو لانشاء ، إنما الحرية عينها التى لنا هى مقدمة لنا برحمة الله [٢٧٤]] .

هذا من جانب ومن جانب آخر فقد أراد الرسول أن يربكهم بذات فكرهم ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** إنهم كانوا يقبلون رحمة الله لهم وسقوط فرعون تحت قسوته دون إعتراض من جانبهم ، فلماذا يعترضون عندما يفتح باب رحمته لغيرهم ؟ ! هذا مادفع الرسول أن يكمل هكذا : « **لأنه يقول الكتاب لفرعون إنى لهذا بعينه أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ولكى ينادى بإسمى فى كل الأرض ، فإذاً هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء . فستقول لى : لماذا يلوم بعد ؟ لأن من يقاوم مشيئته ؟ ! بل من أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله ؟ ! ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا ؟ ! أم ليس للخراف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان ؟ ! فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته إحتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك ؟ ! ولكى يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فاعدها للمجد التى أيضاً دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً » ع ١٧ – ٢٤ .**

ويلاحظ فى هذا النص الآتى :

أولا : غاية هذا الحديث ليس تجاهل حرية الإنسان ، الأمر الذى ليس موضع حديث الرسول هنا إنما تأكيد دور الله فى خلاصنا ؛ إنه يعمل فينا لا عن إستحقاق من جانبنا وإنما عن حبه وفيض رحمته كنعمة مجانية .

+ بهذا يتكشف بجلاء أن نعمة الله ورحمته تعملان دوماً لأجل خيرنا ، فإذا تركتنا نعمة الله لاتنفع كل الجهود العاملة شيئاً ؛ مهما جاهد الإنسان بكل نشاط لايقدر أن يصل إلى حالته الأولى بغير معونة الله .

الأب دانيال[٢٧٥]

+ فى كل فضيلة إذ نشعر بتقدم فيها ننطق بكلمات الرسول : « لا أنا بل نعمة الله التى معى ، بنعمة الله أنا ما أنا » ١ كو ١٥ : ١٠ ، « الله هو العامل فينا (فيكم) أن تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرته » فى ٢ : ١٣ . إذ يقول مقدم خلاصنا نفسه : « الذى يثبت فىّ وأنا فيه هذا يأتى بثمر كبير ، لأنكم بدونى لاتقدرون أن تفعلوا شيئاً » يو ١٥ : ٥ . كما قيل : « إن لم يبن الرب البيت فباطلًا يتعب البناؤون ، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلًا يتعب الحراس » مز ١٢٦ : ١ ، ٢ .

القديس يوحنا كاسيان(٢٧٦)

+ لنتحقق ماذا يعنى هذا ؟ إن الأمر ليس بخصوص من يشاء أو من يسعى وإنما بخصوص الله الذى يرحم . فإن كنا لانشاء ولا نسعى فالله لايأتى ليعيننا . فمن جانبنا يلزمنا أن نشاء وأن نسعى فيتراءف علينا ، لكن إن نام المصارع يفقد النصرة .

القديس جيروم(٢٧٧)

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن هذا الحديث الرسولى كان خطوة تمهيدية للسامع لكى يلين روحه المتعجرفة التى تنتقد خطة الله نحو خلاص الأمم ، فقبل أن يكشف سرّ خطة الله أراد أن يؤكد للسامع انه ليس من حقه أن يقف هكذا موقف الناقد أو الديان لله ، وكأن الرسول يقول : [عملنا هو أن نخضع لما يفعله الله لا أن نكون متطفلين محبين للإستطلاع حتى وإن كنا لانعرف حكمة تصرفاته . لذلك قال : « من أنت الذى تجاوب (ضد) الله ؟ ! » .... من أنت ؟ هل أنت شريكه فى سلطانه (أى ٣٨) ؟ بلى ! هل تجلس لتدين الله ؟ ! ... إنه يقل « من أنت الذى تجاوب الله ؟ ! بل « تجاوب ضد الله » . أنظر كيف يرعبهم ويخيفهم فيجعلهم فى رعدة عوض تساؤلهم وتطفلهم . هذا مايفعله المعلم الممتاز الذى لايجرى وراء تخيلات تلاميذه الباطلة أيا كانت إنما يقودهم إلى فكرة بانتزاع الأشواك عنهم وغرس البذار ، فلا يجيب فى كل الحالات على الأسئلة التى تقدم له(٢٧٨)] .

الإنسان غير المؤمن يقف من الله موقف الناقد لكل تصرف إلهى ، إما الإنسان التقى فيقول مع إرميا النبى : « أبّر أنت يارب من أن أخاصمك ، لكن أكلمك من

جهة أحكامك : لماذا تنجح طريق الأشرار ؟ ! » إر ١٢ : ١ .

الله يفرح ويسّر بأولاده مشتاقاً أن يدخلوا معه فى حوار ، لكنه على أساس إيمانى تقوى ، حديث الإبن الذى يتكىء على صدر أبيه لينهل منه أسرار أحكامه ويتمتع بحكمته العلوية حتى وإن عاتبه أو خالفه أو حاججه . أما إن أخذ موقف الناقد العنيد ، كما فعل بعض الفعلة مع صاحب الكرمة حين أظهر الأخير كرمه ومحبته (مت ٢٠ : ١ - ١٦) ، إذ قال للمتذمرين : « ياصاحب ماظلمتك .... فخذ الذى لك واذهب ، فإنى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك ، أو مايحل لى أن أفعل ماأريد بمالى ؟ ! » ... هذا التوبيخ يوجهه الرب نفسه لليهود الذين يرفضون رحمة الله على الأمم متذمرين على إحساناته بإخوتهم فى البشرية .

ثانياً : يليق بالإنسان عوض أن يقف كناقد لتصرفات الله الفائقة يطلب أن يملأه حكمة ومعرفة ليكتشف أموراً عجيبة ؛ ففى العهد القديم الذى يؤمن به اليهود ويفتخرون به جاء قول الله لفرعون : « **إنى لهذا أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ، ولكى ينادى بإسمى فى كل الأرض** » ع **١٧** (خر ٩ : ١٦ الترجمة السبعينية) ، فالله الذى رحم موسى سمح فأقام فرعون ملكاً وأبقاه حياً لكى يستخدم قساوة قلبه لإعلان مجد الله ، وبسبب عنفه مع شعب الله يُنادى بإسم الرب فى كل الأرض ، إذ جاء فى تسبحة موسى : « يسمع الشعب فيرتعدون ، تأخذ الرعدة سكان فلسطين ، حينئذ يندهش أمراء أدوم ، أقوياء موآب تأخذهم الرجفة ، يذوب سكان كنعان » خر ١٥ : ١٤ ، ١٥ . إختار الله موسى دون فرعون ، وكما قال الرسول : « **فإذاً هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء** » ع **١٨** .... ليس لنا أن نتساءل : لماذا رحم موسى وقسى قبل فرعون ؟ لأن حكمة الله تفوق حكمتنا ، إنما ما يمكننا أن نعرفه إن الله يعلم قلب موسى وإشتياقه فسنده بنعمته ليتمجد فيه خلال الرحمة ، أما بالنسبة لفرعون كان قلبه قاسياً (خر ٨ : ١٥ ، ٣٢ ؛ ٩ : ٣٤ ؛ ١٠ : ٦) ، وإنما مافعله الله انه لم ينزع هذه القساوة عنه قسراً ، إنما رفع يده عنه فبقى فرعون فى قساوة قلبه ، أو بمعنى آخر سمح له أن يمارس عنفه ضد شعب الله ليتمجد الله حتى فى هذا العنف الشرير .... الله الذى سند موسى بالرحمة لم يمنع فرعون عما يكنه قلبه الشرير ، فيكمل موسى كأس مجده ، ويكمل فرعون كأس شره ، والله يتمجد بهذا وذاك .

ثالثاً : إقتبس الرسول بولس من العهد القديم أيضاً الذى يقدسه اليهود مثال الفخارى (إر ١٨ : ١ – ١٠) ليؤكد به أن الإنسان فى علاقته بالله كالطين فى يد الخزاف وكالجبلة فى يدّى جابلها ، ليس له أن يعترض على تصرفات الله وحكمته ، فمن حق الخزاف أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان ، وهو يتمجد فى الإنائين .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذا المثال قائلًا :

[لم يقل هذا لينزع حرية الإرادة وإنما ليظهر إلى أى مدى يجب أن نطيع الله . فانه إذ يُدعى الله خزافاً نكون نحن بالنسبة له كقليل طين مهيأ قدامه ، فيليق بنا أن نكف لا عن المجادلة والتساؤلات فحسب وإنما حتى عن النطق أو التفكير بالكلية .... هذه هى النقطة الوحيدة التى يطبقها الرسول فى التشبيه ، إذ لايقصد به إعلان نظام الحياة (إذ يفسره الهراطقة أن الله يخلق طبيعتين صالحة وشريرة) إنما يقصد فقط الطاعة التامة والالتزام بالصمت .....

هذا مايجب مراعاته فى كل الأحوال عند إستخدام التشبيهات ، فلا نطبقها فى كل النواحى ، إنما نختار ماهو مناسب فيها ، والذى لأجله قُدم التشبيه ، ونترك الباقى .....

عندما يقول : « **أم ليس للخراف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان ؟ !** » ع **٢١** ، لاتظن أن الرسول قال هذا بخصوص الخليقة انها مجبرة بلا حرية إرادة ، إنما لمجرد إظهار السلطان وتدابير الله المتنوعة ..... فإن فسرناه بغير هذا ندخل فى أخطاء متنوعة ، فلو أنه كان يتحدث هنا عن الإرادة ، وأنه هو خالق الإرادة الصالحة والإرادة الشريرة لأعفى الانسان من المسئولية ، ويظهر بولس نفسه متناقضاً مع نفسه ، إذاً يقّدم على الدوام تقديراً عظيماً لحرية الإرادة(٢٧٩)] .

بمعنى آخر يؤكد **القديس الذهبى الفم** ان الرسول يود أن يقدم جانباً واحداً من المثل وهو ان الله يعمل بنا ولانقدر نحن الا أن نطيع .... لكنه لاينزع عنا حرية إرادتنا ، فإن أردنا الحياة معه يقوم هو بتغييرنا لمجد إسمه ، بطريقة تفوق إدراكنا .

هذا ويمكننا ان نقول إنه كخزافى هو قادر أن يشكّلنا ، لكن لايقف الأمر عند القدرة مجردة ، إنما وهو القدير فهو الأب والحكمة عينها ، يعمل بحكمته وخلال أبوته مشتاقاً أن يشكّل كل الطين إلى أوانٍ للكرامة ، لكنه يكرم حرية إرادتنا وإذ نرفض عمله نبقى بلا كرامة ونفقد عمل يديه المقدستين للنفس والروح والجسد .

إنه خزاف يتبنى آنيته ويحبها ويشتهى خلاص الكل ، كما قيل : « الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » ١ تى ٢ : ٤ ؛ « الله يُسّر بالرأفة » مى ٨ : ١٨ ؛ « من يقبل إلىّ لاأخرجه خارجا » يو ٦ : ٣٧ ؛ « لا يسر بموت الشرير بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا » حز ٣٣ : ١١ .

رابعاً : إن كان الله يتمجد فى آنية الكرامة بإعلان عمل نعمته المجانية فى حياة مؤمنيه المجاهدين ، مشتاقاً أن يكون جميع البشر آنية كرامة ، لكن إذ أصر البعض إلا أن يصيروا آنية للهوان ، فحتى فى هذا يتمجد الله ، إذ يبرز غضبه وسخطه على الخطية ، فيدين الخطاة بكونه القدوس الذى لايقبل أن يشاركه الأشرار مجده المقدس (ع ٢٢) ، ومن جانب آخر يتمجد بطول أناته على الإنسان (ع ٢٢) ، فإن الله يحتمل الأشرار زماناً ولا يعاقبهم فوراً بالرغم من تجديفاتهم ومقاومتهم لعمل الله ..... هذا ماقصده بقوله : « **فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوة إحتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك** » ع ٢٢ .

يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على ذلك بقوله :

[مايعنيه هو هذا : كان فرعون آنية غضب ، أى كان إنساناً قد ألهب غضب الله بقساوة قلبه . فبعدما تمتع بطول أناة كثيرة (من جهة الله نحوه) بقى بدون إصلاح ، لهذا لم يدعه الرسول : « آنية غضب » فحسب وإنما أيضا : « مهيأة للهلاك » . بمعنى أنه هيأ نفسه بنفسه للهلاك التام . الله لم يتركه محتاجاً إلى الأمور التى تشفيه كما لم ينزع عنه الأمور التى تهلكه ، لذا فهو بلا عذر .

إذ يعرف الله ذلك إحتمله بأناة كثيرة ليرده للتوبة . فإنه لو لم يود توبته لما إحتمله بأناة كثيرة ، أما كونه لم ينتفع بالأناة الكثيرة للتوبة بل هيأ نفسه بالأكثر للهلاك ، استخدمه الله وسيلة لإصلاح الغير بمعاقبته فيصلحون هم من حالهم ؛

بهذا بيّن الله قوته . لكن ليست رغبة الله هى إظهار قوته ، إنما يود أن يظهر حنوه بكل طرق ممكنة .إن كان بولس لايود أن يظهر قوته بهذه الطريقة ، إذ يقول : « ليس لكى نظهر نحن مزكين بل لكى تصنعوا أنتم حسناً » ٢ كو ١٣ : ٧ فكم بالأكثر يكون الله نفسه ؟ ! لكن إذ يطيل الله أناته كثيراً ليقوده إلى التوبة ولم يتب الانسان يحتمله الله زماناً طويلًا لكى يظهر أولًا صلاحه وقوته حتى وإن كان الانسان لم يضع فى ذهنه أن ينتفع شيئاً من طول أناة الله العظيمة . عندئذ يظهر الله قوته بعقاب هذا الإنسان الذى لايقبل الشفاء ، وذلك كما يبيّن حبه للإنسان خلال رحمته نحو الذين إرتكبوا خطايا كثيرة وتابوا . لايقال : « يبيّن حبه » بل « مجده » ع ٢٣ ، ليظهر ان هذا الحب هو مجد الله على وجه الخصوص ، الأمر الذى يغير الله أكثر من كل شىء .

بقوله « **قد سبق فأعدها للمجد** » ع **٢٣** لايعنى أن كل شىء هو عمل الله وحده لأنه لو كان الأمر كذلك لما وجُد مايمنع من خلاص كل البشر .... فإن كان فرعون قد صار آنية غضب بسبب إنحطاطه هو ، فإن هؤلاء (اليهود) قد صاروا آنية رحمة باستعدادهم للطاعة . وإن كان الجانب الأعظم للعمل هو من قبل الله ، لكنهم هم ساهموا بالقليل ، ومع ذلك لم يقل انها : « آنية العمل الصالح » .... بل « آنية رحمة » ليظهر أن الله هو الكل[٢٨٠]] .

خامساً : إذ أبرز الرسول انه ليس من حقهم نقد خطة الله بسبب عجزهم عن إدراك حكمته الإلهية كما ينبغى ، مظهراً حق الله فى إختيار الأمم كما سبق فإختار اليهود ، لايغلق الباب عن كل يهودى إنما عن الشعب اليهودى ككل ، كما لايعنى إنفتاح الباب للأمم خلاص كل أممى .... إذ يقول : « **التى أيضا دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا** » ع **٢٤** .

هكذا توصل الرسول لا إلى دعوة الأمم دون هياج اليهود عليه فحسب ، وإنما إلى فتح باب محبة الله لكل إنسان يهودياً كان أممياً ، حتى وإن جحد اليهود كأمة السيد المسيح .

٤ – تعثر إسرائيل

إذ سبق فقدم الرسول ردوداً على إنتقاد اليهود لفتح باب الدعوة للأمم دون أن

يجرح مشاعر اليهود ختم حديثه بتقديم الدلائل من الأنبياء أنفسهم ، فإختار بعض العبارات التى تعلن تعثر اليهود فى الإيمان وقبول الأمم له ؛ وهنا يتحدث بلا تحرج لأنه يقتبس عبارات نبوية يؤمنون بها ، إذ يقول :

كما يقول فى هوشع : أيضاً سأدعو الذى ليس شعبى شعبى ، والتى ليست محبوبة محبوبة ، ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه لستم شعبى أنه هناك يدُعون أبناء الله الحىّ » ع ٢٥ ، ٢٦ .

إقتبس الرسول هذه العبارات عن هو ٢ : ٢٣ ؛ ١ : ١٠ (الترجمة السبعينية) ، مقدماً النبى هوشع شاهداً لأقواله ان الأمم الذين كانوا ليسوا شعب الله ولا محبوبين لديه خارج المقدسات صاروا شعب الله والمحبوبين لديه وأبناءه !

كأن مايتم فى العصر الرسولى ليس بالأمر الغريب ، إذ سبق فاعلنه الله لأنبيائه ليمهدوا لتحقيق خطته الإلهية من جهة خلاص الأمم والشعوب .

يقول **القديس إيريناؤس** : [دعى النبى أسماء أولاده : لورحامة « ليس لهم رحمة » ، ولوعمى « ليس شعبى » (هوشع ١) .... حتى أنه كما يقول الرسول : « سأدعو الذى ليس شعبى شعبى ، والتى ليست محبوبة (بلا رحمة) محبوبة ، ويكون فى الموضع الذى قيل فيه لستم شعبى أنه هناك يدُعون أبناء الله الحّى » . فما حدث كرمز خلال أعمال النبى يؤكد الرسول أنه يتم حقاً بالمسيح فى الكنيسة . هكذا أيضا إتخذ موسى أثيوبية زوجة له .... مظهراً أن الزيتونة البرية قد طُعمت فى الزيتونة الأصلية وتشترك معها فى ثمارها . فبزواجه من الأثيوبية أعلن عن ظهور الكنيسة من بين الأمم ، والذين يستخفون بها ويتهمونها ويستهزأون بها يمتلئون برصاً ، ولايكونوا أطهاراً ، ويستعبدون من خيمة البر (عد ١٢) . هكذا أيضاً بالنسبة لراحاب الزانية ، التى تدين نفسها بكونها من الأمم مملوءة من كل الشرور ، لكنها تقبلت الجواسيس الذين كانوا يتجسسون الأرض وخبأتهم فى بيتها ، وعندما تحطمت كل المدينة التى كانت تعيش فيها عند سماع الأبواق السبعة حُفظت راحاب الزانية مع كل بيتها بالإيمان بعلامة القرمز (يش ٦ : ٢٢) ، وكما أعلن الرب للفريسين عن الذين يقبلون مجيئه ، إذ قال : « العشارون والخطاة يسبقونكم إلى ملكوت السموات » مت ٢١ : ٣١[٢٨١]] .

لم يكتِف الرسول بهذا بل قدم إشعياء النبى الذى جاء فى نبوته متناغماً معه ، إذ يقول :

« وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بنى إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص ، لأنه متمم أمر وقاضٍ بالبر ، لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به على الأرض » ع ٢٧ ، ٢٨ .

جاء هذا القول فى إشعياء ١٠ : ٢٢ ، ٢٣ (الترجمة السبعينية) وكان يحمل نبوة عن المسبيين إذ كانوا كثيرين جداً بالنسبة للقلة القليلة التى تنجو من الأسر ... وان الله سمح بذلك بل وقضى بهذا التأديب لأجل البّر . طبق الرسول هذه النبوة بصورة أشمل على العصر المسيانى حيث يؤسر عدد كبير جداً من اليهود تحت الجحود رافضين الإيمان المسيانى حيث يؤسر عدد كبير جداً من اليهود تحت الجحود رافضين الإيمان بالمسيا ، وقليلون هم الذين يخلصون بقبولهم المسّيا المخلص ، وقد سمح الله بذلك لأجل البرّ ، ليفتح الباب للأمم .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذا القول الرسولى ، هكذا :

[إنه يعنى : أنا لاأهتم بالجمع (بالعدد الضخم) ، ولا أتأثر بالجنس (اليهود) وإنما أخلص من يتقدمون كمستحقين للخلاص . انه لم يذكر « كرمل البحر » بلا سبب . إنما يذكرهم بالوعد القديم (تك ٢٢ : ١٧ ؛ ٣٢ : ١٢) الذى جعلوا أنفسهم غير أهل له . لماذا ترتبكون إذن إن كان الوعد لايتحقق (للكل) إذ أظهر كل الأنبياء انه ليس الجميع يخلصون ؟ عندئذ يظهر الرسول أيضا طريق الخلاص .... **« لأنه متمم أمر وقاض (بسرعة) بالبر ، لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به (سريعاً) على الأرض » ع ٢٨** .... هذا الأمر هو الإيمان الذى يحمل خلاصاً فى كلمات قليلة : « لأنك إن إعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت » رو ١٠ : ٩ . ها أنتم ترون أن الرب متمم كلمة قليلة على الأرض ، والعجيب ان هذه الكلمة القليلة لاتحمل خلاصاً فحسب بل وبراً[٢٨٢]] .

بمعنى آخر إن كان إسرائيل قد صار له باعاً طويلًا فى أعمال الناموس الحرفية وشكليات العبادة لكن الرب فى ملء الزمان صنع أمراً مقضياً به أو أمراً عاجلًا مركزاً

حول الإيمان بالمخلص الذى ينقذ المؤمنين به وإن كانوا قلة من اليهود . هذه القلة تنبأ عنها إشعياء أيضا (إش ١ : ٩) : « **لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلا لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة** » ع **٢٩** .

كأن ماحدث فى العصر الرسولى سبق فحدث فى عصر إشعياء إذ قليلون هم الذين عاشوا فى الإيمان فخلصوا من الهلاك ، بدونهم تعرض إسرائيل كله للإبادة بالنار كما حدث لسدوم وعمورة (تك ١٩) .

أخيراً يخرج الرسول بهذه النتيجة :

« **فماذا نقول ؟ ان الأمم الذين لم يسعوا فى إثر البّر ، أدركوا البّر ، البرّ الذى بالإيمان ، ولكن إسرائيل وهو يسعى فى إثر ناموس البر لم يدرك ناموس البّر . لماذا ؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس ، فإنهم اصطموا بحجر الصدمة ، كما هو مكتوب : ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لايخزى** » ع **٣٠ - ٣٣** .

هذه هى النتيجة النهائية ان الأمم الذين لم ينالوا المواعيد ولا إستلموا الشريعة ولم تكن لهم معرفة إلهية قبل الكرازة بالإنجيل لم يسعوا فى إثر البّر ، ولكن إذ جائتهم الكرازة أدركوا البر الذى حسب الإيمان بالمسيح يسوع ، أما إسرائيل الذى له ميزات كثيرة فإذ سعى فى إثر ناموس البّر لكن خلال حرفيات أعمال الناموس دون روحها ، فقدوا الإيمان ، واصطدموا بالسيد المسيح « حجر الصدمة » ، وتحقق فيهم القول النبوى : « ويكون مقدساً وحجر الصدمة وصخرة عثرة لبيتى إسرائيل وفخاً وشركاً لسكان أورشليم » إش ٨ : ١٤ ... كما تحقق فى الأمم القابلين للإيمان : « هاأنذا أوسس فى صهيون حجراً ، حجر إمتحان حجر زاوية كريماً ، أساساً مؤسساً ، من من آمن لايهرب » إش ٢٨ : ١٦ .

+ + +



إذ يعالج الرسول بولس مشكلة « إختيار شعب الله » التى أساء اليهود إستخدامها ، فعوض شعورهم بحب الله الفائق لهم والتزامهم بمسئولية الكرازة بين الأمم تحجرت قلوبهم بالجحود ، وتعثروا فى السيد المسيح « حجر الزاوية » ، الذى صار لهم حجر صدمة وصخرة عثرة (٩ : ٢٢ ، ٢٣) ، بينما قبله المؤمنون حجراً كريماً مختاراً (مز ١١٨ : ٢٢ ؛ ١ بط ٢ : ٦ ، ٧) ، الآن يكتب لنا عن « سرّ جحودهم حتى لانسقط نحن أيضا فيما سقطوا فيه بطريق أو آخر .

١ – غيرة اليهود بلا معرفة . ١ – ٥ .

ا – جهلهم برّ الله .

ب – جهلهم غاية الناموس .

٢ – رفضهم بساطة الإيمان . ٦ – ١١ .

٣ – رفضهم حب الله الشامل ١٢ – ١٣ .

٤ – رفضهم الألتزام بالكرازة . ١٤ – ١٨ .

٥ – شهادة الأنبياء عن جحودهم . ١٩ – ٢١ .

+ + +

١ - غيرة اليهود بلا معرفة

إذ يعالج الرسول موضوعاً شائكاً للغاية ، يمكن خلاله أن يُتهم بالخيانة لأمته ، يعلن من حين إلى حين مدى حبه لإخوته حسب الجسد ، وعن عدم تجاهله لما نالوه من امتياز دون سائر الأمم فى عصرى الآباء والأنبياء ، وأيضا عن غيرتهم الدينية وإن كانت بلا إدراك روحى حقيقى ، إذ يقول :

« أيها الإخوة إن مسرة قلبى وطلبتى إلى الله لأجل إسرائيل هى للخلاص ، لأنى أشهد أن لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة » ع ١ ، ٢ .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة الرسولية موضحاً ان الرسول وهو يستعد لتوبيخهم بأكثر صرامة يود أن يقول لهم : لاتلتفتوا إلى الألفاظ ولا إلى الأتهامات كأنى أتهمكم بروح عدائى ، فإن « خلاصكم » هو موضوع سرور قلبى وصلاتى لله .

ياله من روح إنجيلى ملتهب بالحب ، فمقاومة اليهود المستمرة له لم تجرح مشاعر محبته ، إذ لايجد مايسر قلبه مثل خلاص الآخرين حتى المقاومين له ..... إنهم فى قلبه يشتهى خلاصهم ، ولايكف عن الطلبة من أجلهم . هذه الأبوة الحانية نجدها فى خدام الله الحقيقين ، الذين من الأعماق يصرخون مع صموئيل النبى : « وأما أنا فحاشا لى أن أخطىء إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل ، أعلمكم الطريق الصالح المستقيم » ١ صم ١٢ : ٢٣ .

علامة الحب الصراحة والوضوح ، إذ يشهد لغيرتهم لله ، لكنها « غيرة ليست حسب المعرفة ، سقط فيها هو من قبل ، إذ كان فى غيرته « ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب » أع ٩ : ١ . يقول **القديس أغسطينوس** : [كانوا يظنون إنهم يقدمون خدمة لله بذبحهم خدامه ! ياله من خطأ مريع ، عندما تود أن تسر الله بضربك محبوبيه حتى الأرض ، وهدم مذبح الله الحىّ لتأتى به أرضاً كى لايُهجر الهيكل الحجرى ! ياله من عمى لعين ! هذا هو ماحدث مع إسرائيل من أجل ملء الأمم ، أقول إنه حدث جزئياً وليس للكل ، فلم تقطع كل الأغصان وإنما بعضها لكى تتطعم أغصان الزيتونه البرية (رو ١١ : ٢٥ ، ١٧)[٢٨٣]] .

ماسقط فيه اليهود يمكن أن يسقط فيه بعض المسيحيين ، إذ تكون « لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة » ، كأن يسلك الانسان بفكر تعصبى دون إدراك روحى للإيمان المستقيم أو اتساع قلب لمحبة الغير ؛ أو كأن يجاهد فى طريق الفضيلة غير متكيء على صدر الله بل على ذراعه البشرى وقدراته الخاصة ومعرفته الزمنية .

سّر جحود اليهود جهلهم أمرين ؛ أولا : بّر الله ، ثانياً : غاية الناموس . يقوم الأول على جهلهم عمل الله فى حياة المؤمن فطلبوا بّر أنفسهم لابّر الله فصار ذلك عائقاً عن خلاصهم ، والثانى جهلهم غاية وأحكامه من جهة الناموس فتمسكوا بالحرف القاتل دون الروح الذى يحيى .

أولا : جهلهم بّر الله

« لأنهم إن كانوا يجهلون بّر الله ، ويطلبون أن يثبتوا بّر أنفسهم لم يخضعوا لبّر الله » ع ٣ .

يحاول أن يعطيهم عذراً : « جهلهم بّر الله » ، لكنه يحّول العذر إلى إتهام ضدهم يقوم على كبريائهم وإعتداءهم بالذات : « بّر أنفسهم » . جهلهم لايقوم على ظروف خارجية قهرية وإنما على فساد داخلى يّدب فى النفس .

حينما تضخم « الأنا ego » تملأ القلب فلا تطيق آخر فى داخله ، حتى إذ تدّينت تعمل لحساب ذاتها المغلقة فتطلب تثبيت « بّر نفسها » عوض أتساعها بالحب لتقبل نعمة الله واهبة البّر بالإيمان .

يحدثنا إشعياء النبى عن هذا البّر الذاتى ، قائلا : « قد صرنا كلنا كنجس ، وكثوب عّدة كل أعمال برنا ، وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا » إش ٦٤ : ٦ .

+ يقول الرسول بولس إن المسيح بالنسبة لنا بّر (١ كو ١ : ٣٠) ؛ وبالتالى من يجوع إلى هذا الخبز إنما يجوع إلى البّر النازل من السماء ، الذى يهبه الله ، وليس الذى يصنعه الإنسان لنفسه . فلو أن الإنسان لايصنع لنفسه براً لما قال الرسول نفسه لليهود : « إذ كانوا يجهلون بّر الله ويطلبون أن يثبتوا بّر أنفسهم لم يخضعوا لبّر الله » ع ٣ ..... بّر الله لايعنى أن الله بار ، وإنما يعنى البّر الذى

يهبه الله للانسان فيجعله باراً بالله . مرة أخرى ، ماهو برّ هؤلاء اليهود ؟ البّر الذى هو من عمل قوتهم والذى إفترضوه ، فحسبوا أنفسهم كما لو كانوا مكملين للناموس بفضائلهم الذاتية .

القديس أغسطينوس(٢٨٤)

+ الله وحده هو البار والذى يبرر ، يهب الانسان البرّ .

إنهم يطلبون أن يثبتوا بّر أنفسهم ، بمعنى انهم يظنون بأن الصلاح هو من عندياتهم لا عطية إلهية . بهذا « لم يخضعوا لبّر الله » ، لأنهم متكبرون ويحسبون انهم قادرون على إرضاء الله بذواتهم لا بما لله .

القديس أغسطينوس(٢٨٥)

+ قال هذا عن اليهود الذين فى إعتداءهم بذواتهم إحتقروا النعمة ولم يؤمنوا بالمسيح إنه يقول بأنهم أرادوا أن يقيموا برّهم ، هذا البّر الذى من الناموس ، لأنهم ينفذون الناموس بل يقيمون برهّم فى الناموس عندما يحسبون فى أنفسهم انهم قادرون على تنفيذ الناموس بقوتهم ، جاهلين بّر الله ، لا البّر الذى لله بل البّر الذى يمنحه الله للإنسان .

القديس أغسطينوس(٢٨٦)

ثانياً : جهلهم غاية الناموس

إن كانت « الأنا » قد حجبت عنهم الألتقاء مع الله بعمله فيهم ، فصار برهم الذاتى المزعزم عائقاً عن تمتعهم ببّر الله ، فإن تمسكهم بحرفية الناموس وشكلياته أفقدهم المتعة بغاية الناموس الحقيقة ، ألا وهو الالتقاء بالمخلص . يقول الرسول : « **لأن غاية الناموس هى المسيح للبّر لكل من يؤمن ، لأن موسى يكتب فى البرّ الذى بالناموس ان الانسان الذى يفعلها سيحيا بها** » ع ٤ ، ٥ .

إقتبس الرسول بولس من موسى العبارة : « تحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها إنسان يحيا بها » لا ١٨ : ٥ . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم**(٢٨٧) إن الانسان لايمكن أن يحيا ولا أن يتبرر مالم يتمم كل الفرائض وأحكام الناموس ، الأمر الذى يعتبر مستحيلا ، لهذا فإن أراد اليهود أن يتبرروا بالناموس عينه يعلن عن العجز

التام لكل انسان أن يحقق البّر والحياة ..... وهو بهذا يدفعنا إلى الإيمان بربنا يسوع المسيح الذى وحده غير كاسر للناموس بل وقادر على تبرير مؤمنيه . بهذا لم يترك الرسول بولس لليهود عذرا يلتمسونه ، فإن الناموس نفسه يعلن عن المسيح بكونه وحده يتركز فيه البّر ؛ من ينعم بالبرّ الذى قصده الناموس ، ومن يرفضه إنما يرفض البرّ حتى وإن ظن فى نفسه أنه بالناموس يتبرر .

+ المسيح هو غاية الناموس للبرّ ، الذى أنبأنا عنه بالناموس لكل من يؤمن .

القديس أكليمنضس الاسكندرى(٢٨٨)

٢ – رفضهم بساطة الايمان

ربما يتساءل البعض : إن كان اليهود قد عجزوا عن تحقيق البّر بالناموس بتنفيذ وصاياه فماذا يكون حالنا أمام الوصايا الإنجيلية وهى أصعب من وصايا الناموس ؟ لذلك أسرع الرسول ليوضح الأمكانيات الجديدة التى صارت لنا خلال السيد المسيح والتى يمكن تركيزها فى نقطتين جوهريتين :

ا – ان الإيمان بالمسيح بسيط وقريب منا للغاية (ع ٦ – ٨) .

ب – ان الأب أقام المسيح ليهبنا قوة القيامة عاملة فينا (ع ٩ – ١١) .

بهذا لم يحطم الرسول الأعذار اليهودية فحسب وإنما فتح لنا باب الايمان لنعيشه بكونه سهل المنال ، خلال الحياة المقامة لنا فى المسيح ربنا .

أولا : رفضهم الإيمان البسيط القريب

« وأما البّر الذى بالإيمان فيقول هكذا : لاتقل فى قلبك من يصعد إلى السماء أى ليحدر المسيح ، أو من يهبط إلى الهاوية إى ليصعد المسيح من الأموات ، ولكن ماذا يقول ؟ الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك ، أى كلمة الإيمان التى نكرز بها » ع ٦ – ٨ .

اقتبس الرسول عبارات لموسى النبى بعد أن أعطاها مسحة إنجيلية ، إذ جاء فى سفر التثنية : « إن هذه الوصية أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ، ولا بعيدة

منك ، ليست هى فى السماء حتى تقول من يصعد لاجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعمل بها ؟ ! ولاهى فى عبر البحر حتى نقول : من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعمل بها ؟ ! بل الكلمة قريبة منك جداً فى فمك وفى قلبك لتعمل بها » تث ٣٠ : ١١ - ١٤ .

كان موسى يحدث شعبه عن الشريعة أو الوصية الإلهية أو الكلمة الإلهية ، كيف صارت بين أيديهم ليست ببعيدة عنهم ، ليست بالشريعة المرتفعة فى السماء يصعب بلوغها والتعرف عليها ولا هى فى الأعماق ليس من ينزل إليها ليجلبها ، إنما صارت فى وسطهم تبكتهم وتحثهم على الرجوع إلى الله . إن كان هذا ينطبق على كلمة الله المعلنة خلال الحروف والمسلمة بين يدّى موسى النبى لتوضع فى الهيكل وسط الشعب ، فبالحرى تنطبق على كلمة الله المتجسد ، الذى صار إنساناً وحّل بيننا كواحدٍ منا ..... فلم يعد غريباً عنا ولابعيد عن حياتنا ، بل هو قريب إلينا ..... يسكن فينا ويحّل بروحه فى داخلنا ، لنحيا به فى كلماتنا وتصرفاتنا وكل مشاعرنا وأحاسيسنا .

فى القديم كان اليهود يعتزون بأنهم شعب الله الذى تسلم الشريعة الإلهية بواسطة موسى بيد ملائكة (عب ٢ : ٢) ، أما الآن فقد جاءنا الكلمة نفسه متجسداً ، يهبنا ذاته ويجعلنا فيه أبناء الآب فى مياه المعمودية بالروح القدس . يقول **القديس أغسطينوس** : [أرسل الناموس بواسطة خادم ، أما النعمة فجاء بنفسه من أجلها[(٢٨٩)]] .

ان كان برّ الناموس صعباً بل ومستحيلا ، فقد جاء السيد المسيح لاليقدم وصايا سهلة ولا ليتهاون مع مؤمنيه وإنما قدم ذاته قريباً من مؤمنيه ، بل ساكناً فيهم ، لاليتمموا أعمال الناموس إنما به يزيد برّهم عن الكتبة والفريسيين ، كقوله : « إن لم يزد برّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » مت ٥ : ٢٠ .

حدثنا **القديس أغسطينوس** عن طريق لقائه مع الله قائلا بانه فى غباوة كان يبحث عن الله فى الطبيعة وكتب الفلاسفة ، خرج خارجا عن نفسه يطلب بينما كان الله فى داخله عميقاً أعمق من نفسه وعالياً أعلى من علوه ..... إذن لنطلبه فى داخلنا فنجده يملك على القلب ، ويقيم عرسه فيه !

ثانياً : التمتع بقيامة المسيح فينا

« لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك ان الله أقامه من الأموات خلصت ، لأن القلب يؤمن به للبّر والفم يعترف به للخلاص ، لأن الكتاب يقول : كل من يؤمن به لايخزى » ع ٩ - ١١ .

إن كان الإيمان ليس بالأمر الصعب ، لكنه كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم**(٢٩٠) يطلب نفساً متيقظة ساهرة تقبل المسيح الذى قام من الأموات . فكما سبق فقال الرسول ان إبراهيم « على خلاف الرجاء آمن على الرجاء » رو ٤ : ١٨ ، هكذا المسيحى يقبل على خلاف الرجاء الطبيعى الحياة المقامة فى المسيح .... هذا هو مركز إيماننا !

يلاحظ فى هذه العبارة الرسولية الآتى :

١ - إشتراك الفم مع القلب فى الإيمان : « **إن إعترفت بالرب يسوع وآمنت بقلبك ... خلصت** » ع ٩ . فإن كان القلب هنا يشير إلى الانسان الداخلى فان الفم يشير إلى الحياة الظاهرة ؛ إيماننا فى جوهره لقاء النفس الداخلية مع عريسها لكن دون تجاهل للجسد بكل أعضائه ! بمعنى آخر إيماننا يمس أعماقنا الداخلية وتصرفاتنا الظاهرة . بدون القلب يصير إعترافنا الظاهرى لغواً وتعصباً وشكليات ، وبدون الحياة العاملة والاعتراف الظاهر لاننعم بهذه المكافأة : « كل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبى الذى فى السموات » مت ١٠ : ٣٢ .

+ ينبع هذا الأعتراف عن جذور القلب .

أحياناً تسمع إنساناً يعترف (بالمسيح) لكنك لاتدرك إن كان مؤمناً أو غير مؤمن يجب ألا تدعو أحداً انه يعترف (بالمسيح) إن كان غير مؤمن (بقلبه) ، لأن من يعترف هكذا إنما ينطق بغير مافى قلبه .

القديس أغسطينوس(٢٩١)

ليتنا نؤمن بربنا يسوع بكل قلبنا ، فيملك كرب ويخلص أعماقنا من كل ظلمة ، متجاوبين مع مخلصنا بحياتنا المقدسة فيه ، فنعترف به بشفاهنا .

يرى **القديس أمبروسيوس**[٢٩٢] الإعتراف بالفم يمثل إحدى القبلات التى يقدمها المؤمن لعريسه السيد المسيح حين يناجيه ، قائلا : « ليقبلنى بقبلات فمه ، لأن حبك أطيب من الخمر » نش ١ : ٢ . فإن كان عريسنا لايكف عن أن يقبلنا بقبلات الحب العملى الباذل ، يليق بنا أن نرّد القبلات بالقبلات والحب بالحب ، لنوجد فيه محبوبين ومقدسين .

ويرى **القديس أمبروسيوس** أيضا فى الأعتراف بالفم والإيمان بالقلب أشبه بالبوقين اللذين من الفضة (عد ١٠ : ٢) : [بهذين البوقين يبلغ الانسان الأرض المقدسة ، أى نعمة القيامة . دعهما يصوتان لك كى تسمع صوت الله ، فتحثك منطوقات الأنبياء والملائكة على الدوام وتسرع بك إلى العلويات[٢٩٣]] .

ب - الإعتراف بالفم بربنا يسوع المسيح لايعنى مجرد شهادة الشفتين له ، وإنما تعنى إبراز الحياة المقدسة لالمجد الانسان وإنما لمجد الله نفسه ، إذ يقول السيد المسيح : « فليضىء نوركم قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذى فى السموات » مت ٥ : ١٦ . وكما يقول **القديس أغسطينوس** : [الذين يرغبون فى إظهار أعمالهم الحسنة للناس ليمجدوا ذاك الذى أخذوا منه هذه الأعمال الظاهرة فيهم فيمتثلون بهم بالإيمان ، بالحق يضىء نورهم أمام الناس ، لأن منهم تنبعث أشعة نور المحبة ..... لاحظوا الرسول أيضا عندما يقول : « كما أنا أيضا أرضى الجميع فى كل شىء » ١ كو ١٠ : ٣٣ ، فإنه لم يقف عند هذا كما لو كان إرضاؤه للناس هو هدفه النهائى ، وإلا فباطلا يقول : « لو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح » غلا ١ : ١٠ ، بل أردف فى الحال مظهراً سبب إرضائه الناس ، قائلا : « غير طالب مايوافق نفسى بل الكثيرين لكى يخلصوا » ١ كو ١٠ : ٣٣ . فهو لايرضى الناس لنفعه الخاص وإلا فلا يكون عبداً للمسيح بل يرضى الناس لأجل خلاصهم حتى يكون رسولا أميناً للمسيح[٢٩٤]] .

جـ - « **لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لايخزى** » ع ١١ ..... اقتطف الرسول بولس ذلك عن سفر إشعياء (٢٨ : ١٦ الترجمة السبعينية) ، ليؤكد أمرين ، الأول أنه بأعمال الناموس يمكن للانسان أن يخزى إذ يعجز عن التمتع بالبّر أما

بالإيمان الحّي فلن يخزى . الأمر الثانى انه لم يحدد فئة معينة بل قال : « كل من يؤمن به » ، مؤكداً عمومية الخلاص بلا تمييز بين يهودى وأممى .

٣ – رفضهم حب الله الشامل

إذ سبق فكشف الرسول عن سّر جحود اليهود : رفضهم الايمان البسيط القريب ، جاء بعبارة نبوية مقتبسة من إشعياء النبى (٢٨ : ١٦) تعلن أن « كل » من يؤمن به لايخزى .... كما يقتبس من يوئيل العبارة « كل من يدعو بإسم الرب يخلص » (يوئيل ٢ : ٢٨ ، ٢٩) ..... العبارة التى إقتبسها الرسول بطرس فى عظة يوم الخمسين (أع ٢ : ٢١) .

هكذا لايتوقف الرسول بولس عن تأكيد إنفتاح باب الإيمان لجميع الأمم ، لأن الله « هو رب الكل » أع ١٠ : ٣٦ كما قال القديس بطرس فى بيت كرنيليوس .

« لأنه لافرق بين اليهودى واليونانى ، لأن رباً واحداً للجميع ، غنياً لجميع الذين يدعون به ، لأن كل من يدعو بإسم الرب يخلص » ١٢ ، ١٣ .

٤ – رفضهم الالتزام بالكرازة

يدخل القديس بولس الرسول بهم إلى إتهام جديد ، ألا وهو تجاهلهم الدور الرئيسى الذى كان يجب أن يقوموا به كشعب الله المختار : الكرازة بالمسيا الذى شهد له العهد القديم برموزه ونبواته . بمعنى آخر كان يليق بهم عوض الدخول فى مناقشات غبية بتشامخ وكبرياء ضد الأمم أن يكونوا هم الكارزين لهم بالإيمان . هذا ماقصده الرسول بقوله : « **فكيف يدعون بمن لايؤمنوا به ؟ ! وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به ؟ ! وكيف يسمعون بلا كارز ؟ ! وكيف يكرزون إن لم يُرسلوا ؟ ! كما هو مكتوب ماأجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشريين بالخيرات ..... » ع ١٤ ، ١٥ .**

يقدم لنا القديس يوحنا الذهبى الفم تحليلا لطيفاً لهذا النص الرسولى ، إذ يقول(٢٩٥) ان الرسول يجردهم من كل عذر ، فبعدما قال إن لهم غيرة لله لكن ليس حسب المعرفة بدأ عن طريق الأسئلة يوضح أنه كان يجب أن يكونوا أول المؤمنين بالسيد المسيح ، لأنه قد أُرسل لهم الأنبياء ككارزين لهم به خلال النبوات ، لكنهم

سدوا آذانهم ورفضوا الإيمان . فإن كان الخلاص يتطلب الدعوة بإسمه كقول يوئيل النبى : « كل من يدعو بإسم الرب يخلص » (رو ١٠ : ١٣ ، يوئيل ٢:٢٨،٢٩)، فالدعوة بإسمه تستلزم الإيمان به ، والايمان يتطلب السماع عنه ، والسماع لايتحقق إلا بالكارزين ، والكارزون لايبشروا مالم يُرسلوا .... وقد أُرسل لهم الكارزون فعلًا وكرزوا قبل مجيئه بأجيال كثيرة كقول إشعياء الذى أعلن عن رسالة الكارزين المبشرين بالسلام (إش ٥٢ : ٧) ، ومع هذا فقد رفض اليهود الإيمان .... فهم بلا عذر .

كان يليق باليهود أن يسبقوا الأمم فى قبول الإيمان بالمسيا المخلص ليقوموا هم بدور الكارزين ، مكملين رسالة أنبيائهم ، عوض مقاوتهم للإيمان . هكذا يظهر الرسول أن دينونتهم مضاعفة .

على أى الأحوال حتى هذا الرفض للإيمان تنبأ عنه إشعياء ، إذ يقول الرسول : « **لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل ، لأن إشعياء يقول : يارب من صدق خبرنا ؟ ! إذاً الإيمان بالخبر ، والخبر بكلمة الله ، لكننى أقول : ألعلهم لم يسمعوا ؟ ! بلى إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم**» ع ١٦ :١٨ .

لقد سبق فأنبأ إشعياء انه ليس الجميع يطيعون الإنجيل ، إذ يرفض كثير من اليهود خبر التبشير الذى سبق فأعلنه النبى نفسه (إش ٥٣ : ١) ..... هو قدم الخبر ليؤمنوا بالإنجيل ، لكنهم لم يسمعوا مع أن الأمم الذين فى أقاصى المسكونة سمعوا وآمنوا ، وهكذا صاروا شهوداً على اليهود .

اقتبس الرسول جزءاً من المزمور ١٩ حيث ينشد المرتل : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه ، يوم إلى يوم يذيع كلاماً ، وليل إلى ليل يبدى علماً ، لا قول ولا كلام لايسمع صوتهم ، فى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم » ..... فى هذا المزمور يعلن المرتل ان الشهادة عن الله عامة والكرازة بأعماله مقدمة لكل البشرية خلال الطبيعة عينها (السموات والفلك) وخلال كرازة الكارزين التى تبلغ أقصى المسكونة ، وكأن المرتل قد شاهد بروح النبوه

خدمة الرسل التى اتسعت لتضم الشعوب والأمم من مشارق الشمس إلى مغاربها .

٥ – شهادة الأنبياء عن جحودهم

إذ أعلن الرسول عن سرّ جحود اليهود بّر الله وعدم إدراكهم غاية الناموس ، ورفضهم الإيمان البسيط القريب إليهم ، وضيق قلبهم الذى لايقبل حب الله الجامع لكل البشرية ، ونسيانهم رسالتهم ككارزين بالمسيا المخلص للعالم ، يقدم لهم الرسول شهادة أعظم تبين عن جحودهم ، هما موسى وإشعياء :

« لكنى أقولُ : ألعل إسرائيل لم يعلم ؟

أولًا : موسى يقول أنا أغيرّكم بما ليس أمة ، بأمة غبية أغيظكم (تث ٣٢ : ٢١) ؛

ثم أشعياء يتجاسر ويقول : « وجُدت من الذين لم يطلبونى ، وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عنى (إش ٦٥ : ١) ؛

أما من جهة إسرائيل فيقول : « طول النهار بسطت يدّى إلى شعب معاند ومقاوم (إش ٦٥ : ٢) » ع ١٩ – ٢١ .

يلاحظ فى هذه العبارات الرسولية والمقتبسة من أقوال موسى وإشعياء النبيين الآتى :

أولًا : يتساءل الرسول بولس : « **ألعل إسرائيل لم يسمع ؟** » ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** انه يقصد هل سمع إسرائيل ولم يفهم ؟ إن كان الأمم الوثنيون سمعوا وادركوا الإيمان فكم بالحرى كان يليق باليهود الذين [أعطاهم الله منذ القدم كل العلامات التى تستهدف نحو إزالة الغشاوة عن عيونهم(٢٩٦)] .

ثانياً : إقتبس الرسول العبارة الموسوية (تث ٣٢ : ٢١) : « هم أغارونى بما ليس إلهاً ، أغاظونى بأباطيلهم ، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً ، بأمة غبية أغيظهم » ... وكأن الله قبل الأمم الوثنية كشعب له خلال الإيمان ليثير أيضا مشاعر

اليهود لعلهم يرجعون عن جحودهم ويتوبون إلى الله ، وهكذا لم يغلق الرب الباب فى وجه أحد .

ثالثاً : يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى العبارة « طول النهار بسطت يدّى إلى شعب معاند ومقاوم » إشارة إلى العهد القديم بأكمله حيث بسط الرب يداه خلال نداء الأنبياء المستمر ، واعلانه حبه لهم رغم عنادهم ومقاومتهم . أنه أب يبسط يداه نحو شعبه كما نحو طفله الصغير الذى يرفض أحضان أبيه المتسعة له بالحب . ويرى **القديس يوستين** فى هذا القول النبوى (إش ٦٥ : ٢) إشارة إلى الصليب حيث بسط الرب يداه عند موته ليحتضن الكل[٢٩٧] .



إن كان الرسول بولس كيهودى حقيقى بروح الحب فنّد حجج اليهود لا ليحط من إمتيازاتهم فى العهد القديم إنما ليرفعهم فوق روح التعصب وضيق الأفق فيتمتعوا مع سائر الأمم ببّر المسيح ، بل ويشعروا بالتزامهم بالكرازة به أكثر من غيرهم ، الآن كرسول للأمم بذات روح الحب يحذر أيضاً الأمم المتنصرين لئلا يفقدوا برّ المسيح خلال كبريائهم أو إستخفافهم بإخوتهم اليهود ، موضحاً خطة الله الفائقة نحو الكل .

١ . الله لا يرفض شعبه . ١ ــ ١٠ .

٢ . قبولهم خلال توبتهم . ١١ ــ ١٦ .

٣ . الأمم زيتونة برية . ١٧ ــ ٢٤ .

٤ . إنتظار توبة اليهود . ٢٥ ــ ٣٢ .

٥ . خطة الله الفائقة . ٣٣ ــ ٣٦ .

\+ \+ \+

١ . الله لا يرفض شعبه

مرة أخرى أود أن أوكد أن حديث الرسول هنا كما فى الأصحاحات السابقة خاص بالشعوب ككل لا بالأفراد . هذا من جانب ومن جانب أخر فإن كانت الأصحاحات السابقة (٤ ــ ١٠) موجهه لشعب اليهودى كى لا يستكبر بسبب

إنتسابه الجسدى لابراهيم واستلامه الناموس الموسى واختياره كشعب الله ، فانه فى هذه الاصحاح يتحدث مع الأمم فيحذرهم من إساءة فهم الحديث السابق لئلا يستكبروا ويستخفوا باليهود معلناً انهم فى أواخر الدهور لا بدّ أن يقبلوا السيد المسيح ويتراجعوا عن الجحود الذى يمارسونه الأن . بمعنى أخر حين يحدث اليهود يوبخهم ليفتحوا قلوبهم بالحب للأمم ، وحين يحدث الأمم يوبخم ليفتحوا قلبهم لليهود الراجعين بالإيمان لله ، يود أن يرى البشرية كلها تسند بعضها البعض بروح الحب والإتضاع لئلا يهلك أحد بسبب التشامخ والعجرفة .

فى هذا الأصحاح يعطى الرسول رجاءً لليهود ليتخلوا عن جحودهم للمسّيا وتعصبهم البغيض ، كما يقدم إتضاعاً للأمم الذين دخلوا إلى الإيمان بالتطعيم فى الشجرة الأصيلة .

بدأ الرسول حديثه بسؤال مع إجابة سريعة قاطعة يليها شرح تفصيلى :

« **فأقول : ألعل الله رفض شعبه ؟ حاشا .**

لأنى أنا أيضاً إسرائيلى من نسل إبراهيم من سبط بنيامين .

لم يرفض الله شعبه الذى سبق فعرفه . أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب فى إيليا ؟ كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلا : يارب قتلوا أنبياءك ، وهدموا مذابحك ، وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ؟ لكن ماذا يقول له الوحى ؟ أبقيت لنفسى سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل . فكذلك فى الزمان الحاضر أيضاً قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة » ١ ـــ ٥ .

خشى الرسول لئلا يُساء فهم إقتباسه من إشعياء النبى : « أما من جهة إسرائيل ، فيقول : طول النهار بسطت يدّى إلى شعب معاند ومقاوم » رو ١٠ : ٢١ ، إش ٦٥ : ٢ ، فيحسبون انه يغلق الباب على اسرائيل مزدرياً به ... لذلك أسرع بهذا السؤال : ألعل الله رفض شعبه ؟ وجاء بإجابة حاسمة : حاشا !

جاءت الإجابة بعد ذلك بدقة بالغة وبدلائل ، اذ يلاحظ فيها الأتى :

أولا : كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** [٢٩٨] إن الرسول عند إجابته لم يقل « شعبه » فحسب بل قال : « **شعبه الذى سبق فعرفه** » ع **٢** ... فإن الذين

قبلوا الإيمان من اليهود هم قليلون لكنهم « معروفون » لدى الله ، هذا هو شعبه ! كأن وعد الله قائم وقد تحقق حتى فى اليهود وإن الذين تمتعوا به قليلين . الله لا يشغله فخامة العدد لكنه يطلب أبناء أمناء وإن كانوا قلة .

شعب الله معروف لديه ، يعرف عددهم ، ويناديهم بأسمائهم ، وإن كانوا قلة مخفية ، كما فى أيام إيليا حيث إنحرف الشعب إلى العباذة الوثنية وقتلوا الأنبياء وهدموا مذبح الله ، لكن الشعب الحقيقى كان محصياً لديه (٧٠٠٠ رجل) لم يحن ركبة لبعل بل هو أمين فى عبادته ، لم يعرفه حتى إيليا نفسه الذى ظن ان الشعب كله قد هلك فطلب لنفسه الموت ، قائلًا : « بقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها » امل ١٩ : ٤ ، ١٤ .

فى كل جيل يوجد « شعبه الذى سبق فعرفه » ، السبعة آلاف رجل الذين لا يحنون ركبهم لبعل ، المعروفون لله بأسمائهم . أما كونهم ٧٠٠٠ ، فلأن رقم ٧ يشير إلى الكمال ، لأن الانسان اكمل خليقة الله على الأرض يحمل نفساً على صورة الثالوث وجسداً من هذا العالم (أربعة أركان العالم) ، فيرمز للإنسان بكليته (٣ + ٤) برقم ٧ . وأما رقم ١٠٠٠ فيشير للحياة السماوية أو الروحية لأن يوماً عند الرب كإلف (مز ٨٤ : ١٠) . كأن رقم ٧٠٠٠ يشير إلى جماعة الكاملين روحياً ، الذين تقدست نفوسهم وأجسادهم بالروح القدس ليعيشوا بفكر روحى وعلى مستوى سماوى . أما كونهم رجالًا فلا يعنى تمايز الجنس وإنما يعنى انهم يحملون الحياة الناضجة البعيدة عن لهو الأطفال وعجزهم وعن تدليل النساء وترفههم ... لذا جاءت الوصية الرسولية : « كونوا رجالًا » أكو ١٦ :١٣ .

ثانياً : يقدم الرسول بولس ثلاثة أدلة على عدم رفض الله لشعبه :

ا . يقدم نفسه دليلًا على ذلك ، اذ يقول : « **لأنى أيضاإسرائيلى من نسل إبراهيم من سبط بنيامين** » ع **١** . لعل قوله « أيضا » يعنى به غيره من اليهود المؤمنين بالسيد المسيح سواء فى كنيسة رومية أو غيرها ، فقد أوضح ان الله لايزال يحقق مواعيده لشعبه ، وأنه هو إسرائيلى حقاً من سبط بنيامين من نسل إبراهيم وليس دخيلًا ، وقد نال الوعد بل وصار كارزاً به . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** :

[أنا المعلم والكارز ... لو أن الله رفضهم لما اختير هو نفسه الذى من هذا الجنس ليقوم بالكرازة والإهتمام بشئون العالم وكل الأسرار والتدبير الشامل (٢٩٩)] .

ب . أما الدليل الثانى فهو ما ورد فى سفر ملوك الأول (ص ١٩) عن إيليا النبى الذى ظن فى نفسه أنه يعد بعد هناك شعب مختار لله إذ يقول : « **يارب قتلوا أنبياءك زهدموا مذابحك ، وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى** » ع ٣ . لقد اختفت الكنيسة حتى عن عينّى إيليا النبى الغيور لكنها لن تختفى عن عينى الله . وكان هذانبوة ورمزاً للشعب اليهودى الذى قاوم السيد المسيح وقتلوا تلاميذه وأرادوا تحطيم مذابحه الحيّة ، وظهر الكل كهالكين ، لكن من بينهم كان التلاميذ الذين من أصل يهودى وقد قبلوا الرب وشهدوا له ، وأيضا وُجد كثيرون أمنوا وإن كانوا إن قورنوا بالجاحدين يُحسبون قلة .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إن كنتم لا تعرفونهم فهذا ليس بالأمر العجيب ، فإن النبى الذى كان رجلًا عظيماً وصالحاً لم يعرفهم ، لكن الله دبّر كل الأمور لنفسه حتى عندما لم يعرف النبى ... الأن يقرأ هم الرسول العبارة : « قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك » ليظهر لهم فى ألم أن ما فعلوه بالمسيح والرسل ليس بالأمر الغريب ، إذ إعتادوا على ممارسة ذلك ... لاحظ كيف يوجه إليهم إتهاماً قوياً لا خلال بولس ولا بطرس ولا يعقوب ولا يوحنا بل خلال من له أعظم تقدير عندهم ، رئيس الأنبياء ، وصديق الله ، الغيور عليهم جداً (امل ١٩ : ١٤) حتى سلم نفسه للجوع من أجلهم ، والذى لا يزال حياً حتى اليوم ... بهذا المعنى أيضاً يقول الرسول بعبارة أخرى حين كتب إلى أهل تسالونيكى : « لأنكم تألمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الألام عينها كما هم أيضاً من اليهود ، الذين قتلوا الرب (يسوع) وأبنياءهم واضطهدونا نحن ، وهم غير مرضيين لله ، وأضدار لجميع الناس » اتس ٢ : ١٤ ، ١٥ (٣٠٠)] .

حـ . أما الدليل الثالث على تتمة وعود الله لشعبه الذى سبق فعرفه ، فقد أورده فى الأصحاح السابق إذ أعلن كلمات الرب على فم موس النبى : « أنا أغيركم بما ليس أمة ، بأمة غبية أغيظكم » ١٠ : ١٩ ، الأمر الذى يشرحه بإسهاب فى هذا

الأصحاح (ع ١١ — ٣٦) ، موضحاً أن ما حدث من جحور بالنسبة لأغلبية اليهود إنما ليفتح باب مراحم الله أمام الأمم حتى متى يتم ملؤ الأمم — فى أخر الأزمنة — يرجع اليهود عن كبريائهم وجحودهم ليقبلوا الإيمان بالسيد المسيح .

ثالثاً : إذ أوضح الرسول بالدليل القاطع ، خلال نفسه كمثال وخلال شهادة الأنبياء خاصة موسى وإيليا أن وعّد الله قائم ، وإن كان الذين تحقق فيهم الوعد قلة ، فإن سّر جحودهم هو « قساوة القلب » أو بمعنى أخر فساد العين الداخلية (القلب) وعجزها عن معاينة الله والتعرف على أعماله الخلاصية . هذا ما أعلنه الرسول بقوله :

« فكذلك فى الزمان الحاضر أيضاً قد حصلت بقية حسب إختيار النعمة .

فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال ، وإلا فليست النعمة بعد نعمة ، وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة ، وإلا فالعمل لا يكون بعد عملاً .

فماذا ؟ ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله ، ولكن المختارون نالوه ، وأما الباقون فتقسوا .

كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعيوناً حتى لا يبصروا ، وأذاناً حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم .

وداود يقول : لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم .

لتظلم أعينهم كى لا يبصروا ، ولتحن ظهورهم فى كل حين » ع ٥ — ١١ .

هكذا يقدم لنا الرسول صورة واقعية لحال إسرائيل إذ رفض غالبيتهم الإيمان وقبل القلة أن يتمتعوا بالوعد كشعب الله الحقيقى ، مقدماً تفسيراً لسّر جحود الغالبية ، مدعماً ذلك لشهادة العهد القديم نفسه عنهم .

يلاحظ فى هذه العبارات الرسولية الأتى :

١ . ان البقية التى تتمتع بالخلاص إنما تتمتع به خلال نعمة الله المجانية وليس خلال

حرفية أعمال الناموس ولا أعمال البّر الذاتى ... لأن هذه هى الأعمال التى تضاد النعمة : أعمال الحرف القاتل التى بلاروح والأعمال النابعة عن الذات ، أما الأعمال الروحية التى هى من صنيع الروح القدس فينا فليست مضادة للنعمة بل تتجاوب معها .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [هنا مرة أخرى يثبت الرسول النعمة ويظهر قوتها ، هذه التى بها يخلص الإنسان على الدوام وبدونها يهلك . لنقدم التشكرات اننا ننتسب للذين يخلصون وليس للذين يحسبون انهم قادرون على الخلاص بأعمالهم الذاتية بل بعطية الله . ونحن بتقديمنا للتشكرات إنما نقدمها لا بالكلام بل بالعمل والتصرفات . لأن هذه التشكرات أصيلة ، إذ نمارس الأمور التى يتمجد الله بها بالتأكد ونهرب من الأعمال التى تحررنا منها(٣٠١)] .

هكذا يحدثنا **القديس يوحنا الذهبى الفم** بإفاضة عن إرتباط النعمة بالعمل الروحى الذى يضاد أعمال البّر الذاتى وأعمال الحرف ... فإن الشكر الذى نقدمه لله على عطية النعمة المجانية إنما يُقدم خلال الأعمال الروحية المقدسة بالرب والهروب من الشر الذى تحررنا منه . وكأن العمل الذى نمارسه سواء إيجابياً بممارسة الحياة الفاضلة بالروح القدس أو سلبياً برفض الشرور التى حررتنا منها النعمة الإلهية ، هذا العمل لا يضاد النعمة الإلهية بل يمجد الله فينا .

إن كانت النعمة الإلهية تجعل من الإنسان الترابى الأرضى كائناً سماوياً ، فالمرتل يعلن « السموات تحدث بمجد الله » مز ١٩ : ١ ، لا بالكلام بل بالحياة العاملة المجيدة . هذا هو ما فعلته النعمة فى نفس بولس الرسول التى صارت متلألئة بالمجد الإلهى خلال الحياة العاملة بالرب ، تجتذب الكثيرين إليها لمجد الله . وكما يقول **الذهبى الفم** :

[كان لبولس نفساً لا تقل عن السماء ، قادرة أن تجتذب إليها كل البشر .

نفوسنا لا تعادل الأرض ، وإنما كانت نفسه تعادل السموات ! ...

سمو نفسه يتخطى السموات كلها لتتدخل فى حديث مع المسيح نفسه !

جمالها فائق يعلن عنه الله نفسه !

الملائكة إندهشت عندما خُلقت الكواكب (أى ٣٨ : ٧) ، أما بالنسبة له فالله يعجب به ، إذ يقول : « لأن هذا لى إناء مختار » أع ٩ : ١٥ .

السماء تظللها السحب عدة مرات ، أما نفس بولس فلم تظللها تجربة قط ! وحتى وسط العواصف كانت نفسه أكثر صفاءاً من السماء وقت الظهيرة ، تضىء على الدوام قبل أن تلحقها غيوم . فإن « الشمس » الذى يشرق فى بولس يبعث بأشعته التى تفوق غيم التجارب لتضىء أكثر بهاءً . لذلك يقول : « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » ٢ كو ١٢ : ٩ .

إذن لنجاهد ممتثلين به وعندئذ تصير هذه السماء كلا شىء ، بل إن أردنا حتى الشمس والقمر أيضاً ، فإن هذه قد خُلقت لأجلنا ، ولسنا نحن لأجلها [٣٠٢]] .

ليتنا نقبل عمل النعمة المجانية لتصير نفوسنا سماءً للرب ، هذه التى تعمل فى النفوس المتجاوبة معها بالحب العملى والجهاد الروحى القانونى ، فى غير إعتداد بالذات ولا حرفية قاتلة .

ب . إذ أبرز الرسول قوة النعمة الفائقة أظهر سرّ جحود غالبية شعب إسرائيل ، ألا وهو طلبهم البّر الذاتى فلم ينالوا النعمة التى تغيّر القلب لتفتح بصيرته وتدرك عمل الله الخلاصى .

يقول الرسول : **« فماذا ؟ ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله » ع ٧** ، لأنه طلب أن يتبرر بأعمال الناموس الحرفية وسعى ببره الذاتى فحُرم من عطية البرّ .

« ولكن المختارون نالوه » ع ٧ ... هذه القلة التى قبلت الإيمان بالمسيح ونالت النعمة الإلهية فتمتعت بالخلاص كفئة مختارة . ولئلا تعترض الأكثرية ، قائلة : ماذنبنا نحن مادمنا غير مختارين ؟ لذلك كشف الرسول عن دورهم فى الجحود : **« وأما الباقون فتقسوا » ع ٧ . إن كانت النعمة هى عطية الله المجانية فإن قساوة القلب هى من عندياتنا .**

لقد قاوموا الحق ، ولم يتجاوبوا من نعمة الله المجانية ، لذلك تُركوا لفساد قلبهم القاسى فإنحجبت بصيرتهم الداخلية عن معانية الله وأذانهم الداخلية عن الإستماع

لصوته ... الأمر الذين سبق فأنبأ عنه الأنبياء ، وقد لخصه الرسول بقوله : « كما هو مكتوب : أعطاهم الله روح سبات ، وعيوناً حتى لا يبصروا ، وأذاناً حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم » ع ٨ ، اذ جاء فى العهد القديم :

إسمعوا سمعاً ولا تفهموا ، وإبصروا إبصاراً ولا تعرفوا » إش ٦ : ٩ ، « ولكن لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا ، وأعيناً لتبصروا ، وأذاناً لتسمعوا ، إلى هذا اليوم » تث ٢٩ : ٤ .

« الأن الرب قد سكب عليكم روح سبات وأغمض عيونكم » إش ٢٩ : ١٠ .

هكذا يوضح لهم الرسول انهم إذ رفضوا عمله فيهم صاروا إلى حال ردىء ، إذ صارت نفوسهم لاترى الحق ولا تسمع له ، بل صارت نفوساً نائمة وخامله تحمل روح السبات » الذى يعنى عدم التغيير ، أو الإستكانة لما هى عليه من شر .

أما ثمر هذا فقد أعلنه داود النبى هكذا :

« **لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم** » ع ٩ (مز ٦٩ :٢٢) ... بمعنى انهم وهم مطمئنون ومستكينون للشر تحلّ بهم النكبات وسط ولائمهم ، فيتحول فرحهم إلى غمّ ، وسلامهم إلى ضيق . ولعل «مائدتهم» هنا تشير إلى رموز العهد القديم ونبواته ، فانها مائدة مشبعة ان قدمت بطريقة روحية ، إذ تقدم لنا « شخص السيد المسيح نفسه» ، أما وقد تمسكت هذه الأغلبية بالحرف القاتل فصار ما هو للبنيان علة هدم لهم بل وفخاً وعثرة ومجازاة لهم ... يشهد ضدهم . ربما تشير « مائدتهم » بالأكثر إلى ذبيحة الفصح التى غايتها الشركة مع الله خلال المصالحة بالدم الكريم ، فقد قام يهوذا ـــ ممثلاً لهؤلاء الجاحدين ـــ بدور الخيانة العامة عوض قبول المصالحة .

« **لتظلم عيونهم** » ، إذ أبقوا على برقع الحرف ورفضوا إبطاله ، كقول الرسول : « لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى البرقع موضوع على قلبهم ، ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفع البرقع ، وأما الرب فهو الروح ، وحيث روح الرب هناك حرية ، ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرأة يتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » ٢ كو ٣ : ١٥ ـــ ١٨ .

« **لتحنن ظهورهم** » علامة الضعف والعجز الروحى والعبودية ، فإن الخطية ثقيلة ومرهقة للنفس ، والناموس يعجز عن أن يرفعها خارج النعمة .

حـ . يحدثنا **القديس أغسطينوس** عن سّر جحود إسرائيل ، قائلًا :

[لم يستطيعوا أن يؤمنوا لأن إشعياء النبى تنبأ عن ذلك ، وقد تنبأ لأن الله سبق فعرف ما سيحدث .

إن سألت لماذا لم يستطيعوا ؟ أجيب فى الحال : لأنهم لم يريدوا ، لأنه بالتأكيد كان الله يرى مسبقاً إرادتهم التى فسدت ، وقد سبق فأخبر بها النبى لأنه ليس شيىء مخفياً عن الله (٣٠٣)] .

٢ . قبولهم خلال توبتهم

سبق فتحدث الرسول عن رجوع اليهود عن جحودهم متى قبلوا ذاك الذى صلبوه وأمنوا به . يقول **القديس أمبروسيوس** (٣٠٤) إن شمشون اليهودى الذى قتل الأسد كان رمزاً لليهود الذين صلبوا السيد المسيح الأسد الخارج من سبط يهوذا ، وقد عاد شمشون ليجد فى أحشاء هذا الأسد مخزناً لعسل الحكمة (قص ١٤ : ٨) ، وكأنه يمثل اليهود الراجعين إلى السيد المسيح بالتوبة ليجدوا فيه كل لذة الحكمة وشبعها .

يرى القديس بولس ان الله سمح بقساوة قلب اليهود لينفتح الباب للأمم ، فإن عاد هؤلاء بالتوبة والإيمان إلى الله كم بالأكثر يكون حال الكل ؟ ! إذ يقول :

« **فأقول : ألعلهم عثروا لكى يسقطوا ؟ حاشا . بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم .**

فإن كانت زلتهم غنى للعالم ، ونقصانهم غنى للأمم ، لكم بالحرى ملؤهم ؟ !

فإنى أقول لكم أيها الأمم انى أنا رسول للأمم أمجد خدمتى . لعلى أُغير أنسبائى وأخلص أناساً منهم ؟ ! لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون إقتبالهم إلا حياة من الموت ؟ !

وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين ! وإن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان ! » ع ١١ ـــ ١٦ .

ويلاحظ فى هذه العبارات الرسولية الأتى :

أولا : لاحظ **القديس يوحنا الذهبى الفم** [٣٠٥] ان الرسول بولس إذ كان فى الأصحاحات السابقة يوجه لليهود إتهامات متتالية لذا كان يستعين بشهادات الأنبياء مراراً وتكراراً ، مثل إشعياء وإيليا وموسى وهوشع ، أما الأن إذ يستخدم إسلوب الملاطفه معهم فلا يجد حاجة للإستعانة بشهادات نبوية .

ثانياً : **الله** عجيب فى حبه وحكمته ، فهو يستخدم عثرة اليهود لخلاص الأمم ، ويستخدم خلاص الأمم لإغارة اليهود ليرجعوا إليه بالتوبة ... إنه صانع خيرات ، يحّول الشر كما الخير لبنيان البشرية فيه .

ثالثاً : يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** [٣٠٦] على العبارة : « **فأقول : ألعلهم عثروا لكى يسقطوا ؟ حشا ! بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم** » ع ١١ ، قائلاً بأن الرسول أراد أن ينزع عنهم روح اليأس ويهيئهم لقبول النعمة ، مظهراً ان عثرتهم كانت بسماح إلهى لخلاص الأمم . كان يمكن للرسول أن يقول بأنهم تعثروا أو سقطوا عن الإيمان بسبب غباوتهم بينما تحقق خلاص الأمم بقبول الأمم للإيمان ، لكن الرسول أراد أن يرفع من نفسيتهم حتى يقوموا من العثرة التى سقطوا فيها ، معلناً أنها سبب خلاص بلأمم .

هذه ليست لغة الرسول وحده وإنما جاءت الأمثال فى الأناجيل تقدم ذات المعنى ، ففى مثل العرس إذ رفض المدعوون الحضور دُعى الذين فى الشوارع والطرقات (مت ٢٢ :٩) ، وفى مثل الكرم إذ قتل الكرامون الوارث جاء صاحب الكرم بكرامين أخرين (مت ٢١ : ٣٨) ... وإذ قاوم اليهود بولس مناقضين ومجدفين جاهر قائلًا لهم : « كان يجب أن تُكلموا أنتم أولا بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم انكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم »أع١٣: ٤٦ . من هذا يتضح أنه كان يجب أن تبدأ الكرازة بهم ثم تتحول إلى الأمم ، لكنهم إذ رفضوا الايمان تغّير الأمر ليصير الأمم أولين ، جاءهم يسوع فلم يقبلوه ولاإهتموا بأعماله وآياته بل صلبوه فإجتذب الأمم إليه وصار الآخرون أولين ، حتى إذ يقبلوا الايمان وينالوا المواعيد يغير اليهود .

رابعاً : يعلق أيضا **القديس يوحنا الذهبى الفم** على القول الرسولى : « **فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم فكم بالحرى ملؤهم ؟ !** » ع **١٢** ، قائلًا : [هنا يتكلم ليعظمهم ..... لأنه إن كان بتعثرهم كثيرون تمتعوا بالخلاص ، وبرفضهم كثيرون صاروا مدعوين ، ماذا يكون الحال برجوعهم ؟ !(٣٠٧)] .

ويلاحظ فى هذه العبارة الرسولية إذ يكتب برقة ليرفع من نفسية اليهود بعد أن فند حججهم معلناً جحودهم تحت إسمين آخرين « زلتهم » ، « نقصانهم » ..... فكلمة « زلة » تحمل التعثر الذى يمكن أن يصحبه قيام أو إشتياق للقيام ، « والنقصان ربما يعنى أن البعض آمن والآخر لم يؤمن بعد لهذا فهم فى حالة « نقص » حتى يكمل الكل أو الغالبية بقبولهم للايمان . هذا من جانب ومن جانب آخر إذ يوجه هذا الاصحاح للأمم يهبهم طمأنينة ان رفض اليهود قد فتح لهم الطريق وعودتهم للإيمان لايعنى غلقه بل بالحرى إتساعه بفيض من البركات السماوية .

أما قوله « ملؤهم » ، وليس « رجوعهم » ، « تغيرهم » فكما يقول **القديس يوحنا الفم** إنما يشير إلى رجوع الغالبية العظمى منهم فى أواخر الأيام لينضموا للذين سبقوا فقبلوه

خامساً : يقدم لنا الرسول سببين رئيسيين فى خدمته للأمم :

ا – التزامه بالعمل كرسول مفرز لخدمة الأمم ، يشعر بثقل المسئولية الملقاة على كتفيه من قبل الله نفسه الذى أفرز من بطن أمه وكرسّه لهذا العمل ، لذا يقول : « **فإنى أقول لكم أيها الأمم بما أنى رسول للأمم أمجّد خدمتى** » ع **١٣** . هذا الشعور كان لايفارقه مشتاقاً ان يحتضن العالم الأممى كله بين ذراعيه ليحملهم بالحب إلى الصليب ، ويتمتعوا بعمل الله الخلاصى .

ب – أما السبب الثانى ، فهو يرى فى خدمته للأمم مايثير غيرة اليهود ، مشتاقاً أن يقبلوا النعمة التى قدمت لهم ورفضوها : « **لعلى أغيّر (أجعلهم فى غيرة) أنسبائى وأخلص أناساً منهم** » ع **١٤** وقد جاءت الكلمة اليونانية التى ترجمت « أنسبائى » فى حرفيتها « جسدى » ، إذ يدعو اليهود جسده !

سادساً : أراد أن يبرز قوة عودة اليهود الجاحدين إلى الإيمان بالسيد المسيح ، فحسب هذا العمل أشبه بالقيامة من الأموات ، إذ يقول : « **لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون إقتبالهم إلا حياة من الأموات ؟ !** » ع **١٥** كأن الله سيتمجد فيهم وتبتهج الكنيسة فى العالم كله برجوع الجاحدين ويتهلل الكل ليراهم كمن هم قيام من الأموات .

سابعاً : لايتجاهل الرسول بولس الباكورة الأولى ، أى رجال العهد القديم من اليهود كابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء ، هؤلاء الذين يشبههم الرسول بالباكورة المقدسة أو الأصل المقدس ، إذ يقول : « **وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين ، وإن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان** » ع **١٦** ...... كأنهم سيرجعون فى أواخر الدهور ليحملوا ذات التقديس الذى كان لآبائهم .

إن كان **القديس يوحنا الذهبى الفم** قد أخذ هنا بالتفسير الحرفى للعبارة ، **قائلا** بأن آباء وأنبياء العهد القديم يمثلون الباكورة المقدسة التى لابد أن يتقدس خلالها العجين كله ، **فإن القديس إيريناؤس**(٣٠٨) يرى فى الباكورة إشارة إلى كلمة الله الذى إتخذ لنفسه جسداً ، أى حملنا نحن العجين فيه لتقديسنا . ويقدم لنا **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** نفس المعنى إذ يقول :

[إذ صرت بكراً أقدم فىّ كل البشرية لإلهها وأبيها .

جعل البكر الله الحقيقى إلهاً للبشرية ، والآب الصالح أباً لها ، وصارت الطوباوية مؤكدة للطبع البشرى ككل .

بواسطة البكر صار الله الحقيقى الآب أباً وإلهاً لكل البشرية ، لأنه : « إن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين »

حيث يكون المسيح البكر يكون أيضا من هم للمسيح(٣٠٩)] .

[يقدس العجين كله بواسطة بكره فى نفسه(٣١٠)] .

[ذاك الذى صار لأجلنا شريكاً لنا فى الدم واللحم يشفينا ويردنا إلى الموضع الذى شردنا منه وصرنا مجرد لحم ودم بالخطية (عب ٢ : ١٤)(٣١١)] .

لنقبل مسيحنا الباكورة القادر أن يقدس عجين حياتنا كلها ، أى كمال بشريتنا فتتحول نفوسنا وأجسادنا وأفكارنا وقلوبنا إلى مقدس للرب ، ويعلن ملكوت الله فينا لنقبله أيضا بكونه الأصل الحامل للأغصان ، مقدساً إياها .

بمعنى آخر ، السيد المسيح هو سّر تقديسنا ، نحمله فينا كباكورة ، ويحملنا فيه بكونه الأصل حامل الأغصان . يختفى فينا لتقديسنا ، ونُحمل به لإثمارنا ، إذ يقول : « إثبتوا فىّ وأنا فيكم ، كما أن الغصن لايقدر أن يأتى أن يأتى بثمر من ذاته إن لم يثبت فى الكرمة كذلك أنتم أيضا إن لم تثبتوا فىّ ، أنا الكرمة وأنتم الأغصان ، الذى يثبت فىّ وأنا فيه هذا هذا يأتى بثمر كثير ، لأنكم بدونى لاتقدرون أن تفعلوا شيئاً » يو ١٥ : ٤ ، ٥ .

٣ - الأمم زيتونة برية

يقدم الرسول بولس للأمم المتنصرين تحذيراً لئلا بعد ما طُعموا فى شجرة الزيتون الأصيلة وحسبوا ابناء لإبراهيم بسبب قبولهم الإيمان يسقطون فى الكبرياء فينتزعون عن هذ العطية . إذ يقول :

« فإن كان قد قُطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طُعمت فيها فصرت شريكاً فى أصل الزيتونة ودسمها ، فلا تفتخر على الأغصان .

وإن أفتخرت فأنت لست تحمل الأصل بل الأصل إياك يحمل » ع ١٧، ١٨.

يلاحظ فى هذا التحذير الآتى :

أولا : يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** ان الرسول قال : « **قُطع بعض** الأغصان » ، مع أن الغالبية قد قطعت عن الأصل ، وحرموا من إنتسابهم لإبراهيم برفضهم الإيمان ، وذلك لأنه يكتب بلطف لتعزيتهم حتى لايسقطوا فى اليأس .

يشبه الرسول كنيسة العهد القديم بالزيتونة ذات الأصل المقدس ولها دسمها الروحى ، وان كانت بعض الأغصان جاءت غير مقدسة تستحق القطع ، بينما يشبه

الأمميين بزيتونة برية ليس فيها ثمر ولادسم ، بالإيمان تمتعت بعض اغصانها إن تُطعم فى الأصل المقدس ، فحسب الأمم أبناء لإبراهيم .

ثانياً : يسأل الرسول الأمم المتنصرين : « **لاتفتخر على الأغصان ..... لا تستكبر بل خف** » ع **١٨ ، ٢٠** .

بينما يوبخ اليهود على عدم إيمانهم : « **حسناً ، من أجل عدم الإيمان قطعت** » ع **٢٠** ، يتحدث بحزم مع الأمم أن يثبتوا فى اللإيمان الذى قبلوه خلال « مخافة الله » . يطالبهم ألا يستكبروا لئلا تُنتزع النعمة الإلهية عنهم بل يخافون ، لا الخوف النابع عن عدم الإيمان الذى تطرده المحبة خارجاً (١ يو ٤ : ١٨) ، وإنما مخافة الله المقدسة ، إذ قيل : « أجعل مخافتي فى قلوبهم فلا يحيدون عنى » أر ٣٢ : ٤٠ ، « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة ، لأن الله هو العامل فيكم » أف ٢ : ١٢ ، ١٣ .

يقول **القديس إيريناؤس** : [يلزمنا ألا نستكبر ولا نقسو على رجال العهد القديم بل نخف لئلا بعدما صرنا فى معرفة المسيح إذ نرتكب مايغضب الله لاننال غفران الخطايا بل نحرم من ملكوته (رو ٣ : ٢٣)[٣١٢]] .

إن كان عدو الخير غلب الكثيرين من اليهود برفض الإيمان تماماً ، فانه لايلقى بسلاحه أمام الذين يؤمنون إذ يحاول تحطيمهم بالكبرياء .... نوالنا نعمة الله يسندنا فى الجهاد لكنه يثير العدو علينا أكثر فأكثر ، لذا يليق بنا ان نحذر مجاهدين بالنعمة عينها التى ننالها .

بهذا الروح كتب **القديس جيروم** إلى أو ستوخيوم : « أودك أن تخرجى من نذر البتولية لا بالكبرياء بل بالمخافة . إنك تسيرين حاملة ذهباً ، تحفظى من طريق اللص (الكبرياء)[٣١٣]] .

لقد وهبنا الله نعمته الغنية لتعمل فينا إن تجاوبنا معها فنحمل الثمار الروحية فى حياتنا . وكما يقول **القديس جيروم** : [كرامنا يطلب الثمار . فإن كان بالحق قد قطع الأغصان الأولى لأنها كانت عقيمة فسيعاملنا بذات الحكم إن كنا بلا ثمر . علاوة على هذا فإن الثمر لايخص الجسد وحده بل والنفس أيضا ، فإنه بالتأكيد إذ يخدم الجسد الرب تخدمه النفس أيضا مع الجسد[٣١٤]] .

ثالثاً : ان كان الله يطلب الثمر فإن الرسول يؤكد أن هذا الثمر يتحقق بالثبوت فى لطف الله (ع ٢٢) ، فإن كنا بالإيمان تمتعنا بنعمته الغنية فبثبوتنا فى هذا الإيمان المعلن خلال تجاوبنا مع نعمة الله بالحياة العاملة ندخل بالأكثر فى دائرة لطف الله . بمعنى آخر الله هو الأول فى طريق حياتنا ، وهو الذى يكمل الطريق معنا ، وهو النهاية أو الغاية ، لكن دون سلبية من جانبنا .... إذ يقول : « **وأما اللطف فلك إن ثبّت فى اللطف وإلا فأنت أيضا ستقع** » ع **٢٢** .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لم يقل هنا : « هوذا أعمالك الحسنة ، تأمل أتعابك » ، إنما يقول : « **هوذا لطف الله** » نحو الانسان ، مظهراً ان ماتتمتع به ينبع بكليته عن النعمة التى من فوق فترتعب .... خف ، لأن البركات لاتقطن فيك بثبات إن صرت متراخياً ، وأيضا الشرور لا تثبت فيك إن تغيرت ، لهذا يقول : « إن لم تستمر فى الإيمان فستقطع »] .

فى الوقت الذى فيه يحذر المؤمنين لكى يثبتوا فى الإيمان بتمسكهم بنعمة الله وتجاوبهم معها عملياً حتى لايُقطعوا ، يطلب من الجاحدين ألا يثبتوا فى الجحود بل يتغيروا بقبولهم الإيمان ، إذ يقول : « **وهم إن لم يثبتوا فى عدم الإيمان سيطعمون ، لأن الله قادر أن يطعمهم أيضا** » ع **٢٣** .

هنا أيضا يؤكد حرية الإرادة الانسانية ،إذ يستطيع الانسان أن يثبت فى الايمان أو يتركه ، وأن يقبل الجحود أو يرفضه ، ليس لأن الانسان قادر على ذلك بذاته وإنما لأن الله فاتح أحضانه باستمرار ليسند الكل حتى فى الإرادة الصالحة (أف ٢ : ١٣) دون تجاهل لحريته الإنسانية . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ها أنت ترى عظم حرية إختيار الإنسان وعظمة فاعلية ذهنه ، فإنه ليس شيء ثابتاً لا الصلاح ولا الشر . ها أنت ترى كيف يرفع من نفسية الإنسان المحطم ويحط من الآخر الواثق فى ذاته ، فلا تخور عند سماعك عن صرامة الله ولاتنتفخ عند سماعك عن لطفه[٣١٥]] .

رابعاً : ربما يستصعب الكثيرون عودة اليهود لقبول السيد المسيح الذى صلبوه وقاوموه حتى بعد صعوده ؛ هل يمكن لليهودى أن يقبل الإيمان المسيحى ويتخلى عن تعصبه ؟ !

يجيب الرسول أنه إن كان الإيمان عمل فائق للطبيعة ، إذ طّعم أغصان الزيتون البرية فى الأصل الدسم المثمر ، وحُسب الأمم الذين ورثوا الرجاسات الوثنية أبناء لإبراهيم روحياً ، فهل يصعب عليه أن يرد الأغصان الطبيعية إلى أصلها ؟ ! « **لأنه إن كنت أنت قد قُطعت من الزيتونة البرية حسب الطبيعة وطعمت بخلاف الطبيعة فى زيتونة جيدة ، فكم بالحرى يطعم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة فى زيتونتهم الخاصة ؟ ! » ع ٢٤ .**

٤ – إنتظار توبة اليهود

يعتبر الرسول بولس نفسه أنه يقدم « سراً » يكشفه (ع ٢٥) ؛ يقصد بالسّر أمراً إلهياً بقى مخفياً ، هذا من جانب ومن جانب آخر فانه عمل يصعب على الإنسان قبوله بحكمته البشرية ، بنور هذا السّر هى :

ا – ان جحود إسرائيل جزئى لا كلى .... إذ قبل بعض اليهود الإيمان بالسيد المسيح كالرسل وغيرهم (ع ٢٥) .

ب – ان الله ينتظر ملء الأمم (ع ٢٥) .

جـ – ببلوغ ملء الأمم يعود إسرائيل فيقبل الإيمان بالمسيح ؛ هذا لا يعنى جميع الأفراد .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذا الفصل بالعبارات التالية :

[يقصد بالسّر هنا (ع ٢٥) أمراً غير معروف وغير منطوق به ، ومدهش للغاية ولا يتوقعه أحد . فى موضع آخر يقول : « هوذا سّر أقوله لكم ، لا نرقد كلنا ولكننا نتغير » ١ كو ١٥ : ٥١ .

ماهو السّر إذن ؟

« **إن العمى قد حصل جزئياً لإسرائيل** » ...... هنا أيضا يلقى بصفعة على اليهود بينما يبدو كمن يحط من شأن الأمم ، إذ عنى الرسول تقريباً بأن عدم الإيمان لم يكن جامعاً وإنما كان جزئياً .... ولقد قدم إشعياء شاهداً ، هذا الذى صرخ ، قائلا : « **سيخرج من صهيون المنقذ ، ويرد الفجور عن يعقوب** » (**إش ٥٩ : ٢٠**)...... « **هوذا هو العهد من قبلى لهم متى نزعت خطاياهم** »

(**إش٢٧ : ٩؛أر ٣١ : ٣١**). يقول : متى نزعت خطاياهم وليس عندما يقدمون ذبائح ولا عندما يمارسون أعمال الناموس الأخرى . هذا الوعد لم يتحق فيهم لأنهم لم ينالوا غفران الخطايا بالمعمودية ، لذلك فسينتهى هذا الوضع .... « **من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم** » ع ٢٨ ، لأنه عندما دعيتم أنتم كانوا هم مسببين،ومع ذلك فإن الله لايريد أن يقطع دعوتكم بل ينتظر حتي يؤمن كل الأمم وعندئذ يأتى هؤلاء للإيمان .....

لم يبلغ الرسول النهاية عند رفضهم إنما ستعلن لهم الرحمة ثانية(٣١٦)] .

٥ – خطة الله الفائقة

يختم الرسول بولس هذا الأصحاح بذكصولوجية يعلن فيها مجد الله من جهة أحكامه الفائقة الإدارك ومحبته الشديدة لكل البشرية . هذه الذكصلوجية تنبع عن قلب يتطلع إلى نعمة الله وصلاحه برجاء عجيب فى خلاص العالم ، إذ يقول مترنماً :

« يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه !
ماأبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الأستقصاء !
لأن من عرف الرب ؟ ! أو من صار له مشيراً ؟ !
أو من سبق فأعطاه فيكافىء ؟ !

لأن منه وبه وله كل الأشياء ، له المجد إلى الأبد ؛ آمين » ع ٣٣ – ٣٦ .

هذه التسبحة يتهلل بها الرسول ، مدركاً ان خطة الله تفوق إدراك الخليقة ، ومحبته عجيبة إذ به خُلق العالم ولأجله ، يتمجد فى خليقته أبدياً !

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم معلقا على هذه الذكصولوجية بأن الرسول وقد استعرض الأزمنة السابقة وتأمل تدبير الله القديم الذى به يقوم العالم الحاضر يدرك عناية الله فيصُاب برهبة ، ويصرخ لكى يثق سامعوه أن ماقيل سيتحقق .... وفى رهبته الشديدة أمام أعمال الله يقدم تشكرات وتمجيدات لله !

+ + +



١ – المؤمن والحياة اليومية ١٢ .
٢ – المؤمن والوطن . ١٢ .
٣ – المؤمن والإخوة . ١٤ .
٤ – المؤمن والضعفاء ١٥ .

الأصحاحات ١٢ – ١٥

الجانب العملى

عالج الرسول بولس فى الأصحاحات السابقة الجوانب الإيمانية التى تمس خلاص الكل ، مبرزاً أهمية الإيمان الحىّ العامل بالمحبة على مستوى العمومية لكل الأمم والشعوب بلا محاباة ؛ قدمها لا بطريقة فلسفية جافة إنما ممتزجة بالحياة العملية لتعلن « الحياة الجديدة فى المسيح يسوع » كحياة إيمانية عملية . والآن كعادته إذ يكرس الرسول الأصحاحات الأخيرة من الرسالة للوصايا العملية ، فإنه لايقدمها فى عزلة عن الجانب الإيمانى ، بمعنى أنه لايقدمها كوصايا أخلاقية أو سلوكية بحته ، إنما من الزاوية الإيمانية .

بمعنى آخر إن كانت الرسالة إلى أهل رومية كما يدعوها البعض هى « إنجيل بولس » ، فإن هذا السفر يقدم الإيمان عملياً ، والوصايا إيمانية ؛ يقدم الحياة كوحدة واحدة .

\+ \+ \+



إن كانت الأصحاحات السابقة تكشف عن إمكانيات النعمة فى حياة المؤمن ، ففى هذا الأصحاح ومايليه يحدثنا الرسول عن ترجمة النعمة فى حياتنا العملية ، حتى لانحرم من الثبوت فى السيد المسيح والتمتع بنعم إلهية بلا توقف ، كقول الإنجيلى : « ومن ملئه نحن جميعا أخذنا نعمة فوق نعمة » يو ١ : ١٦ .

فى هذا الأصحاح يحدثنا عن :

١ – تقديم الحياة كلها لله .	١ .
٢ – تجديد الخارج والداخل .	٢ .
٣ – التعقل فى الجهاد .	٢ .
٤ – تنوع المواهب .	٤ – ٨ .
٥ – المحبة الأخوية	٩ – ١٠ .
٦ – حرارة الروح .	١١ .
٧ – الفرح فى الرجاء .	١٢ .
٨ – الشركة فى إحتياجات القديسين .	١٣ .
٩ – مباركة المضطهدين	١٤ .
١٠ – الشركة العملية .	١٥ .
١١ – الإتضاع .	١٦ .
١٢ – مسالمة الجميع .	١٧ – ٢١ .

١ – تقديم الحياة كلها لله

يفتتح الرسول بولس هذا الفصل العملى لابتقديم وصايا تفصيلية محددة وإنما بتقديم الحياة كلها ذبيحة حب الله ، معلناً لنا عن غاية الوصية : ردّ الحب بالحب ، وتسليم الحياة بكاملها لله ، فى أعماقها ومن جذورها ، إذ يقول : « **فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حيّة مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية** » ع ١ .

إن كان كلمة الله المتجسد قد قدم لنا حبه عملياً بتقديم جسده ذبيحة حب على الصليب هكذا يليق بنا خلال إتحادنا معه أن يحمل ذات فكره فنقدم حبنا لله عملياً بتقديم جسدنا ذبيحة حب الله ، لابذبح الجسد بطريقة مادية ، وإنما بقبول « الإماته » من أجل الله ، وكما يقول الرسول : « من أجلك نمات كل النهار ، قد حسبنا مثل غنم للذبح » رو ٨ : ٣٦ .

يلاحظ فى هذه العبارة الرسولية الآتى :

أولا : يبدأ حديثه بحرف العطف « ف » كمقدمة للالتماس الذى يرجوه ، معلناً أن ما يوصى به هنا هو إمتداد لحديثه السابق ، فلا إنفصال بين حديثه الإيمانى وحديثه السلوكى ، إن صّح هذان التعبيران ، فلا سلوك حيّ خارج الإيمان ولا حياة للإيمان الصادق بدون سلوك عملى .

ثانياً : يسألهم أن يتطلعوا إلى « مراحم الله » أو رأفته غير المحدودة ، حتى يقدموا أجسادهم ذبيحة ... ولئلا يظنوا أنه يسألهم ذبيحة مادية قال : « **ذبيحة حية** » .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** :

[إذ قال « ذبيحة » ، فلكى يمنع كل أحد عن التفكير بانه يطالبهم بقتل أنفسهم أضاف : « حية » . ولكى يميزها عن الذبيحة اليهودية ، قال : « مقدسة ، مقبولة لدى الله ، عبادتكم العقلية » ، لأن ذبيحتهم كانت مادية وليست مقبولة تماماً . يقول الله : « من طلب هذا من أيديكم ؟ » إش ١ : ١٢ . وبعبارات

متنوعة إستبعدها تماماً وبوضوح ..... إذ يقول : « ذابح الحمد يمجدنى » مز ٥٠ : ٢٣ ، « أسبح إسم الله بتسبيح وأعظمه بحمد ، فيُستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذى قرون وأظلاف » مز ٦٩ : ٣٠ ، ٣١ . وفى موضع آخر يزدرى بها ، قائلا : « هل أكل لحم الثيران ؟ أو أشرب دم التيوس ؟ » مز ٥٠ : ١٤ . هكذا يأمرنا بولس أيضا أن نقدم أجسادنا « ذبيحة حية » .

ربما يُقال : كيف يصير الجسد ذبيحة ؟
دع العين لاتنظر الشر ، فتصير ذبيحة !
لاينطق لسانك بدنس فيصير ذبيحة !
لاتمارس يدك عملا محرماً فتصير محرقة كاملة !

لكن هذا لايكفى إنما يجب ممارسة الأعمال الصالحة ، فتقدم اليّد الصدقات ، ويبارك الفم من يقاومه ، وليجد السمع لذته فى فصول الكتاب المقدس . لأن الذبيحة لاتسمح بأمر دنس بل هى بكر الأعمال .

إذن لنقدم لله الباكورة بأيدينا وأرجلنا وفمنا وكل أعضائنا ! فمثل هذه الذبيحة مرضية ، أما ذبائح اليهود فكانت غير طاهرة لذا قيل : « انها لهم كخبز الحزن » هوشع ٩ : ٤ . لاتكن ذبائحنا هكذا ! ....

شريعة هذه الذبيحة جديدة ونارها من نوع عجيب . نارها لاتحتاج إلى خشب يوضع تحتها ، بل نارها حّية فيها ، لاتحرق الذبيحة بل بالحرى تحييها . هذه هى الذبيحة التى كان الله يطلبها منذ القديم . لذلك يقول النبى : « ذبيحة الله روح منسحق » مز ٥١ : ١٧ ؛ كما قال الثلاثة فتية عندما قدموها : « فى ذلك الوقت لايوجدُ رئيس ولا نبى ولا قائد ولا محرقة أو موضع لنقدم فيه ذبيحة أمامك فنجد رحمة ، لكننا نقدم قلباً منسحقاً وروحاً متضعاً فاقبلنا إليك » ....

بهذا لانحتاج إلى سكين أو مذبح أو نار ، بالحرى نحتاج إلى هذه كلها لكنها ليست مصنوعة بالأيدى ، إنما تأتينا من فوق . نحتاج إلى نار علوية ، وسكين هكذا ؛ مذبحنا هو إتساع السماء !

إن كان إيليا إذ قدم ذبيحة منظورة نزلت نار من فوق إلتهمت كل الماء والخشب والحجارة فكم بالأكثر يحدث هذا بالنسبة لك ؟ !(٣١٧)] .

يحدثنا **القديس جيروم** عن هذه الذبيحة التى نقدمها لله ، قائلا : [إحضر تقدماتك ؛ أى نوع من التقدمات ؟ تقدمات نفسك ! فالبتولية هى ذبيحة محرقة للمسيح ، وكل طهارة سواء فى الحياة البتولية أو الترمل أو العفة (الزوجية) هى تقدمة ذبيحية للمسيح(٣١٨)]

ثالثاً : لماذا يقول : « قدموا أجسادكم » ؟ ولم يقل « حياتكم » ؟
بلاشك أراد الرسول أن يقدم المؤمن كل حياته ذبيحة حب لله ، لكنه ركز هنا على الجسد لأنه الاداة التى تعبر عملياً عما فى القلب والفكر دون إنفصال عن النفس . هذا من جانب ومن جانب آخر أراد أن ينزع الأفكار الدخيلة من جهة إحتقار الجسد واعتباره عنصر ظلمة .... الله يقبل الجسد ذبيحة حيّة ، إذ يراه مقدساً له .

الجسد الذى يُقدم ذبيحة حيّة مقبولة لدى الله ، بلا شك يستحق بالنعمة أن يشارك النفس فى المكافأة الأبدية ، فيقوم معها ليحيا أبدياً فى السماء .

ربعاً : إن كان الجسد يُقدم ذبيحة حية ، إنما خلال « العبادة العقلية » ، أى العبادة التى تقوم على فكر روحى أصيل .... وهى عبادة عقلية ، إذ يتفهم المؤمن بالروح أسراراً إلهية .

٢ - تجديد الخارج والداخل

« ولا تشاركوا هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ماهى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » ع ٢ .

لكن نقدم حياتنا ذبيحة حب ، يلزم أن نقدمها مقدسة للرب ، فلا تكون حياتنا على شاكلة أهل العالم الحاضر الذى يعيشون لحساب الجسد ، ويطلبون الكرامات الزمنية ، وإنما يلزم تجديد الذهن الداخلى لنحمل لا إرادتنا الذاتية بل إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة . تجديد القلب والنفس على صورة خالقنا يهبنا إرادته عاملة فينا ، فتكون تصرفاتنا الخارجية أو سلوكنا الظاهر يمثل النقاوة الداخلية .

يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** : [كيف تقدرون أن تطيعوا بولس الذى يحثكم على تقديم أعضائكم ذبيحة حية مقدسة مرضية إن كنتم تمتثلون بهذا العالم ولاتتشكلون بتجديد أذهانكم ، عندما لاتسلكون فى جدة الحياة بل تبقون سالكين فى روتين الإنسان العتيق ؟ !(٣١٩)] .

فى دارستنا للتجديد – فى كتاب : « الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر » ميّزنا بين التجديد الذى نناله فى مياه المعمودية حيث يُصلب الإنسان العتيق وننعم بالإنسان الجديد الذى على صورة خالقنا يحمل قوة القيامة فيه ، وبين التجديد الذهنى المستمر خلال نمونا الدائم بنعمة الله الدائمة الحركة فينا ، ترفعنا من قوة إلى قوة ومن مجد إلى مجد . خلال هذا التجديد المستمر بعمل النعمة الدائم نمارس الحياة المقدسة كذبيحة حب لله لاتتوقف . لذا يقول **الشهيد كبريانوس** : [إنكم تقدمون هذه الذبيحة لله ، وتحتفلون بها بغير توقف ، نهاراً وليلًا ، إذ صرتم ذبائح الله ، مظهرين أنفسكم كتقدمات مقدسة بلا عيب(٣٢٠)]

يقارن **القديس يوحنا الذهبى الفم** بين الذين يشاكلون هذا العالم أو يحملون هيئته أو « **شكله** » وبين الذين يتغيرون داخليا بتجديد أذهانهم ، فيرى فى الأولين يحملون شكل العالم الزائل خلال الأمور الظاهرة الوقتية بينما الأخيرون يحملون الحق الأبدى فى داخلهم ، إذ يقول :

[شكل (هيئة) هذا العالم حقير وزهيد ووقتى ، ليس فيه سمو ولا إستمرارية ولا إستقامة إنما هو فاسد تماماً . فإن أردت السلوك باستقامة لاتشكل نفسك حسب شاكلة هذه الحياة الحاضرة ، إذ لايوجد فيها شىء باقٍ أو مستقر . لهذا يقول « شاكلة (هذا الدهر) » وفى موضع آخر يقول : « لأن هيئة (أو شكل) هذا العالم تزول » ١ كو ٧ : ٣١ .....

إن تحدثت عن الغنى أو المجد أو جمال إنسان أو ترف أو مايشبه ذلك من الأمور العظيمة التى تريدها تجدها مجرد « شكل » وليست حقيقة . إنها مجرد عرض وقناع وليست كياناً دائماً .

« لاتشاكلوا هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم » ، لم يقل « بتغيير شكله » بل « تغيروا » مظهراً أن طرق العالم هي « شكل » أما طريق الفضيلة فليس شكلا بل كيان حقيقى يحمل جمالًا طبيعياً خاصاً به لايحتاج إلى خداعات أو أشكال خارجية تزول .....

ليس شىء أضعف من الرذيلة ، ولا ما يشيخ سريعاً مثلها ! ...... هل تخطىء كل يوم ؟ هل تجعل نفسك تشيخ ؟ لاتيأس ولاتخر بل تجدد بالتوبة والدموع مع الإعتراف وعمل الصلاح ! .....(٣٢١)] .

هكذا يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن من يحمل شكل العالم الحاضر إنما يحمل طبيعته الفانية الزائلة ، أما من يتجدد كل يوم بالتوبة فيلتقى بالحق الأبدى عوض الظلال الفانية بمعنى آخر من يرتبط بالخطية إنما تشيخ نفسه وتهلك ، ومن يرتبط بالتوبة يتجدد مثل النسر شبابه الداخلى (مز ١٠٣ : ٥) ، فيحمل فيه إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة .

٣ - التعقل فى الجهاد

إذ يطالبنا الرسول بولس بالحياة المقدسة فى الرب خلال الإمكانيات الجديدة التى صارت لنا بتجديد أذهاننا يسألنا ألا يرتئى أحد فوق ماينبغى ألا يظن فى نفسه أفضل من غيره ، فإن كان الروح يعمل فيه بطريقة فائقة لكن لكل واحد موهبته وقياس لقامته الروحية ، فيسلك فى جهاده الروحى بروح الإتضاع والحكمة بما يناسب مايناله من نعم إلهية وعطايا .

يقول الرسول : « **فإنى أقول بالنعمة المعطاة لى لكل من هو بينكم ألا يرتئى ماينبغى أن يرتئى ، بل يرتئى إلى التعقل كما قسّم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان** » ع ٣ .

يقول **القديس أغسطينوس** : [حين قال يوحنا المعمدان : « لأنه ليس بكيل يعطى الله الروح » يو ٣ : ٣٤ ، كان يتحدث بنوع خاص عن إبن الله الذى لم يتقبل الروح بكيل ، لأن الروح يسكنه فى كمال اللاهوت (كو ٢ : ٩) ....

بكونه الإبن الوحيد المساوى للآب بالطبيعة لا بالنعمة .... أما بالنسبة للآخرين فيُعطى الروح بكيل فائض حتى يبلغ كل واحد كمال ملئه .... ليس الروح هو الذى يُقسم إنما المواهب التى يمنحها الروح ، إذ توجد مواهب متنوعة ولكن الروح واحد (١ كو ١٢ : ٤) (٣٢٢)] .

إذن نحن ننعم بعطايا الروح ، كل له موهبته وقامته لكى يمتلىء ... بهذا الملء الروحى نشتاق أكثر لعمل الروح وعطاياه لنطلب أكثر فيهب ، ونبقى فى حالة نمو دائم لعلنا نبلغ قياس ملء قامة المسيح ... لكن شتان بين علاقتنا نحن بالروح وعلاقة المسيح به ، فنحن ننعم بالروح كهبة مجانية وعطية ونعمة ، أما المسيح فهو واحد مع الآب والروح القدس فى اللاهوت .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على العبارة التى بين أيدينا ، **قائلًا** :

[إذقال قبلا: « فأطلب إليكم برأفة (مراحم) الله ع ١ ، يعود هنا فيقول : « **أقول بالنعمة** » . لاحظ إتضاع فكر المعلم وروحه الخاضعة تماماً ! إنه يريد أن يقول بانه ليس أهلًا أن يكون موضع ثقة بأى حال (من ذاته) ليقدم نصيحة أو مشورة ، لذا يحمل معه تارة « مراحم الله (الرأفة) » وأخرى « النعمة » . يود أن يقول : إذ أتكلم لا أنطق بكلماتى بل بكلمة من عند الله .

لايقول : « فإنى أقول بحكمة الله » ، ولا « فإنى أقول بالناموس المُعطى من الله » ، وإنما يقول : « **بالنعمة** » ، ليذكرهم على الدوام بالهبات التى قدمت لهم ليجعلهم أكثر خضوعاً ، وليظهر لهم انهم لهذا السبب ملتزمون بطاعة مايُقال هنا .

« **لكل من هو بينكم** » ع **٣** ، لاأقول لهذا الشخص وحده أو ذاك ، وإنما الحاكم والمحكوم ، للعبد والحر ، للأمى والحكيم ، للمرأة وللرجل ، للصغير والشيخ ؛ لأن الشريعة عامة للكل ، إذ هى شريعة الرب . بهذا يجعل لغته لاتقبل المعارضة ، مقدماً دروسه للجميع ....

لأسمع : « **لايرتئى فوق ماينبغى** » . هنا يقدم لنا أم كل الأعمال الصالحة ، أى **إتضاع الفكر** ، ممتثلًا بسيده . فعندما صعد على الجبل وأخذ يقدم نسيجاً من

الوصايا السلوكية قدم فى المقدمة هذا الينبوع ، قائلا : « طوبى للمساكين بالروح » مت ٥ : ٣ ، هكذا أيضاً بولس إذ يعبر من الجوانب التعليمية إلى الجوانب العملية يحدثنا عن الفضيلة بطريقة عامة ، سائلًا إيانا أن نقدم ذبيحة عجيبة وإذ يود أن يقدم صورة خاصة بها بدأ بإتضاع الفكر كما من الرأس ، مخبراً إيانا : « **لايرتئى فوق ماينبغى ، بل يرتئى إلى التعقل** » ع ٣ .

انه يعنى القول : لقد تسلمنا حكمة لا لنستخدمها لكبريائنا وإنما لنكون متعقلى الفكر . وهو لايقول هذا لنكون منحطين فى الفكر بل نكون متعقلين ، قاصداً بالتعقل هنا الفضيلة العاقلة والصحية فى الذهن .... الكلمة اليونانية للتعقل تعنى فقط حفظ التعقل سليماً .

إذن لكى يظهر أن الذى لايكون متضعاً هكذا لايمكن أن يكون متعقلًا ، أى لايكون ذا عقل رزين صحّى ..... يدعو إلى اتضاع الفكر تعقلًا ....

أنظر كيف يستعرض بوضوح علة المرض لينزعه تدريجياً ؛ فبعد ما قال إنه يجب ان نتعقل أردف قائلا : « **كما قسّم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان** » ع ٣ ، ليقصد هنا العطية بالإيمان . بقوله « قسّم » يلاطف من له عطية أقل ، ويجعل من له نصيب أكبر متضعاً ، لأنه إن كان الله يقسمها وهى ليست بجهادك الذاتى فلماذا تتكبر ؟ .... إن كان الإيمان الذى به تتم المعجزات هو ذاته من الله فعلى أى أساس تنتفخ ؟[٣٢٣]] .

٤ - تنوع المواهب

الآن إذ سألنا أن نحمل تجديداً حقيقياً فى الداخل (ع ٢) ، فيكون لنا الفكر المتعقل مدركين بروح الإتضاع أن مانحمله حتى من إيمان هو عطية إلهية ، ليس لنا أن نفتخر بها كما لو كانت من عندياتنا أو باستحقاقنا ، فعلى هذا الاساس المتين يطالبنا بالعمل والجهاد ، معلناً إن يضرم كل واحد موهبته حسبما وهبه الله . بمعنى آخر إن تجديدنا الداخلى وإتضاع فكرنا يلهب قلبنا للعمل لاحسب هوانا بل حسب عطية الله لنا التى تتكامل مع عطاياه لإخوتنا ، وتتناغم معها بروح واحدة كلّ يعمل

فى مجاله بفرح وبهجة قلب ، فلا يحسد من يظنه أفضل منه فى الموهبة ولاينتفخ على من يظنه أقل منه فيها ..... فإن المواهب متنوعة ولكن الروح واحد (١ كو ١٢ : ٤) ؛ هى عطية النعمة الإلهية ، إذ يقول الرسول : « **فإنه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد ، هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضاً لبعض ، كل واحد للآخر ، ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا » ع ٤ - ٦**

التشبيه الذى إستخدمه الرسول هنا يرد أيضاً فى رسالته إلى أهل كورنثوس (١ كو ١٢ : ١٢ الخ) حيث يبرز الرسول جمال الكنيسة فى وحدتها وتكامل أعضائها معاً بكونهم جسداً واحداً متنوع المواهب .... هذا المفهوم هو علاج لكل نفس متشامخة على إخوتها !

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم :

[عظيم هو قوة هذا الدواء ، وعظيمة هى قدرة هذا التشبيه ، فى علاج مرض الكبرياء . لماذا تنتفخ ؟ أو لماذا يحتقر آخر نفسه ؟ أليس جميعنا جسداً واحداً ، العظيم منا والصغير ؟

إن كنا فى مجموعنا واحداً ، وأعضاءً لبعضنا البعض ، فلماذا تعزل نفسك بالتشامخ ؟ لماذا تهين أخاك ؟ فكما هو عضو لك أنت عضو له .

لقد قرر (الرسول) أمرين يكسران الروح المتكبر : الأول اننا أعضاء بعضنا لبعض ، ليس فقط الصغير عضو للكبير وإنما الكبير أيضا للصغير ، والثانى اننا جسد واحد. بل توجد نقطة ثالثة وهى أن العطية من قبل النعمة، لذلك لاتستكبر، لانها معطاه لك من الله .....

أيضاً إذ يمس موضوع المواهب لايقل ان أحداً أكبر وآخر أصغر بل ماذا ؟ المواهب **مختلفة** ! كلماته هكذا « **لنا مواهب** » ليست أقل وأعظم بل « **مختلفة** »[٣٢٤]]

الآن يقدم لنا الرسول عينات من المواهب :

أولا : « أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان » ع ٦ .

ماذا يعنى بالنبوة ؟ لايعنى مجرد الكشف عن أحداث مقبلة فى هذا العالم ، إنما غاية النبى الحقيقية هى إعلان أسرار الله نحو الإنسان لبنيان الكنيسة وتمتع البشرية بالامجاد المقبلة ، أى الكشف لا عن أحداث زمنية وإنما عن « المجد الأبدى » .

فى العهد القديم كان عمل الأنبياء الرئيسى هو الإنطلاق بشعب الله إلى ترجى مجيء المسّيا المخلص خلال الرموز والظلال والنبوات بطريقة أو أخرى ، أما وقد جاء السيد المسيح صارت النبوة فى جوهرها هى الدخول بالنفوس إلى مجيئه الأخير لتنعم بشركة الميراث معه .

هذا العمل ليس بشرياً إنما عو عطية الله للناطق والمستمع ، لذا تحتاج إلى الإيمان فى حياة الإثنين لينعما بهذه البركة الإلهية .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [وإن كانت عطية لكنها لاتُسكب جزافاً إنما يتوقف قياسها حسب مستقبليها ، إنها تفيض متى وجدت أوانٍ للإيمان قدر ما تتسع(٣٢٥)] .

ثانياً : « أم خدمة ففى الخدمة » ع ٧ .

يقول **القديس الذهبى الفم** : [حتى الرسولية تدعى خدمة ، وكل عمل روحى هو خدمة . حقا إن « الخدمة » هى إسم خاص بوظيفة معينة (أى الدياكونية) ، لكنه هنا يستخدم الكلمة بمعنى شامل(٣٢٦)] .

يقصد الرسول كل خادم ـــ أيا كانت رتبته ـــ ليعمل فيما أوكل عليه ، أى فى الخدمة ، عوض الإنشغال بأعمال الآخرين . ليكن أميناً فى خدمته أيا كانت هذه الخدمة !

ثالثاً : « أم المعلم ففى التعليم » ع ٧ .

يميز الرسول بين الرسل والأنبياء والمعلمين : « وضع الله أناساً فى الكنيسة أوّلًا رسلًا ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين » ١ كو ١٢ : ٢٨ . ربما يختلف المعلمون عن

الأنبياء فى تخصصهم للعمل التعليمى البحت كدراسات روحية بناءّة .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول بدأ بمن هم أقل « **الأنبياء** » ثم الأعظم « الرسل » ثم عاد إلى الأقل « المعلمين » حتى ينزع كل فكر للكبرياء بسبب نوعية الموهبة .

رابعاً : « أما الوعظ ففى الوعظ » ع ٨ .

يقوم التمييز بين الواعظ والمعلم على أساس ان الاول عمله الحث على التوبة خاصة بين الجماهير أما الثانى فيهتم بالفكر الدراسى الروحى ..... وإن كان غاية الكل هو إلتقاء كل نفس بالثالوث القدوس .

ربما عنى بالوعظ الحديث التأملى العاطفى ، أما التعليم فيقوم بالأكثر على دراسة موضوع معين .

خامساً : « المعطى فبسخاء » ع ٨ .

بعد أن إستعرض المواهب الروحية الخاصة بالكرازة والتعليم والوعظ والعمل الرعوى صار يتحدث عن العمل السلوكى كجزء لايتجزأ من المواهب الروحية ، فحين يحث المعطى أن يقدم بسخاء إنما يود أن يعلن له أن يكون أميناً فى عطائه .... يعطى بحب كما بغير كيل ، يعطى بقلبه المتسع .... وكما يقول السيد : « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » أع ٢٠ : ٢٥ ، بمعنى انه يعطى بفرح وتهليل ولاينتظر أجرة ؛ يشعر بلذة وبهجة روحية فى عطائه أكثر مما فى أخذه .

جاءت الترجمة اليونانية الحرفية : « المعطى فببساطة » ، لأن الإنسان البسيط يهب بسخاء .

سادساً : « المدبر فبإجتهاد » ع ٨ .

لايفصل الرسول بين المواهب الكرازية والتعليمية والرعوية وبين الخدمات الحبية (العطاء) أو التدبير .... فالكنيسة وإن حملت أعضاء لهم مواهب متنوعة لكنها مادامت تقدم بروح الإنجيل فهى متكاملة .

ليكن المدبر للأمور الكنسية عاملًا بإجتهاد روحى وغيرة مقدسة .

سابعاً : « الراحم فبسرور » ع ٩ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لايكفى أن نظهر رحمة وإنما يليق بنا أن نقدمها بإتساع ، بروح سمحة ، وليس فقط بروح سمحة بل بروح فرحة مبتهجة ..... وقد ركز على نفس النقطة بقوة عندما كتب إلى أهل كورنثوس ليحثهم على الإتساع ، إذ يقول : « من يزرع بالشح فبالشح أيضا يحصد ، ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضا يحصد » ٢ كو ٩ : ٦ . ولكى يصحح مزاجهم يقول : « ليس عن حزن أو إضطرار » ٢ كو ٩ : ٧ .... فإنك إن حزنت وأنت تصنع رحمة فأنت قاس وعنيف . إن كنت حزيناً كيف تقدر أن تسند الذين هم فى حزن ؟ ! .... هذا هو السب فى قوله الراحم فبسرور » ، لأنه كيف يكون حزين الملامح من يتقبل الملكوت ؟ ! من يبقى كئيب النظرة وهو ينال غفران خطاياه ؟ إذن لاتفكر فى إنفاقك المال (عمل الرحمة) بل فى الفيض الذى تناله خلال الإنفاق . فإن كان الذى يبرز يفرح مع أنه يبذر وهو غير متأكد من جهة الحصاد ، كم بالأكثر من يفلح السموات ؟ ! فإنك تعطى إنما القليل لتنال الكثير .... الأرملة بالفلسين حُسبت أنها فاقت من قدم وزنات كثيرة وذلك بسبب روحها المتسع[٣٢٧]] .

٥ – المحبة الأخوية

إذ حثنا الرسول على العمل ، كل حسب موهبته ، بروح متضع ، يسألنا أن نسلك بالحب الأخوى مترجماً عملياً بحب الخير للآخرين وكره الشر ، وتقديم الآخرين فى الكرامة ، إذ يقول :

«المحبة فلتكن بلا رياء .
كونوا كارهين الشر ، ملتصقين بالخير .
وادين بعضكم بعضاً بالمحبة .
مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة » ع ٩ ، ١٠ .

إن كان الإتضاع هو الخط الواضح فى إضرام المواهب ، فإن الحب هو الفكر السائد الذى يربط الكنيسة معاً فى الرب كأعضاء حيّة متكاملة ، تعيش معاً بروح الكمال ، منسجمة معاً ، تشارك بعضها البعض .

يوصينا **القديس باسيليوس الكبير** : [يليق بالمسيحى أن يكون هادئاً فى صوته ، لايجيب أحداً أو يتصرف مع أحد بخشونة أو بأستخفاف بل فى كل شيء يسلك بحلم (فى ٤ : ٥) مكرماً كل أحد(٣٢٨)] .

حدثنا الرسول بولس بفيض عن المحبة (١ كو ١٣) مبرزاً قوتها وفاعليتها بل وابديتها ، ويوصينا الرسول بطرس : « لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة » ١ بط ٤ : ٨ ،ويرى القديس يوحنا أن ممارسة الحب أشبه بتمتع بالقيامة ، إذ يقول : « نحن نعلم اننا قد إنتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة » ١ يو ٣ : ١٤ .

المحبة ليست عاطفة مجردة إنما هى تمتع والتصاق بالخير خلال إتحادنا بربنا يسوع « المحبة » ونفورنا من الشر .... بهذا تنبع المحبة من أعماق داخلية وشركة مع الله ، إذ يقول الرسول : « كل من يحب فقد وُلد من الله ، ويعرف الله .... لأن الله محبة » ١ يو ٤ : ٧ ، ٨ .... هذا مايعنيه الرسول بقوله : « **المحبة فلتكن بلا رياء» ع ٩** .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إن كان لك هذه (المحبة) فإنك لا تبالى بالخسارة المادية ولابتعبك الشخصى ولابجهادك فى الكلام ومشتقاتك وخدمتك بل تحتمل هذا كله بشجاعة ... لكى تساعد أخاك ... هذا هو الحب ، إن إقتناه أحد يقتنى كل شيء بعد ذلك] .

هكذا يرى **ذهبى الفم** ان من له الحب الذى بلا رياء يمارس الوصايا السابق ذكرها ، وأيضا يبغض الشر من أعماقه ، إذ يصير غريباً عن الأعمال الشريرة فحسب وإنما يكون غريباً عن مجرد الميل إلى الشر ؛ يدخل فى عداوة وبغضة وحرب ضد الرذيلة . ولا يقف الأمر عند الجانب السلبى أى بغض الشر وإنما يلتصق بالخير

لقد أوصى الله الإنسان أن يلتصق بامرأته (تك ٢ : ٢٤) ويكونا جسداً واحداً ، هكذا يوصينا الرسول أن نلتصق بالخير ، وكأنه زوجة نتحد معها ونصير واحداً معها .

يترجم الرسول هذه المحبة عملياً من جانبين : المودة الأخوية وتقديم الآخرين فى الكرامة (ع ١٠) . ويوصينا القديس بطرس بالمودة النابعة عن الحياة التقوية(٢ بط ١ : ٧)، ويوصينا القديس بولس بتكريم الآخرين : « حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم » فى ٢ : ٣ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [حينما يقول « **وادين بعضكم بعضاً** » ، يعنى كونوا أصدقاء وحارين أيضاً . لاتنتظر أن يحبك الغير بل إقفز نحوه بنفسك ولكن أنت المبتدىء . بهذا تحصد أجرة محبته أيضاً . إذ أظهر السبب لماذا يلزمنا أن نحب بعضنا بعضاً يخبرنا عن الطريق الذى فيه تلتهب المودة ثابتة ، إذ أردف قائلًا : « **مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة** » ع **١٠** . هذا هو الطريق الذى ينتج المودة ، والذى فيه تسكن مودة بعد إنتاجها . ليس شىء يخلق أصدقاءً مثل السعى بغيرة لتكريم الإنسان قريبه] .

٦ - حرارة الروح

« غير متكاسلين فى الإجتهاد ،
حارين فى الروح ،
عابدين الرب » ع **١١** .

إن كان الرسول بولس قد ركز أنظارنا على عطايا الله الفائقة ونعمته العاملة فينا ، لنضرم مواهبه فينا بروح الإتضاع ونسلك معاً بروح الحب ، فإن الحياة المسيحية جهاد لا ينقطع ، هى إنتهاز لكل فرصة للعمل بروح الله بإجتهاد لنحيا ملتهبين بالروح عابدين الرب بقوة .

يحثنا على الجهاد ، قائلًا : « **غير متكاسلين فى الإجتهاد** » ع **١١** . وكما يقول الحكيم سليمان : « كل ماتجده يدك لتفعله فإفعله بقوتك » جا ٩ : ١٠ ، « إذهب

إلى النحلة أيها الكسلان . تأمل طرقها وكن حكيماً » أم ٦ : ٦ . ويوصينا القديس بطرس الرسول : « وأنتم باذلون كل إجتهاد قدموا فى أيمانكم فضيلة ... لذلك بالأكثر إجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم وإختياركم ثابتين ، لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً » ٢ بط ١ : ٥ ، ١٠ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** :

[كيف نصير « غير متكاسلين فى الإجتهاد (فى الغيرة) » ؟ « **حارين فى الروح**» ..... أى نكون حارين ومتيقظين ..... إن سكن الروح فيك يجعلك صالحاً لتحقيق تلك الأهداف ، ويصير كل شيء سهلًا بالروح والحب وتتلألأ أنت من كل جانب » .

إن كان روح الله ناراً متقدة ، فإننا إذ نتجاوب معه يلهب أعماقنا ، ويحولنا إلى لهيب متقد ، لاتستطيع مياه كثيرة أن تطفئه . هذا اللهيب الروحي يعلمنا كيف نعبد الرب بالروح والحق ، لذا يكمل الرسول حديثه قائلًا : « **عابدين الرب** » ع ١١ .

يحدثنا القديس جيروم عن الوصية الرسولية : « **حارين فى الروح** » ، قائلًا :

[عندما يقول الرسول : حارين فى الروح ، إنما يعنى كونوا صادقين فى الحكمة(٣٢٩)] .

[ليهبنا الله ألا يزحف البرود إلى قلبنا (مت ٢٤ : ١٢) ، فإننا لانرتكب خطية إلا بعد أن تبرد المحبة ....

« إلهنا نار آكلة » تث ٤ : ٢٤ ، فإن كان الله ناراً إنما لكى ينزع برودة الشيطان(٣٣٠)] .

هذا الروح النارى يلهبنا فنعبد الرب بالروح فوق حدود الزمن والأحداث ، لنعيش بالروح فى حالة نصرة دائمة وأعظم من نصرة ، وكما يقول **القديس البابا أثناسيوس الرسولى** :

[إن كنت تخش الأزمنة وتعمل بجبن فذهنك ليس ناضجاً . يليق بك أن تظهر غيره نحو المسيح ، وتواجه الظروف بشجاعة ، مستخدماً لغة الطوباوى بولس : « فى هذه جميعها نحن أكثر من غالبين » رو ٨ : ٣٧ . الأكثر هنا هو أننا نعبد الرب لا الزمن [٣٣١]] . هكذا يرى **البابا أثناسيوس** فى النفوس الضعيفة غير الحارة انها عبدة الزمن لا الرب ، تسلك فى العبادة حسب الظروف والأحداث بروح الضعف لا الغلبة .

٧ - الفرح فى الرجاء

إذ يلهبنا الروح القدس فنعبد الرب فوق حدود الزمن نمتلىء رجاءً بالأمور غير المنظورة فنفرح قلوبنا ويتسع قلبنا لإحتمال الضيق ملتجئين إلى الله بالصلاة الدائمة ، إذ يقول الرسول : « **فرحين فى الرجاء ، صابرين فى الضيق ، مواظبين على الصلاة** » ع ١٢ .

يقول **القديس أغسطينوس** : [لنصغ ولنبتهج فى الرجاء حتى وإن كان الحاضر حياة لاتُحب وإنما تُحتمل ، إذ تكون لك القوة على إحتمال كل تجاربها[٣٣٢]] .

ويرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول فى وصاياه هذه يقدم سلسلة من الامكانيات تعين المؤمن فى جهاده ، إذ يعلق على هذه العبارة الرسولية ، قائلاً :

[هذه الأمور كلها هى وقود لهذه النار . فعندما طلب إنفاق المال (ع ٨) وإحتمال التعب والتدبير بإجتهاد (ع ٨) والتعليم (ع ٧) وغير ذلك من الأعمال يّمد المصارع بالحب والروح خلال الرجاء .

ليس شيء يجعل النفس شجاعة هكذا ومحبة للمخاطرة مثل الرجاء ! وقبل نوالنا الأمور التى نترجاها يقدم لنا مكافأة هى : « **صابرين فى التجارب** » . قبل نوالنا الأمور المقبلة تتمتع فى الحياة الحاضرة بصلاح عظيم خلال التجارب إذ تصير إنساناً صبوراً ومجرّباً .

يقدم لنا أيضاً عوناً آخر : « **مواظبين على الصلاة** »

الحب يجعل الأمور سهلة ، والروح يعين ، والرجاء ينير ، والتجارب تصقلك فتجعلك مجرباً قادراً على إحتمال كل شيء بشهامة ، يرافق هذا كله سلاح عظيم جداً هو الصلاة .

ها أنت تراه يقدم للمصارعة بكل طريقة قدماً ثابتة ، مظهراً أن الوصايا تُمارس بطريقة سهلة[(٣٣٣)]] .

٨ – الشركة فى إحتياجات القديسيين

إن كان « الحب » هو الخط الواضح فى كل هذه الوصايا الرسولية ، فأحد ملامح هذا الخط العملى هو : « **مشتركين إحتياجات القديسين ، عاكفين على إضافة الغرباء** » ع **١٣** . هذا هو ثمر طبيعى للعضوية فى الجسد الواحد ، إذ يشارك العضو أخاه فى إحتياجاته . نرى ذلك واضحاً فى مساهمة أهل فيلبى فى إحتياجات القديس بولس الذى فرح لا بالعطية فى ذاتها وإنما بثمر الحب المتكاثر ، إذ كتب إليهم هكذا . « أرسلتم إلىّ مرة ومرتين لحاجتى ، ليس انى أطلب العطية بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم .... فيملأ إلهى كل إحتياجاتهم بحسب غناه فى المجد فى المسيح يسوع » فى ٤ : ١٦ – ١٩ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لم يقل : « معطين » بل قال « مشتركين فى إحتياجات القديسين » مظهركا انهم ينالون أكثر مما يهبون ، فإن الأمر هو تجارة ، إذ هى « شركة » . هل قدمت لهم مالًا ؟ هم يقدمونك شهماً أمام الله . « **عاكفين على إضافة الغرباء** » . لم يقل « مضيفين للغرباء » بل « عاكفين » عليها ، ليعلمنا ألا ننتظر أن يسألوننا ، لا يأتون هم بل نحن نجرى إليهم لنعكف حتى نجدهم . هكذا فعل لوط ، وأيضاً إبراهيم . فقد قضى إبراهيم كل يومه منتظراً ضحية صالحة ، وإذ رآها أسرع إليها وجرى للإلتقاء بهم وسجد أمامهم إلى الأرض ، وقال : « ياسيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك » تك ١٨ : ٣ . ليس كما نفعل نحن عندما نرى غريباً أو فقيراً نقطب جبيننا ولانود حتى الحديث معه . وبعد الاف التوسلات نلين فنأمر الخادم أن يعطيه شيئاً تافهاً ، ظانين اننا قمنا بواجبنا[(٣٣٤)]] .

أرسل **القديس كبريانوس**[٣٣٥] **يشكر أساقفة نوميديا** Numidia لأنهم سمحوا له أن تشترك كنيسته من إخوة وإخوات وزملاء فى المساهمة بدفع مبلغ إليهم لتحرير الإخوة الذين أسرهم البرارة . هكذا كانت عادة الكنيسة الأولى انها تشعر بفرح شديد حين يُسمح لها بمثل هذه الشركة فى خدمة القديسين .

٩ – مباركة المضطهدين

« باركوا على الذين يضطهدونكم ، باركوا ولا تلعنوا » ع ١٤ .

جاء الوصية الإلهية تأمرنا أن نبارك الذين يضطهدوننا (مت٥ : ٤٤؛لو٦ : ٢٨). فإننا إذ كنا نستحق اللعنة حملها السيد المسيح عنا على الصليب ليهبنا بركته عاملة فينا ، يليق بنا أن نرد له هذا العمل فى خليقته التى يحبها فنحب مضطهدينا مباركين إياهم .... لقد صارت حياتنا بالمسيح تحمل بركته ، فكيف نستطيع أن نلعن أحداً ؟ ! لذلك يقول معلمنا يعقوب الرسول : « من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة ؛ ألعل ينوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمّر ؟ ! » يع ٣ : ١٠ ، ١١ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لم يقل : لاتكن شتاما ولامنتقما ، وإنما سألنا ماهو أفضل : « باركوا على الذين يضطهدونكم » ..... فإن إنساناً هكذا يعمل بحكمة ، وهذا هو عمل الملائكة . بعد قوله « باركوا » قال « **لاتلعنوا** » لئلا نمارس الإثنين معاً . الذين يضطهدوننا يمدوننا بمكافأة لحسابنا . فإن كنت متعقلًا فلتضف إلى المكافأة مكافأة أخرى تقدمها لنفسك . هو يهبك الإضطهاد ، هب لنفسك مباركتك للآخرين ، بهذا تقتنى علامة عظيمة جداً لمحبة المسيح . فمن يلعن مضطهده يظهر أنه لايُسر بإحتمال الآلام من أجل المسيح ، هكذا من يبارك يظهر عظمة حبه للمسيح[٣٣٦]] .

١٠ – الشركة العملية

« فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين » ع ١٥

هذه الشركة لاتقوم على فكر إجتماعى بحت أو مجاملات ظاهرية ، وإنما عن شركة الأعضاء التى تشعر ببعضها البعض .....

ربما يسهل على الإنسان أى يحزن مع الحزين ويئن مع أناته ، لكن يصعب جداًأن يفرح أخيه ، مع فرح أخيه ، وكما يقول أن هذا يتطلب نفساً سامية ، فلا يحسد أخاه على نجاحه بل يفرح معه حاسباً كل نجاح لأخيه هو نجاح لنفسه . يقول الرسول : « فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه ، وإن كان عضو يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه ، وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً »١ كو١٢ : ٢٦ ، ٢٧ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ليس شىء يثّبت الحب بقوة مثل المشاركة فى الفرح والألم . ليس لأنك بعيد عن المتاعب تنعزل عن مشاركة الآخرين أيضا . فعندما يتعب قريبك إحسب الضيق خاصاً بك . شاركه دموعه لكى تسند روحه المنسحقة ، وشاركه فرحه ليصير الفرح فيه عميقاً متأصلًا ؛ ثبت المحبة إذ بهذا تخدم نفسك أكثر من خدمتك له . فبدموعك تصير أنت رحوماً وبمشاعر البهجة تنقى نفسك من الحسد والغم .... إن كنت لاتستطيع أن تنزع عنه الشرور شاركه بدموعك فتزيل عنه نصف الشر ؛ وإن كنت لاتستطيع أن تزيد خيراته فشاركه فرحة فتضيف إليه أمراً عظيماً(٣٣٧)] .

١١ - الاتضاع

« مهتمين بعضكم لبعض إهتماماً واحداً ، غير مهتمين بالأمور العالية ، بل منقادين إلى المتضعين ؛ لاتكونوا حكماء عند أنفسكم » ع ١٦ .

يحثنا على المحبة التى « لاتطلب ما لنفسها » ١ كو ١٣ : ٥ ، بل ماهو للغير (فى ٢ : ٤) كأنه لنفسها .... هذا هو الحب الذى به يحب الإنسان قريبه كنفسه ، مهتماً إهتماماً واحداً ..... غير مميز بين ماهو لنفسه وماهو لغيره .

بهذا الروح لايهتم المؤمن بالأمور العالية ، أى بغنى هذا العالم وأمجاده وكرامته ، ولا بمعاشرة الأغنياء والعظماء لأجل غناهم وكرامتهم بل ينقاد إلى النفوس المتضعة وإلى الفقراء ، حاملًا فكر المسيح ، كقول الرسول : « فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلًا لله

لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد » فى ٢ : ٥ - ٧ . وقد عاش السيد المسيح منقاداً إلى المتضعين ، إذ قيل : « أما إختار الله فقراء هذا العالم أغنياء فى الإيمان ورثة الملكوت ؟ ! » يع ٢ : ٥ .

لنقبل فكر المسيح هذا ولا نسلك بالحكمة البشرية المتعجرفة : « **لاتكونوا حكماء عند أنفسكم** » ع ١٦ ، وكما جاء فى سفر الأمثال : « أرأيت رجلًا حكيماً فى عينى نفسه ؟ ! الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به » أم ٢٦ : ١٢ ، لأن الجاهل قد يدرك جهله فيقبل المشورة ، أما الحكيم فى عينى نفسه فيعيش متصلفاً لايقبل مشورة الله ولا نصح الكنيسة .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه الوصايا الرسولية ، قائلا :

[مرة أخرى يركز على إتضاع الفكر ، الأمر الذى سبق فحث به ، إذ كانت الإحتمالات قائمة لأن يمتلؤا تشامخاً أما بسبب مدينتهم (كعاصمة الدولة الرومانية) أو لأسباب أخرى متنوعة .... ليس شيء يسبب إنشقاقات فى الكنائس مثل (المجد) الباطل .

ماذا يعنى بقوله : « **مهتمين لبعضكم البعض إهتماماً واحداً** » ع ١٦ ؟ هل دخل فقير إلى بيتك ؟ تشبه به فى سلوكك ؛ لاتضع أشياء فاخرة للمباهاة بغناك . ليس غنى ولافقير فى المسيح . لاتخجل من الفقير بسبب ملابسه الخارجية بل إقبله من أجل إيمانه الداخلى . إن رأيته فى حزن فلا تمتنع عن مواساته ، وإن رأيته فرحاً فلا تخزه بل شاركه فرحه ...... إحمل فى ذهنك ماله كما لك أنت ، إذ قيل : « مهتمين بعضكم لبعض إهتماماً واحداً » . كمثال إن كنت تحسب نفسك إنساناً عظيماً فإحسبه هو أيضا كذلك .....

« **غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين** » ع ١٦ ، بمعنى إنزل إلى إتضاعهم وشاركهم ، سر ... ؛ لاتضع فقط من جهة الفكر وإنما كن معيناً وابسط يدك إليهم ليس كمن ... آخرون بل كأ... شخصك أنت ، كما يهتم الأ... بطفله ، والرأس بالجسد . وكما يقول فى موضع اخر : « كأنكم مقيدون معهم » عب ١٣ : ٣ ....

« **لاتكونوا حكماء عند انفسكم** » ع ١٦ . لاتظنوا أنكم تستطيعون العمل بذواتكم يقول الكتاب فى موضع آخر : « ويل للحكماء فى أعين أنفسهم ، والفهماء عند ذواتهم » إش ٥ : ٢١ .... ليس شيء ينفخ البشر ويجعلهم يحسبون أنفسهم مختلفين عن غيرهم من البشر مثل ظنهم أنهم قادرون أن يعملوا بذواتهم . لذلك وضعنا الله فى مكان فيه يحتاج كل للآخر ؛ فإن كنت حكيماً تشعر أنك محتاج للآخر ، أما إن حسبت نفسك فى غير إحتياج إلى الغير فأنت أكثر الناس غباءً وضعفاً ..... لاتحسب نفسك انك تنحط بإحتياجك للغير ، بل هذا بالأكثر يمجدك ، ويجعلك أقوى ، وأكثر بهاءً ، وفى آمان أعظم(٣٣٨)] .

١٢ - مسالمة الجميع

« لاتجازوا أحداً عن شرّ بشرّ ، معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس .
إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس .
لاتنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكاناً للغضب .
لأنه مكتوب : لى النقمة أنا أجازى يقول الرب .
فإن جاع عدوك فأطعمه ، وإن عطش فإسقه ،
لأنك إن فعلت هذا تجمع جمع نار على رأسه .
لايغلبنك الشر بل إغلب الشر بالخير » ع ١٧ - ٢١

سبق لنا الحديث عن هذه الوصايا فى دراستنا للإنجيل بحسب متى (أصحاح ٥) ، لذا أكتفى هنا بإبراز النقاط التالية :

أولا : ان الانسان المسيحى يعتنى بأمور حسنة قدام جميع الناس ، يهتم بالشهادة لله محب البشر ، فلا يجد مجالًا لرد شر الآخرين بالشر .... لايتلائم هذا مع غايته ولا مع طبيعته الجديدة التى تمتع بها .

ثانياً : يقول « **إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس** » ، إذ يليق بنا بذل كل الجهد لنكسب كل نفس بالحب والسلام ، لكن هناك أوضاع يستحيل فيها ذلك مثل مقاومة الهراطقة للإيمان ، إذ يستحيل أحيانا مسالمتهم لأنهم يخدعون البسطاء إلى الجحود أو الإيمان المنحرف إن تسللوا إلى الكنيسة ، أو إنكار أحد الزوجين الإيمان (١ كو ٧ : ١٥) .

ليتنا نبذل كل الجهد أن نسالم إن أمكن كل البشرية فننعم بسلام أورشليم السماوية فينا ، وكما يقول **القديس جيروم** : [من كان ليس فى سلام مع أخيه فهو خارج تخوم أورشليم(٣٣٩)] .

ثالثاً : ماذا يعنى بقوله : « **لاتنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكاناً للغضب** » ع ١٩ إن كان يقصد به غضب الانسان ، فيعنى أن نحتمل غضبه بالصبر

وتقابل ثورته بالحب كقول السيد المسيح : « لاتقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحّول له الآخر أيضا » مت ٥ : ٣٩ .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** إنه يقصد « غضب الله » ، بمعنى ألا ينتقم الإنسان لنفسه تاركاً الأمر لله نفسه مدافعاً عنه ، إذ يقول : [إتركه لله ولتهتم أنت بأخطائك] .

يقدم لنا **القديس أمبروسيوس** أبانا يعقوب كمثل حىّ للهروب من وجه أخيه عند غضبه ، إذ يقول :

[إمتثل بالأب (اسحق) الذى بمشورة الأم (رفقة) جعله يهرب بعيداً

من هى هذه الأم ؟ إنها « رفقة » التى هى « الصبر » ....
لقد أحبت الأم ابنها لكنها فضلت أن يحرم منها عن أن يحرم من الله (فأشارت عليه بالهروب من الغضب)[٣٤٠]] .

[تعّلم مشورة الصبر ، مفضلا أن يهرب ليعيش فى أرض غريبة عن أن يثير غضب أخيه ، ولم يرجع حتى شعر أن أخاه قد هدأ . بهذا وجد نعمة عظيمة لدى الله[٣٤١] » .

رابعاً : ماذا يعنى « تجمع جمر نار على رأسه » ؟ هل نقدم الطعام للعدو الجائع والماء للظمآن بقصد أغاظته ؟ !

رأينا فى دراستنا لإنجيل متى (٥ : ٤٤) أن الوصية بعيدة كل البعد عن هذا المفهوم ، إنما تعنى جمر نار روح الله الذى ينقى العدو بالتوبة حتى يدرك حبك مقابل عداوته .

+ إنها تعنى انك تنقى عدوك من الخطية ، لأن صبرك يغلب مشورته .

+ بمعنى آخر ، إنك تشفيه من رذائله بحرق حقده لترده بالتوبة .

+ حتى الناموس يعلمنا أن نحب العدو ، فإن سقط حيوان العدو يلزمنا أن نرفعه

(تث ٤٢ : ٤) ويخبرنا الرسول : « فإن جاع عدوك فإطعمه ، وإن عطش فإسقه ، لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه » ، لابطريق اللعنة والإدانة كما يظن غالبية الناس وإنما بتهذيبه وجذبه إلى التوبة ، فيغلبه الحنو ، ويذوب بدفء الحب ، فلا يصير بعد عدواً .

القديس جيروم[٣٤٢]

خامساً : يوصينا الرسول : « **لايغلبنك الشر بل إغلب الشر بالخير** » ع ٢١ ، فإن كان الشر يجعل الانسان ضعيفاً فلا تقابل الضعيف بالضعيف ، إنما قابله بإتساع القلب فى نضوج الحب . وكما يقول **الأب يوسف** : [بلطفنا نقهر غضبهم .... الإنسان الضعيف لا يقدر أن يعين الضعيف ، ولا من يعانى أمراً يقدر أن يشفى عليلاً مثله . أما من كان غير خاضع للضعف فهذا يستطيع أن يقدم علاجاً للضعيف[٣٤٣]] .



سبق فتحدث الرسول عن المسيحى والحياة اليومية (ص ١٢) مظهراً كيف يليق به أن يترجم إيماناً عملياً فى كل حياته ، سواء فى عبادته لله أو تقديس جسده بالروح القدس ، أو فى علاقته بالمؤمنين كأعضاء معه فى الجسد الواحد ثم مع جميع الناس حتى مضطهديه ، مقدماً بنعمة الله شهادة حّية لمسيحه محب البشر . الآن يحدثنا الرسول عن مركزه كمواطن حّى يشعر بإلتزاماته نحو وطنه بروح التواضع والإحترام . فإن كان المؤمن يدرك أن قلبه قد إنطلق نحو السماء ليجد له فيها موطناً أبدياً ، فهذا يزيده إلتزاماً بالخضوع والحب ليشهد للوطن السماوى خلال سلوكه العملى .

١ – الخضوع للسلاطين . ١ – ٥ .
٢ – أمانته نحو الوطن . ٦ – ٧ .
٣ – إلتزامه بحب القريب . ٨ – ١٠ .
٤ – إستعدادنا للوطن السماوى ١١ – ١٤ .

+ + +

١ - الخضوع للسلاطين

« لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله ، حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة » ع ١ ، ٢ .

بلاشك كانت علاقة اليهود الحكام - غير الإسرائيليين - تمثل مشكلة ، إذ تمسكوا بحرفية الوصية الموسوية : « إنك تجعل عليك ملكاً الذى يختاره الرب إلهك ، من وسط إخوتك تجعل عليك ملكاً ، لايحل لك أن تجعل رجلًا أجنبياً ليس هو أخاك » تث ١٧ : ١٥ . لقد أساء اليهود فهم هذه العبارة فكانوا يقاومون السلطات أينما وجدوا ، وكانوا مثيرى شغب فى روما حتى إضطر الإمبراطور كلوديوس قيصر إلى طردهم من روما (أع ١٨ : ٢) حوالى عام ٤٩ م . لقد إرتبطت العقيدة الدينية فى ذهن اليهودى بالسياسة ، فحسبوا أن المسّيا المخلص قادم لإنقاذهم من السلطة الرومانية وبسط نفوذهم على مستوى العالم ، الأمر الذى دفعهم إلى صلب ربنا يسوع المسيح إذ لم يجدوا فيه سؤل قلبهم . أما المسيحى فكمؤمن حقيقى يدرك أن السماء هى دائرة إهتمامه الداخلى ، كقول الرسول : « فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا مافوق حيث المسيح جالس عن يمين الله ، إهتموا بما فوق لا بما على الأرض » كو ٣ : ١ ، ٢ . هكذا ينسحب قلبه إلى السمويات مدركاً ان حياته كلها فى يّدى الله ضابط الكل . هكذا لايطمع المسيحى كمؤمن فى مراكز زمنية ولا يرتبط إيمانه بالسياسة ، إذ يرى فى كنيسته ليست مؤسسة زمنية وإنما « حياة سماوية » ، لاتدخل فى السياسة ، وإنما تقبل الكل بروح الإتضاع والخضوع والحب فى الله .

كتب الرسول بولس : « **لتخضع كل نفس للسلاطين ، لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله** » ع ١ ، وذلك فى الوقت الذى كان فيه نيرون يضطهد الكنيسة بكل عنف .... ، إذ كان يؤمن ان نيرون أيضاً - بالرغم من شره - قد أُقيم بسماح إلهى لخير الكنيسة ، وليس عمل الكنيسة أن تقاومه لا فى الظاهر ولا بالقلب ، إنما ترد مقاومته بالحب والخضوع فى الأمور الزمنية مادامت لاتمس إيمانها بالله .

جاء فى سفر الأمثال : « بى تملك الملوك ، وتقضى العظماء عدلًا ، بى تترأس الرؤساء والشرفاء ، كل قضاة الأرض » أم ٨ : ١٥ ، ١٦ ، « قلب الملك فى يد الرب كجداول مياه حيثما شاء أن يميله » أم ٢١ : ١ ، لهذا لاتكف الكنيسة عن أن تصلى من أجل النـ س أو الملك ومشيرى رجاله لكى يعطيهم الرب سلاماً وحكمة ....

يحدثنا **القديس يوحنا الذ ى الفم** عن خضوع الكنيسة للحكام ، قائلًا : [إن كان يليق بنا أن نجازى الذين يضروننا بالخير فكم بالحرى يليق بنا أن نطيع من هم نافعون لنا ؟ ! ...... لقد أظهر (الرسول) أن هذه التعليمات تشمل الكل كالكهنة والرهبان وليس فقط الذين يمارسون أعمالًا عالمية .... إذ يقول : « **لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة** » ع ١ . فإن كنت رسولًا أو انجيلياً أو نبياً ، أو أ ا كنت فلتعلم ان هذا ليس ـدمراً للدين(٣٤٤)] .

يفسر لنا **القديس يوحنا الذهبى الفم** موضحاً اننا نلتزم بالخضوع للرؤساء والحكام لأن هذا التدبير هو من الله ، لايمعنى كل ملك أو مسئول أُقيم من عند الله وإنما التدبير ذاته هو من الله ، إذ يقول : [ماذا تقول ؟ هل كل حاكم إختاره الله ؟ يجيب : لست أقول هذا ، فإننى لا أتحدث عن أفراد وإنما عن المركز نفسه ، إذ يجب أن يوجد حكام ومحكومين ، حتى لاتسير كل الأمور ى إرباك ، فيصير الناس كالأمواج – يتخبطون من هـ وهناك ، هذا ماأقول عنه انه حكمة الله . لذلك لم يقل : « لأنه ليس حاكم إلا من الله » وإنما يقول : « ليس سلطان إلا من الله » . وذلك كما يقول الحكيم : « زواج الرجل بإمرأة من عند الرب » أم ١٩ : ١٤ (الترجمة السبعينية) ، بمعنى أن الله أوجد الزواج لكن فى هذا لايعنى أنه هو الذى يأتى بكل رجل يتزوج بإمرأة. فإننا نرى كثيرون يتزوجون للشر تحت شريعة الزواج ، هذا لاننسبه لله] .

يكمل **القديس يوحنا الذهبى الفم** مظهراً ان الخضوع هنا ليس لأجل منفعة زمنية وإنما من أجل الله نفسه . فالخضوع هنا لايعنى ضعفاً بل « طاعة فى الرب » ، لذا يليق بالمؤمن فى خضوعه أن يخاف لامن الـا ـ وإنما من الشر : « **فإن الحكام ليس خوفاً للأعمال الصـالحة بل الشريرة . افتريد أن لاتخاف السلطان ؟ افعل**

الصلاح فيكون لك مدح منه ، لأنه خادم الله للصلاح ، ولكن إن فعلت الشر فخف ، لأنه لايحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر . لذلك يلزم أن يُخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير » ع ٣ – ٥ .

هكذا يرفعنا الرسول من الخضوع عن خوف أو للتملق إلى الخضوع عن ضمير داخلى حق ، فيكون خضوعنا للسلاطين نابعاً عن أعماقنا الداخلية ، ممارسين الخير والصلاح وممتنعين عن الشر من أجل الضمير الداخلى . هكذا يلتقى خضوعنا للسلطان بتقديسنا الداخلى .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على العبارة الرسولية السابقة ، قائلا : [انظروا كيف يجعل منهم أصدقاء للحاكم ، مظهراً انه يمتدحهم من عرشه ، فلا مجال للغضب .... ليس الحاكم هو السبب فى الخوف وإنما شرنا !] .

٢ – أمانته نحو الوطن

فى خضوعنا للسلطان نمارس وصية إنجيلية كجزء لايتجزأ من حياتنا الروحية .... هذا الخضوع لايكون بالفم أو اللسان وإنما بالعمل الجاد ، بإيفاء الوطن حقه علينا ، فبسرور نقدم الإلتزامات ، إذ يقول الرسول : « **فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضا ، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه ؛ فاعطوا الجميع حقوقهم ، الجزية لمن له الجزية ، الجباية لمن له الجباية ، الخوف لمن له الخوف ، والإكرام لمن له الإكرام » ع ٦ ، ٧ .**

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول قد حّول مايراه الكثيرون ثقلًا إلى راحة ، فإن كان الشخص ملتزم بدفع الجزية إنما هذا لصالحه ، لأن الحكام « هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه » ، يسهرون مجاهدين من أجل سلام البلد من الأعداء ومن أجل مقاومة الأشرار كاللصوص والقتلة .... فحياتهم مملوءة أتعاباً وأسهاراً بينما تدفع أنت الجزية لتعيش فى سلام يُحرم منه الحكام أنفسهم . هذا مادفع الرسول بولس أن يوصينا لا بالخضوع للحكام فحسب وإنما بالصلاة من أجلهم لكى نقضى حياة هادئة مطمئنة (١ تى ٢ : ١ ، ٢) .

هذا وان كلمة « إعطوا » هنا فى الأصل اليونانى تعنى « ردوا » ، فما نقدمه من جزية أو تكريم للحكام ليس هبة منا وإنما هو إيفاء لدين علينا ، هم يسهرون ويجاهدون ليستريح الكل فى طمأنينة .

سبق لنا الحديث بإفاضة عن الوصية الإلهية : « إعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فى تفسيرنا مت ٢٢ : ٢١ ، ١ بط ٢ : ١٣ ، ١٧ .

هذا والجزية هنا يقصد بها مايأخذه الحاكم على النفوس والعقارات ، أما الجباية فيأخذها على التجارة .

٣ - إلتزامه بحب القريب .

التزامنا نحو الوطن لايقف عند الخضوع للسلاطين ودفع إلتزاماتنا المادية كالضرائب وإنما يمتد أيضا لحب كل إنسان ، إذ يقول الرسول : « **لاتكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً ، لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس** » ع ٨ .

لايستريح المؤمن مادام عليه دين ، فيبذل كل الجهد أن يفي دين الآخرين عليه ، ولعله يقصد هنا أنه يليق بالشعب أن يفوا الحكام الدين ، لأن الآخرين يبذلون كل الجهد لأجل سلام الشعب .

على أى الأحوال يليق بنا أن نفى كل إنسان دينه ، إنما نبقى نشعر بدين الحب نحو الكل من أجل الله الذى أحبنا ، فنعيش كل حياتنا نرد حب الله لنا بحبنا للناس . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** عن إيفاء دين الحب [يريدنا أن نبقى على الدوام نفى الدين ، ولاينتهى] . يسألنا **القديس أغسطينوس** ان نطلب من الله الحب حتى نقدر أن نفى الدين(٣٤٥) .

بهذا الفكر لانمارس « الحب » وحده ، إنما نكمل الناموس كله ، « **لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس** » ع ٨ . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [مرة أخرى يناقش الأعمال الصالحة ، المنتجة لكل فضيلة ...:.. إنك مدين لإخيك بالحب ، لأننا أعضاء لبعضنا البعض ؛ فإن تركنا الحب تمزق الجسد إلى

اشلاء . إذن فلتحب أخاك ، فإن كنت بصداقتك له تقتنى إتمام الناموس كله فأنت مدين له بالحب بكونك تنتفع به] .

يوضح الرسول ذلك بقوله : « **لأن لاتزنِ ، لاتقتل ، لاتشهد بالزور ، لاتشته ، وإن كان وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة : أن تحب قريبك كنفسك** » ع ٩ .

إذ يمتلئ القلب حباً حقيقياً إنما يمتلئ بالله نفسه الذى يشبع القلب والنفس والعواطف والأحاسيس ، فلا يحتاج الإنسان إلى ملذات العالم وإغراءاته ولا شهوات الجسد ولا خداعات الخطية تملأ حياته . الحب مشبع للكيان الإنسانى ، ومبهج للحياة !

بالحب أيضا نلتقى مع السيد المسيح محب البشر ، فتصير الوصايا الإنجيلية هى ناموس حياتنا الداخلية ، عندئذ يكمل فينا الناموس بكونه وصايا سهلة وهينة .

يكمل الرسول حديثه ، قائلًا : « **المحبة لاتصنع شراً للقريب ، فالمحبة هى تكميل الناموس** » ع ١٠ .

المحبة وهى أم كل فضيلة ، ترفع الإنسان فى أعماقه فوق كل شر ، ليحيا بالروح مكملًا الناموس .

+ حيث يوجد الحب ماذا نحتاج بعد ؟ .... وحيث لايوجد الحب فأى شىء يمكن أن يكون نافعاً ؟ ! فإن الشيطان يؤمن (يع ٢ : ١٩) لكنه لايحب ، لكن ليس أحد يحب مالم يؤمن .

القديس أغسطينوس(٣٤٦)

+ المحبة هى تكميل الناموس، مثل المسيح (الذى أكمل الناموس)... بالحب تكمل الوصايا: لاتزن، لاتشته إمرأة قريبك، تلك الخطايا التى منُعت قبلا بالخوف .

القديس أكليمنضس الإسكندرى(٣٤٧)

+ الحب هو بداية الفضيلة ونهايتها ، الحب هو جذورها وأساسها وقمتها . إن

كان الحب هو البداية والتكميل ، فماذا يعادلها ؟ !

القديس يوحنا الذهبى الفم(٣٤٨)

٤ – إستعدادنا للوطن السماوى

إن كان يليق بنا أن تكون أمناء بالنسبة لوطننا الأرضى فنخضع للسلاطين ونقدم لهم الكرامة عملياً بالحياة الفاضلة ، ونحب جميع إخوتنا كأنفسنا ..... فإن هذا الإلتزام ينبع عن أعماقنا الملتهبة بحب الوطن السماوى ، وشوقنا الدائم للأستعداد للإنطلاق إليه .

يقول الرسول : « **هذا وانكم عارفون انها الآن ساعة لنستيقظ من النوم ، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا** » ع ١١ .

لنكن أمناء ومحبين للكل لأن أيامنا على الأرض مقصرة ، هى مجرد « ساعة » ، وكأنها ساعة نوم نستيقظ لنجد أنفسنا مع الله وجهاً لوجه فى ملكوته السماوى أبدياً .

يشعر الرسول أن كل يوم ينقضى إنما يدخل به إلى الأبدية مقترباً من نهاية حياته الزمنية لينعم بشهوة قلبه .... كأنه يترقب خروجه من العالم يوماً وراء يوم ، وساعة بعد ساعة ! هذه هى إحساسات الكنيسة الأولى ، إذ نسمع : « الوقت منذ الآن مقصّر » ١ كو ٧ : ٢٩ ؛ « نهاية كل شيء قد إقتربت » ١ بط ٤ : ٧ ؛ « هى الساعة الأخيرة » ١ يو ٢ : ١٨ .

+ لقد إقتربت القيامة ، إقتربت الدينونة الرهيبة ، إقترب اليوم الذى يحرق كأتون . لذلك وجب علينا أن نتحرر من تغافلنا .....

أنظر كيف يضع القيامة قريبة جداً منهم ، فالأيام تتقدم لينتهى زمان حياتنا الحاضرة ، والحياة العتيدة تقترب ..... فإنه لايليق أن يكونوا فى بداية سعيهم غير ملتهبين غيرة وقد بلغ شوقهم كمال شدته ليفتروا فى غيرتهم مع مرور الزمن ..... إنما يجب أن يحدث العكس ألا أن يتراخو بعامل الزمن وإنما أن يزدادوا قوة أكثر فأكثر . فكلما إقترب مجيء الملك يلزم بالأكثر أن يستعدوا ؛ كلما إقتربت المكافأة بالأكثر

يصحون فى صراعهم كما يحدث فى المباريات حيث يزداد حماس المتسابقين كلما إقتربت نهاية المباراة .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٣٤٩]

يكمل القديس بولس حديثه ، قائلاً : « **قد تناهى الليل وتقارب النهار ، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور ، لنسلك بلياقة كما فى النهار ، لابالبطر والسكر ، لا بالمضاجع والعهر ، ولا بالخصام والحسد ، بل إلبسوا الرب يسوع ولا تصنعوا تدبيراًللجسد لأجل الشهوات » ع ١٢ – ١٤ .**

يرى القديس بولس ان ليل الحياة الحاضرة يتناهى لكى يقترب نهار الأبدية التى بلا ليل ، لذا لاق بنا أن تتهيأ لهذا النهار فنحمل فينا السيد المسيح « شمس البر » ، نلبسه فيحطم فينا كل أعمال الظلمة ، مشرقاً علينا بأعماله المقدسة كأسلحة نور .

يشبه القديس غريغوريوس (الكبير) الرسول بولس هنا بالديك الذى يعطى صوتاً جميلًا لنستيقظ عند إنتهاء الظلمة وحلول النهار فى الفجر[٣٥٠] .

+ لنمارس حياتنا هنا الآن بنفس الطريقة التى سنحياها فى النهار ، أى فى العالم العتيد

القديس جيروم[٣٥١]

+ إن كانت الظلمة قد رحلت عن صدرك ، إن كان الليل قد تبدد من هناك ، إن كان الظلام قد طُرد ، إن كان بهاء النهار قد أنار حواسك ، إن كنت قد بدأت أن تكون إنسان النور فلتمارس أعمال المسيح ، لأن المسيح هو النور والنهار .

القديس كبريانوس[٣٥٢]

+ يليق بنا أن نترك الأعمال نفسها تصرخ عالياً ، إذ تجعلنا نسير فى النهار ، إذ تضيء أعمالك (مت ٥ : ٦) .

القديس أكليمنضس الإسكندرى[٣٥٣]

+ « بل إلبسوا الرب يسوع المسيح » ع ١٤ .

نلبسه عندما نحب الفضيلة ونبغض الشر ؛ عندما ندرب أنفسنا على العفة ونميت شهواتنا ؛ عندما نحب البرّ لا الإثم ؛ عندما نكرم القناعة ويكون العقل راسخاً ؛ عندما لاننسى الفقير بل نفتح أبوابنا لجميع البشر ، عندما نقبل إتضاع الفكر وننبذ الكبرياء .

القديس البابا أثناسيوس الرسولى(٣٥٤)

+ « قد تناهى الليل وتقارب النهار » ع ١٢

إذ أوشك هذا (الليل) على النهاية وإقترب الأخير يلزمنا أن نمارس الأعمال التى تخص الأخير لا الأول .....

إذ يرحل الليل تماماً يسرع كل منا نحو الآخر ، قائلًا : لقد حّل النهار ، فنمارس أعمال النهار كأن نلبس ، تاركين أحلامنا ونومنا ليجدنا النهار مستعدين ... هكذا فلنخلع عنا تخيلاتنا ، ولنترك أحلام هذه الحياة الحاضرة ، ولننزع عنا النوم العميق ونلتحف بثياب الفضيلة .....

يقول : « **فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور** » ع **١٢** . نعم لأن النهار يدعونا أن نلبس الأسلحة ونحارب (روحياً) . لاتخف عند سماعك الأسلحة ، لأن العّدة المنظورة ثقيلة وارتداءها مضنى ، أما السلاح هنا فمرغوب فيه يستحق أن نصلى لنواله ، لأنها أسلحة من نور ! إنها تجعلك أكثر بهاءً من أشعة الشمس وتهبك بريقاً عظيماً ، وتقدم لك أماناً ..... إنها أسلحة النور ! .....

« **لنسلك بلياقة كما فى النهار** » ع **١٣** .... لم يقل : « إسلكوا » ، بل قال « لنسلك » ليجعل حثه بعيداً عن التعقيد وتوبيخه لطيفاً ! ......

« **بل إلبسوا الرب يسوع المسيح** » ع **١٤** ,..... لايحدثهم عن أعمال معينة وإنما يثير فيهم أموراً أعظم ، لأنه حينما تحدث عن الرذيلة أشار إلى أعمالها أما وهو يتحدث عن الفضيلة فلا يشير إلى أعمالها بل إلى أسلحتها ليظهر أن الفضيلة تجعل صاحبها فى آمان كامل وبهاء عظيم .... إنه يقدم الرب نفسه كثوب ، الملك نفسه ، من يلتحف به تكون له الفضيلة مطلقاً .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٣٥٥)



إن كانت الكنيسة هى مستشفى لعلاج كل مريض وليست محكمة لإدانة الناس ، فانه يليق بالمسيحى أن يترفق بأخيه الضغيف فى الإيمان ليسنده بروح الحب لا الإدانة حتى يسير الكل فى طريق الخلاص ، وينعم الكل بالشركة مع الله .

١ ـــ قبول الضعيف بلا ازدراء ١ ـــ ٩ .
٢ ـــ عدم إدانة الإخوة ١٠ ـــ ١٣ .
٣ ـــ ملكوت الله وعثرة الضعفاء ١٤ ـــ ٢٣ .

+ + +

١ ـــ قبول الضعيف بلا إزدراء

نود قبل إستعراض حديث الرسول بولس أن نفهم ماذا يقصد بالأخ الضعيف .

أ ـــ يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم**(٣٥٦) ان الرسول بولس يعالج هنا مشكلة قامت بين اليهود المتنصرين وبعضهم البعض ؛ إذ كان البعض يخشى لئلا فى أكلهم اللحوم يأكلون لحم خنزير وهم لا يدرون فيكونوا كاسرين للناموس ، وإذ كان ضميرهم متشككاً تظاهروا بالصوم والتقشف فإمتنعوا عن أكل اللحوم بالكلية ، بينما آخرون أدركوا انهم فى المسيح يسوع نالوا الحرية من هذه الطقوس الحرفية فصاروا يأكلون اللحوم أيا كانت ، ودخلوا فى صراع فكرى ومناقشات مع إخوتهم المتظاهرين بالصوم ، وهم فى الحقيقة ضعيفوا الإيمان .

فى حكمة لم يرد الرسول أن يدخل فى هذا الصراع وإنما حسب أن أمر الأكل أتفه من أن يشغل فكر المسيحيين ووقتهم ، فصار مقاوماً لا لفكر هؤلاء ولا أولئك وإنما يقاوم الصراع ذاته القائم بين الفريقين .

بحكمة أيضاً ظهر الرسول كمن ينتهر الأقوياء الذين لا تتشكك ضمائرهم من جهة أنواع اللحوم لإزدرائهم بإخوتهم الضعفاء الذين يتشككون من أجل أحكام الشريعة الموسوية التى عاشوا تحت سلطانها زماناً قبل الإيمان المسيحى ويصعب عليهم التخلص منها ، لكنه فى إنتهاره هذا لم يعرج عن الحق إذ كشف بلطف عن ضعف الضعفاء وتشككهم مقدماً لهم العلاج بطريقة غير مباشرة بدعوتهم « ضعفاء » مظهراً انهم فاقدوا الصحة ومحتاجون أن يستندوا على الروح ليصيروا أقوياء .

ب ــ يرى البعض انهم مجموعة من المتنصرين من الفرقة اليهودية التى تسمى بالأسينية ، وكانوا يميلون الى قهر الجسد بنسك شديد ، وقد أشار اليهم الرسول بولس فى كو ٢ : ١٦ ــ ٢٣ . هذا ويقول المؤرخ اليهودى يوسيفوس فى حديثه عن يهود روما أن بعضهم إمتنع عن أكل اللحوم تماماً خشية أن يتدنسوا بما هو نجس منه .

حـ ــ يرى البعض ان هؤلاء الاخوة هم الذين حرّموا أكل اللحم وشرب الخمر اللذين قدما فى الهياكل الوثنية أولا ثم عرضا فى السوق (كو ٩ : ٤ ــ ١٣) .

على أى الأحوال فإن ما ورد فى هذا الأصحاح هو دستور حىّ للمعاملات بين الإخوة فى الكنيسة المتغاوتى القامة الروحية ، يكشف عن إلتزام الكل بترك المناقشات الغبية فى الصغائر والإهتمام بما هو لبنيان الكل بروح الحب الخالى من كل إزدراء أو إدانة .

يقول الرسول : « **ومن هو ضعيف فى الإيمان فإقبلوه لا لمحاكمة الأفكار ؛ واحد يؤمن أن يأكل شيىء وأما الضعيف فيأكل بقولاً ، لا يزدِر من يأكل بمن لا يأكل ، ولا يدن من لا يأكل من يأكل ، لأن الله قبله** » ع ١ ــ ٣ .

يلاحظ فى هذا النص الرسولى وما يليه فى هذا الشأن (ع ١ ــ ٩) الآتى :

أولاً : إن كان أحد فى ضعف إيمانه متشككاً من جهة أكل اللحوم التى يحسبها الناموس نجاسة ، فهو وإن كان ضعيفاً لكنه مقبول لدى الله ، فلا يليق رفضه ، إنما تقبله الكنيسة دون أن تحطمه بمناقشات تحطم حياته .

ثانياً : يقول الرسول « لا يزدر » القوى بالضعيف ... فقد يوجهه أو يحثه على ما هو أفضل لكن دون تشكيكه فى أمر خلاصه ، ودون الاستخفاف به . والعجيب ان الرسول بولس وهو يمثل الانسان القوى الإيمان من جهة عدم تشككه سامياً فوق الأعمال الناموسية الحرفية خضع لهذه الأعمال ليس من أجل ضميره هو وإنما من أجل ضعفاء الإيمان حتى لا يعثروا بسببه ، اذ يقول : « فإنى إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفى للجميع لأربح الأكثرين ، فصرت لليهود كيهودى لأربح الناموس ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس ... صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شيىء لأخلص على كل حال قوماً » ١ كو ٩ : ١٩ ـــ ٢٢ .

يحدثنا **الأب يوسف** فى نفس الأمر ، قائلاً : [بالتأكيد لم يكن مفيداً أن يختتن تيموثاوس ، ولا أن يحلق (الرسول) رأسه ، ولا أن يتبع التطهيرات اليهودية ، ولا أن يسير عارى القدمين ، ولا أن يدفع النذور الشريعية ، إنما فعل هذا لأنه يطلب لا ما لنفسه بل ما هو للكثيرين[٣٥٧]] .

ثالثا : يقول الرسول : « **لا يدن من لا يأكل من يأكل** » ، فإن الضعفاء فى الإيمان الذين تشككوا من جهة الأطعمة المحرمة ناموسياً صاروا يدينون اليهود المتنصرين الذين لم يعودوا يخضعون لهذه التشريعات خرفياً ، وحسبوا انهم نهمون . هكذا صار الضعيف دياناً للقوى عوض مراجعته لنفسه فيما يتصرف .

رابعاً : يرى **القديس أمبروسيوس**[٣٥٨] ان المؤمن الذى يحيا فى بتولية الجسد بل يتزوج يكون كمن يأكل بقولاً ؛ فلا يليق بالبتول أن يزدرى بالمتزوج ، ولا المتزوج أن يدن البتول ، لأن الله يقبل هذا وذاك إن سلكا بروح الإيمان المملوء حباً .

يتحدث **القديس أكليمنخس الاسكندرى** عن الطعام فى حياة المؤمن مظهراً انه يليق بنا ألا نهتم بالأطعمة الشهية حتى فى إضافتنا للغرباء ، إذ يقول : [الطعام الحق

هو تقديم الشكر . فمن يقدم التشكرات لا يشغل وقته بالملذات . إن أردنا أن نحث أحد ضيوفنا على الفضيلة فلنحجم عن تقديم الأطباق الشهية ، فنظهر مثلاً بهياً للفضيلة ، إذ نعلن حبنا له فى المسيح(٣٥٩)] .

خامساً : يكمل الرسول حديثه : « **من أنت تدين الذى عبد غيرك ؟ ! هو لمولاه يثبت أن يسقط ، ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته** » ع **٤** . هنا يوجه الحديث للشخص الضعيف الذى يدين أخاه لأنه يأكل متهماً إياه النهم ، حاسبا فى تصرفاته أنه إنسان ساقط ، فيضع نفسه موضع مولاه ليحكم على الآخرين ... بينما يهتم المولى نفسه ليثبت المؤمنين .

بقوله « **هو لمولاه يثبت أو يسقط** » يعنى ان ثبوت الانسان فى الإيمان يحسبه المولى مكسباً له ، وسقوطه يحسبه خسارة ، فالأمر خاص بالله نفسه الذى هو سيد الكل ، الذى يشتاق أن يربح لنفسه كل إنسان .

ليتنا ندرك هذا فندرك مدى شوق الله لثبوتنا فيه وثبوت إخوتنا العبيد معنا فيه ... هو المهتم الأول عن خلاص الكل ، إن صح هذا التعبير !

سادساً : « **واحد يعتبر يوماً دون يوم وضاخر يعتبر كل يوم ، فليتيقن كل واحد فى عقله** » ع **٥** .

ماذا يقصد الرسول باليوم هنا ؟

يرى البعض انه يطبق ذات المبدأ الخاص بالأطعمة المحللة والأطعمة المحرمة حسب الشريعة اليهودية على الأعياد اليهودية والمواسم حسب الشريعة ، هل يحفظها اليهود كأيام مقدسة أم يرون كل الأيام مقدسة ؟ هذا ويرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** انه يلمح على الأصوام اليهودية ... على أى الأحوال نجده هنا يطالب كل مؤمن « **أن يتيقن كل واحد فى عقله** » ، بمعنى ان يحكّم عقله وضميره فى هذا الأمر .

يتساءل **القديس يوحنا الذهبى الفم** عن السبب لماذا يتحدث الرسول مع أهل رومية لهذا الأسلوب فيعطى لكل واحد الحرية فى الحكم فى هذا الأمر مع أنه يشدد جداً فى ايضاح الحق فى رسائل أخرى مؤكداً عدم الإلتزام بالأعياد والمواسم اليهودية ،

إذ يقول : « أنظروا ان لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب اركان العالم وليس حسب المسيح ... فلا يحكم عليكم أحد فى ألحل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » كو ٢ : ٨ ، ١٦ ؟ ويجيب بأن كنيسة روما قد وصلتها رسالة الإيمان مؤخراً ولم يكن المؤمنون هناك قادرون على البت فى هذه الأمور ، فأراد الرسول ألا يحدث إنشقاقات بسبب حفظ الأعياد اليهودية والشرائع المؤسمية أو الإمتناع عنها . هذا ويمكننا أن نضيف بأن الرسول أراد أن ينتظروا حتى مجيئه ليكشف لهم أسرار الإيمان المسيحى فيرتفع بالكل فوق هذه الشرائع الموسمية لا كأمر رسولى يلزم طاعته بلا فهم ، وإنما كفكر إنجيلى رسولى يتذوقونه ويدركوه خلال حديثه معهم فماً لفم .

هذا ولعل الفارق بين حديثه هنا وحديثه فى الرسالة إلى أهل كولوسى ، أن الرسول هنا يكتب بخصوص الشعب البسيط الذى قد بدأ طريق الإيمان ، أما فى حديثه الى أهل كولوس فهو يحذر من المعلمين المنشقين الذين يبثون فكر التهود عن عمد وبقوة ، فيسببون بلبلة فكرية على نطاق واسع . هناك فارق بين مؤمن يتشكك ضميره لأنه عاش زمانه القديم يمارس أعمال الناموس الحرفية وبين معلم يتحدث عن عمد ويكرز بالعودة الى الحياة الناموسية فى حرفيتها كفكر تلتزم به الكنيسة .

هذا ونحن لا نريد الدخول هنا فى الحديث عن التدبير الكنسى من جهة الأعياد الكنسية والأصوام بفكر إنجيلى وإختلافه تماماً عن الفكر الناموسى الحرفى ... الأمر الذى أتركه للحديث عنه فى تفسير الرسالة الى أهل كولوس إن شاء الرب وعشنا .

نعود الى حديث الرسول بولس هنا لنراه يود أن يرفع المؤمنين فى هذه الكنيسة الناشئة عن الصراع فى أمر الأعمال الناموسية الحرفية ليهتم الكل لا بهذه الأمور وإنما بالشكر لله ، قائلاً « **الذى يهتم باليوم للرب يهتم ، والذى لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم ، والذى يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله ، والذى لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله** » ع ٦ . هكذا يظهر الرسول صدق نية الكل سواء الذى فى ضعف لا يقدر أن يتخلى عن إلتزامه بأعمال الناموس كحفظ الأعياد والأصوام اليهودية أو الذى تحرر عن هذا الحرف ، لذا لاق بالكل أن يشكر الله عوض الدخول فى مجادلات .

هذه العبارة أيضا ربما تكشف عن عادة المسيحيين منذ العصر الرسولى وهو تقديم صلاة شكر لله عند تناولهم الطعام .

سابعاً : فى حكمة عجيبة سحب الرسول الطرفين من النقاش فى هذا الأمر يكشف لهما أن أمور الكل تشغل الله نفسه الذى إقتنانا بالدم الكريم ، فيحسبنا خاصته ، فإن عشنا له بالإيمان حسب ذلك ربحاً إلهياً وإن متنا بفقدان الإيمان حسبه خسارة . يقول الرسول : « **لأن ليس أحد منا يعيش لذاته ، ولا أحد يموت لذاته ، لأننا إن عشنا فللرب نعيش ، وإن متنا فللرب نموت ، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن ، لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكى يسود على الأحياء والاموات** » ع ٧ ــ ٩ .

يقول : **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [بهذا جعل الأمر أكثر وضوحاً . كيف يمكن لمن يعيش لأجل الناموس (مستعبداً لحرفيته) أن يعيش للمسيح؟ ... إننا لسنا أحراراً بل لنا سيد يريدنا أن نحيا ولا يشاء لنا الموت ، فإن هذه الأمور تخصه هو أكثر منا . بقوله هذا يظهر أن الله مهتم بنا أكثر من إهتمامنا نحن بأنفسنا ، فيحسب حياتنا ربحاً له موتنا خسارة . نحن لا نموت لأنفسنا وحدنا بل لسيدنا . هنا يقصد الموت عن الإيمان . على أى الأحوال هذا يكفى لإقناعنا أنه مهتم بنا ، اننا نعيش له ونموت له . لم يكتفِ الرسول بذلك وإنما يردف ، قائلا : « فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن » عابراً بنا الى الموت الجسدى ... مقدماً إشارة عظيمة عن إهتمامه بنا[٣٦٠]] .

يكمل **القديس يوحنا ذهبى الفم** تعليقه قائلاً بأن الله كسيد فهتم بخلاصنا ؛ لا يحتقر عبيده ، مقدماً حبه لهم لا بالمال وإنما بحياته ، إذ صار هو نفسه خلاصنا . قدم دمه فدية كثمن عظيم ، مظهراً قوته غير المنطوق بها ... فكيف نتركه بعد هذا كله لنرتد الى أعمال الناموس الحرفية ؟ !

لقد مات وقام لكى يهبنا الحياة ، فنحسب أنفسنا مدينين له بحياتنا ، سواء فى وجودنا هنا فى هذا الزمان الحاضر أو إنتقالنا منه . يقول الرسول : وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام » ٢ كو ٥ : ١٥ .

٢ ــ عدم إدانة الإخوة

إن كان الرب قد قدم دمه الثمين سرّ خلاصنا ، به نحيا وبه نتشدد فى جهادنا ، فقد صرنا بكليتنا فى ملكيته ... بهذا المفهوم لا يليق بنا إلا أن نسلم كل أحاسيسنا ومشاعرنا لذلك الذى إفتدانا عوض الإنشغال بإدانة الآخرين ، الذين هم أيضاً ليسوا ملك أنفسهم بل ذاك الذى فدى الكل .

إدانتنا لإخوتنا تفسد حياتنا وتسيء الى الهنا كما الى إخوتنا . فمن جهة تفسد أعماقنا إذ تحمل إزدراء بالإخوة عوض إتساع القلب لهم ، وتسيىء إلى الله بكونه هو الديان الذى يخضع الكل له مقدماً حساباً عن نفسه وأخيراً تعثر الآخرين . هذا ما أعلنه الرسول بقوله :

« وأما انت فلماذا تدين أخاك ؟
أو أنت أيضا تزدرى بأخيك ؟
لأننا جميعاً سنقف أمام كرسى المسيح ، لأنه مكتوب : أنا حىّ يقول الرب انه لى ستجثو كل ركبة وكل لسان سيحمد الله .

فإذا كل واحد منا سيعطى عن نفسه حساباً لله .
فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً بل بالحرى أحكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة » ع ١٠ ــ ١٣ .

إنه يسأل الأخ الضعيف الذى يتشكك ضميره بخصوص الطقوس اليهودية الحرفية ألا يدين أخاه القوى الذى إرتفع فوق حرفية الناموس ، كما سأل الأخير ألا يستخف بالأول ... فلا ينحصر كل منهما فى تصرفات الآخر ، بل يتطلع الكل الى ذاك الذى يدين الجميع ، والذى يخضع له كل حىّ (إش ٤٥ : ٢٣) .

هنا يقتبس الرسول ما ورد فى إشعياء عن الله (٤٥ : ٢٣) لينسبه للسيد المسيح يكونه الله الكلمة الديان .

٣ ــ ملكوت الله وعثرة الضعفاء

ينقلنا الرسول بولس من الإنشغال بإدانة الآخرين أو الإستخفاف بالإخوة الى الوقوف أمام كرسى الله لا لنشعر بمهابة ذلك اليوم فحسب ، وانما لكى ترتفع أفكارنا على الدوام الى « ملكوت الله » الذى يلزم أن ننعم به جميعاً . خلال هذا الملكوت نهتم بأمر واحد هو شركتنا جميعاً مع الله فى المسيح يسوع بروحه القدوس .

يقول الرسول : « **انى عالم ومتيقن فى الرب يسوع ان ليس شيء نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس** » ع **١٤** ... هنا يقدم الرسول تصريحاً واضحاً من قبل ربنا يسوع ان كل شيء هو طاهر للطاهرين ، ويصير نسجاً للنجسين . خليقة الله طاهرة ، إن أكلناها بدون تشكك تحسب طاهرة ، لكن إن تشككنا بسبب الناموس الذى ميّز بين أطعمة محللة وأخرى نجسة كرموز وقتية تحققت فى الأصل وتلاشت عندئذ تصير الأطعمة نجسة ، وأيضاً إن تشككنا انها قدمت للأوثان كذبائح تصير نجسة لا لسبب إلا لتشكك ضميرنا . هذا ما أكده الرسول لأهل كورنثوس : « كل الأشياء تحل لى لكنَ ليس كل الأشياء توافق ... كل ما يباع فى الملحمة كلوه غير فاحصين عن شيء من أجل الضمير ، لأن للرب الأرض وملأها ؛ وإن كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم وتريدون أن تذهبوا فكل ما يُقدم لكم كلوا منه غير فاحصين من أجل الضمير ، ولكن إن قال لكم أحد هذا مذبوح لوثن فلا تأكلوا من أجل ذاك الذى أعلمكم والضمير ... أقول الضمير ، ليس ضميرك أنت بل ضمير الآخر » ١ كو : ٢٣ ــ ٢٩ .

إذن ليس فى خليقة الله شيئاً نجساً ، لهذا فإن الكنيسة فى أصوامها تؤكد أنها لا تمتنع عن الأطعمة بكونها نجسة وإلا حسب ذلك بدعة وإنحراف عن الحق (١ تى ٤ : ٣ ، ٤) ، إنما يكون الصوم لأجل قمع الجسد وتدبيره حسناً تحت قيادة الروح القدس[٣٦١] .

حقاً إن كل شيء طاهر لكن الذى يفسده هو روح الإنسان الذى يتشكك فى إستخدام الأشياء الصالحة بطبيعتها كأشياء دنسة فتصير بالنسبة له هكذا ... أما القوى وإن كان لا يتشكك بضميره القوى لكنه من أجل المحبة ، حتى لا يهلك أخوه الذى مات المسيح عنه يمتنع عن هذه الأطعمة ، كما يوصينا الرسول : « **فإن كان أخوك**

بسبب طعامك يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة ؛ لا تهلك بطعامك ذلك الذى مات المسيح لأجله » ع ١٥ . فى موضع آخر يقول الرسول : « الطعام لا يقدمنا الى الله ، لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص ، ولكن أنظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء ... إن كان طعام يعثر أخى فلن آكل لحماً الى الأبد لئلا أعثر أخى » ١ كو ٨ : ٨ — ١٣

وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إحتفاظ ايلانسان بالطعام (دون تشكك) ليس بالأمر الأهم من حزن أخيك . أنظر كيف يركز (الرسول) على المحبة ، ذلك لأنه يعلم أن المحبة تفعل كل شيء ... أما تقّدر أخاك فتقتنى خلاصه بإمتناعك عن الأطعمة ؟ فإن المسيح لم يمتنع عن أن يصير عبداً بل وأن يموت من أجله ، أما أنت فلا تستخف بالطعام من أجل خلاصه ... إنه لم يمت من أجل الضعيف فقط وإنما من اجل العدو أيضا ، أفلا تمتنع عن الطعام من أجل الضعيف ؟ قدم المسيح ما هو أعظم ألا تقدم ما هو أقل ؟](٣١٢) .

« فلا يُفتر على خلاصكم ، لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً ، بل هو برّ وسلام وفرح فى الروح القدس » ع ١٧

إن كان أمر خلاص أخيك يشغل كل كيانك لا تنشغل بأمر الأطعمة ، بل من أجله أترك الطعام الذى يعثرة حتى لا تعطى فرصة أيضاً للغير أن يفتروا على صلاح فكرك (عدم التعثر بالأطعمة) ... بمعنى آخر حتى وإن كنت من جهة الصلاح لا تتشكك فى الأطعمة لكن بعثرتك للضعيف يتعثر الآخرون فيك ، لان نفس أخيك أثمن من طعامك أو عدمه .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** بانه عندما يصارع المؤمن ويتإحك بسبب الأطعمة ، فبهذا النزاع يسبب إنشقاقاً فى الكنيسة بإنتهار الاخوة الممتنعين عن الأطعمة فينطق الذين فى الخارج بالشر على الكنيسة وعلى صلاحك الذى هو المحبة والوحدة بين الإخوة والسلام واللطف الخ ...

إذن لنشهد ملكوت الله لا بإنقسامنا فى أمور ثانوية كالطعام وإنما بإتحادنا برباط الحب الحقيقى وتجلى ثمار الروح فينا الذى هو البرّ والسلام والفرح .

+ أفضل شيء أن نقتنى ملكوت الله ... بمجتمع المحبة المقدسة ، الكنيسة السماوية ؛ فإن المحبة هى أمر نقى يؤهل لله ، عملها شركة .

القديس اكيمندس الاسكندرى(٣٦٣)

+ إن كان ملكوت الله داخلنا (لو ١٧ : ٢١) ، وهو برّ وسلام وفرح (رو ١٤ : ١٧) ، فإن من يتمم هذه يكون فى ملكوت الله . وعلى العكس من يعيش فى الشر والنزاع والحزن الذى للموت يكون فى ملكوت الشيطان وفى الجحيم والموت . بهذا ملكوت الله عن ملكوت الشيطان .

+ لا يتحدث الرسول عن الفرح بغير تمييز ... بل يوضح مؤكداً نوعه أنه « فى الروح القدس » رو ١٤ : ٧ ، إذ يعرف تماماً الفرح الممقوت الذى نسمع عنه : « العالم يفرح » يو ١٦ : ٢٠ ، « ويل لكم أيها الضاحكون لأنكم ستحزنون وتبكون » لو ٦ : ٢٥ .

الأب موسى(٣٦٤)

ما هو ملكوت الله الذى يتحدث عنه الرسول هنا ؟

+ يليق بنا بالحق أن ننظر الى ملكوت السموات من جوانيب ثلاثة :

إما انه ما سيملكه القديسون حين تخضع لهم الأمور ، كما قيل : « فليكن لك سلطان على عشر مدن ... ولكن أنت على خمس مدن » لو ١٩ : ١٧ ، ١٩ وما قيل للتلاميذ : « وتجلسون أنتم أيضاً على إثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر » مت ١٩ : ٢٨ .

أو يعنى أن السموات يملكها السيد المسيح ، حيث : كل الأشياء « تخضع له » ، ويكون الله « الكل فى الكل » ١ كو ١٥ : ٢٨ .

أو أن القديسين سيملكون مع الله فى السموات .

الأب موس(٣٦٥)

لنهتم بملكوت الله — أى يملك فينا ، أو نملك نحن به — فوق كل إعتبار ، لكى بهذا نُحسب مرضيين عند الله مزكين عند الناس **لأن من خدم المسيح فى هذه (البرّ والسلام والف ـ ـ روح القدس) فهو مرضى عند الله ومزكى عند الناس » ع ١٨ .**

أخيراً يختم حديثه مطالباً بالعمل الإيجابى البنّاء لكل نفس ، قائلا :

« فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان ... لبعض .

لا تنقض لأجل الطعام عمل الله .

كل الأشياء طاهرة لكنه شر للإنسان الذى يأكل بعثرة .

حسن أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف .لك إيمان ؟ فليكن لك بنفسك أمام الله . طوبى لمن لا يدين نفسه فى ما يستحسنه . وأما الذى يرتاب فإن أكل يدان لأن ذلك ليس من الإيمان ، وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية » ع ١٩ — ٢٣ .

إذن لتكن غايتنا هو حفظ سلام الكنيسة ووحدتها بعيداً عن الإنشقاقات . فانه ليس بنيان للكنيسة وتثبيت لعمل .ـه بدون السلام والمحبة الأخوية .

+ + +



« سرّ المسيح » عند الرسول بولس هو إنفتاح باب الإيمان للعالم كله ، لتتمتع جميع الشعوب بخلاص المسيح المجانى . وقد جاءت هذه الرسالة فى مجملها تعلن هذا السرّ ، فتتحدث عن عمومية الخلاص . والآن يقدم لنا الرسول هذا الأصحاح العملى متناغماً مع فكر الرسالة كلها ، ألا وهو إلتزام الكنيسة ككل وكل عضو فيها بإنفتاح القلب نحو خلاص الجميع ، محتملين الضعفاء ، مهتمين بالأمم أيا كان ماضيهم ، يسندون الرسول بصولواتهم ليحقق فى حياته وكرازته إعلان هذا السرّ بالرغم من مقاومة بعض اليهود المتعصبين له :

١ ــ إحتمال الضعفاء	١ ــ ٧ .
٢ ــ إتساع القلب للأمم.	٨ ــ ١٣.
٣ ــ مساندته فى خدمة الأمم	١٤ ــ ٢١.
٤ ــشوقه لخدمتهم فى روما	٢٢ ــ ٢٤.
٥ ــ فهمه لعطاء الأمم .	٢٥ ــ ٢٨.
٦ ــ جهادهم معه بالصلوات.	٢٩ ــ ٣٠.
٧ ــ مقاومة غير المؤمنين له	٣١ ــ ٣٢.
٨ ــ خاتمة .	٣٣.

+ + +

١ ــ إحتمال الضعفاء

« فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا ، فليرض كل واحدٍ منا قريبه للخير لأجل البنيان ، لأن المسيح أيضاً لم يرضى نفسه بل كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت علىّ » ع ١ ــ ٣ .

هذا هو « سرّ المسيح » أن كلمة الله أعلن قوته بنزوله إلينا يحمل ضعفنا لكى يرفعنا إلى كمال قوته وبهائه ومجده ؛ فالمؤمن إذ يحمل فيه « سرّ المسيح » أو فكره إنما يدرك القوة الحقة بإحتماله بالحب ضعفات الضعفاء ، مهتماً بخير قريبه لأجل بنيانه ، ولا يطلب ما هو لذاته . هذا العمل ليس من عندياته ، إنما هو عمل المسيح الساكن فيه ، والذى يشتاق الى خلاص الكل .

ويلاحظ فى هذه الوصية الرسولية تجاه الضعفاء الآتى :

أولا : يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [أنظر كيف يثير إهتمامهم بمديحه لهم لا بدعوتهم أقوياء فحسب وإنما بضمهم إليه كأقوياء ... « فيجب علينا نحن الأقوياء[٤٦٦]] .

هذا هو منهج الرسول بولس فى كل كرازته وفى كل رسائله ، قبل أن يوصى يشجع ، وقبل أن يكشف الجراحات يعلن الأمور الصالحة والفاضلة فيهم ؛ فعوض أن يوبخهم هنا لأنهم يحتقرون الضعفاء ويستخفون بالأمم يعلن لهم أنهم بالمسيح أقوياء فيلزمهم أن يمارسوا عمل المسيح الفاتح أحضانه لكل ضعيف وكل أممى بالحب لا بالإدانة !

هذا وحديث الرسول يعلن أن فى الكنيسة يوجد على الدوام أقوياء وأيضاً ضعفاء ، وكما يقول **القديس أغسطينوس** [لا توجد الكنيسة بدونها[١٦٧]] ... إذ يحتمل الأقوياء الضعفاء فيتزكون على عظيم محبتهم ، ويمتثل الضعفاء بالأقوياء دون حسد فينمون على الدوام .

ثانيا : بقوله « **لأن المسيح لم يرض نفسه بل كما هو مكتوب : تعييرات معيريك وقعت علىّ** » يود أن يعلن لهم بطريقة غير مباشرة ، انهم إن كانوا أقوياء إنما

لأن السيد المسيح حمل ضعفهم ، فتعييراتهم وقعت عليه ، إذ حمل عار خطاياهم ليقيمهم **أقوياء** بعد الضعف . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** [هل أنتم **أقوياء** ؟ ردوا هذا لله الذى جعلكم هكذا ، وذلك إن رأيتم ضعف المرضى بحق . فاننا نحن كنا ضعفاء أيضاً وبالنعمة صرنا أقوياء . لنعمل أيضا بالنسبة بالضعفاء (أى نسندهم بالنعمة)(٤٦٨)] .

ثالثاً : إن كنا بالنعمة الإلهية نلنا القوة فى المسيح يسوع يليق بنا ترجمة هذه القوة عملياً ، وكما يقول الرسول : « **فليرضِ كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان** » ع ٢ . فى هذا يقول : **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [هل أنت قوى ؟ ليختبر الضعيف قوتك . ليأتِ وليعرف قوتك ، إرضه . لم يقل « إرضه » هكذا بطريقة مجردة وإنما « لخيره » ، وليس فقط « لخيره » مجردة ، لئلا يقول الشخص المتقدم : أنظر ها أنا أسحبه لخيره ! ، إنما يضيف الرسول : « لأجل البنيان » ... هذا التصرف يلزم أن يفعله « كل واحد »(٤٦٩)] .

هذه هى « القوة » الحقة فى المسيح يسوع ، أن ننزل الى الضعيف مع مسيحنا لنحمله على منكبى الحب ونرتفع معه لنحيا معاً سالكين الحياة الصالحة لبنيان نفوسنا ونفوسهم ، أو لبنيان العالم كله فى الرب .

بهذا نرضى الآخرين للخير للبنيان ، مقدمين لا أموالنا وطاقاتنا لخدمتهم ، وإنما أيضا نقدم قلوبنا ومشاعرنا وأحاسيسنا تشاركهم آلامهم وأتعابهم وضيقاتهم .

رابعاً : يقدم لنا الرسول بولس السيد المسيح مثلاً نقتدى به ، إذ لم يرضِ نفسه بل من أجلنا حمل تعييراتنا التى كنا نستحقها ليهبنا بره . هذه هى عادة الرسول أنه يقدم لنا السيد المسيح فى كل شىء مثلاً .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إذ كان (الرسول) يتحدث عن الصدقة قدم لنا المسيح (مثلا) : « فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم إفتقر وهو غنى » ٢ كو ٨ : ٩ . وإذ كان يحث على المحبة حثنا به قائلاً : « كما أحبنا المسيح » (أف ٥ : ٢٥) . وعندما نصحنا على احتمال الخزى والمخاطر قدمه

ملجأ لنا : « من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى » عب ١٢ : ٢ . هكذا فى هذه العبارة (رو ١٥ : ٣) يفعل ذات الشيء ، موضحاً أن النبى سبق فأعلن عن ذلك قديماً ، بقوله : « تعييرات معيريك وقعت علىّ » مز ٦٩ : ٩ . لماذا لم يقل : « أخلى نفسه » فى ٢ : ٧ ؟ لأنه لم يرد أن يشر فقط إلى تأنسه وإنما أيضا الى إساءة معاملته وإتهامه بواسطة كثيرين والنظر اليه كضعيف . فقد قيل : « إن كنت إبن الله فإنزل عن الصليب » مت ٢٧ : ٤٠ ، وأيضا : « خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها » مت ٢٧ : ٤٠ ... وهنا أيضا يظهر ان المسيح لم يُعيّر وحده وإنما الآب أيضا ، إذ يقول « تعييرات معيريك وقعت علىّ » . فما يقوله تقريبا هو هذا : ما يحدث الآن ليس بالأمر الجديد أو الغريب ، فإنهم فى العهد القديم إعتادوا أن يعيروا (الآب) ، وها هم الآن ثائرون على إبنه . لكن هذه الأمور كتبت لكى نمثل بهما[٤٧٠]] .

خامساً : إن كان ما قد كتب فى العهد القديم (مز ٦٩ : ٩) أن التعييرات قد سقطت على الآبّ والإبن ، إنما لأجل نفعنا ، لكى يبعثنا ذلك على إحتمال الضعفات والتعييرات حتى بالصبر مع التعزية يكون لنا رجاء اننا نمتثل بالله نفسه محتمل الضعفاء . هذا ما أعلنه الرسول بقوله : « **لأن كل ما سبق فكتب كُتب لأجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء** » ع ٤ .

غاية الكتاب المقدس أن يحثنا على الإحتمال بصبر ، ليهبنا تعزية فى وسط الآلام ، الأمر الذى يفتح لنا باب الرجاء ... لأننا إن كنا نتعزى وسط آلامنا ، فماذا يكون حالنا حين ننطلق من العالم بآلامه ؟ !

سادساً : إذ يحثنا الرسول بولس على إحتمال ضعفات الضعفاء لخيرهم لبنيانهم ، وهو يقدم لنا السيد المسيح مثلاً حياً فى هذا العمل ، بل وعاملاً فينا لتحقيق ذلك ، يرفع الرسول صلاة لله كى يسندنا ، قائلا :

« **وليعطكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا إهتماما واحداً فيما بينكم بحسب المسيح يسوع ، لكى تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدة وفم واحد** » ع ٥ ، ٦ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [هذا ما يود الحب أن يفعله أن يهتم الإنسان بالآخرين كما بنفسه ، ولكى يظهر أن ما يطلبه ليس حباً مجرداً يضيف : « بحسب المسيح يسوع » . هذا ما يفعله فى كل موضع ، إذ يوجد نوع خر من الحب . فإنه أى نفع للإتفاق معاً (إن لم يكن بحسب المسيح يسوع) ؟ ![(٤٧١)] .

هذا الحب فى المسيح يسوع يمجد الله الآب لا خلال وحدة الفم فقط أى بالكلام ، وإنما وحدة الإرادة أيضا (نفس واحدة) ...

هذا الحب فى المسيح يسوع واهب الوحدة هو طريق تنفيذ الوصية : « **لذلك إقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضا قبلنا لمجد الله** » ع ٧ .

٢ ـــ إتساع القلب للأمم

الآن إذ يوصينا بإحتمال الضعفاء خلال الحب الحقيقى واهب الوحدة فى المسيح يسوع يقدم لنا تطبيقاً عملياً فى حياة السيد المسيح كما فى حياتنا نحن أيضا ، فبالحب ضم السيد المسيح أهل الختان والأمم معاً فيه حاملاً ضعفات الكل ، وبذات الحب يليق باليهود المتنصرين أن يفتحوا قلبهم لإخوتهم الراجعين من الأمم لله لتتحقق فيهم إرادة الله التى سبق فأعلنها فى العهد القديم من جهة قبول الأمم للإيمان بالله .

يقول الرسول : « **وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء ، وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة ، كما هو مكتوب : من أجل ذلك سأحمدك فى الأمم وأرتل لإسمك** » ع ٨ ، ٩ .

ماذا يقصد الرسول بهذا ؟ يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** ان إبراهيم نال وعداً أن بنسله تتبارك جميع الأمم (تك ١٢ : ٧ ؛ ٢٢ : ١٨) . وما حدث أن نسل إبراهيم وإن كان قد مارس الختان لكنه كسر الناموس وحُسب متعدياً فسقط بالناموس تحت اللعنة ، لهذا جاء السيد المسيح خادماً للختان ، إذ أكمل الناموس ولم يكسره ، حتى متى إرتفع على الصليب ينزع لعنة الناموس التى للعصيان . تألم لكى لا يسقط الوعد المعطى لإبراهيم ، حاملاً الغضب عن الساقطين فيتحرروا عن

العداوة والتغرب عن الله ... بهذا رفعهم السيد المسيح عن اللعنة ، وأقامهم من سلطان الناموس ، ليتحقق فيهم الوعد الالهى الذى أعطى لآبائهم . هذا من جانب أهل الختان ، أما من جانب الأمم فقد انفتح لهم أيضا باب المراحم الإلهية لينعموا مع أهل الختان بالعمل الخلاصى جنباً الى جنب ، فيشترك الإثنان ـــ اليهودى والأممى ـــ خلال نعمة الله فى تقديم الحمد لله والتسبيح لإسمه ، كما سبق فأنبأ المرتل : « لذلك أحمدك يارب فى الأمم وأرنم لك » مز ١٨ : ٤٩ ، وما أعلنه موسى النبى : « تهللوا أيها الأمم شعبه » تث ٣٢ : ٤٣ ، وداود النبى : « سبحوا الرب ياكل الأمم » مز ١١٧ : ١ ، وأيضا إشعياء النبى : « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ... ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسى القائم رايه للشعوب إياه تطلب الأمم » إش ١١ : ١ ، ١٠ .

[كل هذه المقتطفات قدمت لكى يظهر انه يجب أن نتحد ونمجد الله ، ولكى يتضع اليهودى ولا ينتفخ على هذه الشعوب ، وفى نفس الوقت يحث الأممى على الإتضاع إذ يظهر له انه قد نال نعمة عظمى(٤٧٢)] .

إن كان الله منذ القدم قد خطط لخلاص كل الشعوب والأمم حتى أنبأ بذلك رجال العهد القديم فكيف يمكن لليهودى أن يغلق قلبه عن قبول أخيه الأممى معه فى الإيمان، والتهليل والتسبيح لله ؟ !

ليفتح اليهودى قلبه بالحب ليضم الى صدره الأممى ، وليفتح الأممى قلبه شاكراً الله الذى رفعه عن ضعفه ليدخل بين صفوف المؤمنين !

إذ فتح أبواب الرجاء لليهود كما للأمم . لهذا يقدم الرسول أشبه بصلاة أو شفاعة لدى الله ليزيدهم فى هذا الرجاء بدخولهم الى الإيمان بقوة الروح القدس مملوئين سروراً وسلاماً ، إذ يقول : « **وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام فى الإيمان لتزدادوا فى الرجاء بقوة الروح القدس** » ع ١٣

٣ ـــ مساندة فى خدمة الأمم

إذ تحدث عن التزامهم كأقوياء أن يحتملوا ضعفات الضعفاء ، وكيهود متنصرين أن يقبلوا الأمم فى الإيمان بفرح وسرور ، أراد أن يلطف الحديث معهم ، فلا يجعل

من وصيته أمراً ثقيلاً على نفوسهم لهذا بادر يمدحهم مظهراً أن ما يطلبه منهم ليس بالكثير بالنسبة لقامتهم الروحية وادراكهم ، إذ يقول : **وأنا نفسي متيقن من جهتكم يا إخوتي انكم أنتم مشحونون صلاحاً ومملؤون كل علم ، قادرون أن ينذر بعضكم بعضاً** ع ١٤ .

ويلاحظ هنا رقته في الحديث من جهة الآتي :

أولا : لم يقل أنه ... صلاحهم ، وإنما هو بنفسه سيفن من صلاحهم ... ليس محتاجاً الى آخرين يشهدون لهم أمامه ... وكأنه يقول إن كنت أوصيكم أو أقسو عليكم بالإنتهار لكنني متيقن من جهتكم انكم مشحونون صلاحاً !

ثانيا : يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على تعبيره : « **أنكم أنتم مشحونون صلاحاً** » ، بالقول : [كأنه يقول : ليس لأنكم قساة أو مبغضون لإخوتكم لذا أنصحكم أن تقبلوا عملاً ... ولا تهملوه أو تحطموه ، ... أعرف أنكم مشحونون صلاحاً ؛ وإنما يبدو لى هنا أن أدعوكم لكمال فضيلتكم(٤٧٣)] .

ثالثاً : في رقة يحثهم كما على إتساع القلب أكثر فأكثر بحب الآخرين حيث لا ينقصهم ملء الصلاح والمعرفة والقدرة ... من جهة القلب هم صالحون لطفاء محبون ؛ من جهة الفكر لهم ملء العلم والمعرفة ، ومن جهة الإمكانيه قادرون ... هذا كله أعطاه الجسارة ليطالبهم أكثر فأكثر ، حاية في الحكمة والتشجيع !

رابعاً : يكتب القديس بولس اليهم بروح الأخوة المتضعة ، الأخوه التي أعطته دالة ليتجاسر فيكتب اليهم لا كمن يوصيهم بأمر غريب عن حياتهم وإنما يذكرهم لينموا بالأكثر فيما يمارسونه فعلاً ، إذ يقول : « **ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئياً أيها الإخوة كمذكر لكم بسبب النعمة التى وهبت لى** » ع ١٥

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لاحظ إتضاع فكر بولس ، لاحظ حكمته ... إنه ينزل من كرسى السيادة هنا وهناك ليتحدث اليهم كإخوة وأصدقاء فى نفس الدرجة(٤٧٤)] .

خامساً : يعلن الرسول انه ... بالكتابة لهم لأنه يمارس خدمته الرسولية التى

أُفرز لها كرسول للأمم ، فإن كانت روما عاصمة العالم الأممى فى ذلك الحين فهو يشعر انها يجب أن تكون مركز عمله . هذه هى النعمة التى وهبت له من الله — خدمة الأمم — التى لا يتوقف عن التمتع بها قط .

يحسب الرسول نفسه كاهناً يقدم ذبيحة الحب خلال الكرازة ، فإن كان ليس من سبط لاوى لكنه كاهن الله كرسول للسيد المسيح يقدم قربان الأمم مقبولاً ومقدساً بفعل الروح القدس ، إذ يقول : « **حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس** » ع ١٦

يفسر **القديس يوحنا الذهبى الفم** هذه العبارة هكذا : [بالنسبة لى هذا كهنوت ، الذى هو الكرازة والإعلان . هذه ذبيحة أقدمها . لا يخطِّىء أحد كاهناً عندما يكون غيوراً على تقديم ذبيحة بلا عيب . يقول هذا لكى يرفع أفكارهم ؛ ويظهر لهم أنهم ذبيحة ، معتذراً عن دوره فى هذا العمل . كأنه يقول : السكين التى لى هى إنجيلى ، كلمة الكرازة . أقوم بهذا لا لأتمجد ولا لأشتهر وإنما لكى تكون ذبيحة الأمم مقبولة ومقدسة بالروح القدس . بمعنى أن نفوس الذين أعلِّمهم تصير مقبولة . فانه إذ قادنى الله الى هذا السمو فليس فى هذا تكريمى أنا قدر ما هو يخصكم أنتم .

كيف يصيرون مقبولين ؟ بالروح القدس ، فالحاجة ليس فقط الى الإيمان وإنما طريق الحياة الروحية لكى نتمسك بالروح الذى أُعطى مرة للكل . فإنه لا حاجته لحطب أو نار أو مذبح أو سكين بل للروح الذى فينا بالتمام . لهذا أبذل كل وسيلة لأمنع النار من أن تنطفىء ، إذ أُسرّ بها ... كما أن الكاهن يقف ليلهب النار هكذا أفعل أنا إذ أثير تذكرتكم(٤٧٥)] .

هذا ويوضح الرسول دوره فى الخدمة بدقة إذ يلقب نفسه « خادماً » و « كاهنا » ، لكن الذى يقدّس روح الله نفسه ، إذ يقول : « **ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس** » . يحدثنا **القديس باسيليوس الكبير** عن دور الروح القدس ، قائلا :

[المخلوق عبد ، والروح هو الذى يحرر (رو ٨ : ٢) ؛
المخلوق محتاج الى حياة ، والروح هو واهب الحياة (يو ٦ : ٦٣) ؛
المخلوق يطلب التعلم ، والروح هو الذى يعلم (يو ١٤ : ٢٦) ؛
المخلوق يتقدس ، والروح هو الذى يُقدس (رو ١٥ :٢٦) ؛
من تدعوهم ملائكة ، رؤساء ، قوات سمائية ... هؤلاء يتقبلون التقديس خلال الروح ، أما الروح نفسه فهو قدوس بطبيعته ، لا يتقبل صلاحاً من خارجه بل الصلاح من جوهره ، لهذافيميز بالاسم : « قدوس »[٤٧٦]] .

سادساً : إن كان الرسول بطريق غير مباشر يقدم نفسه مثلاً ، يشعر خلال الحب الرسولى أنه كاهن يقدم حياتهم الإيمانية تقدمة حب مقبولة لدى الله ومقدسة ، يقدمها لا لحساب نفسه بل لحسابهم هم ، ليتمجد الله فيهم بقبولهم ، حتى يردوا الحب بالحب فيسندوه فى خدمته للأمم بإتساع قلبهم واحتمالهم ضعفاتهم والصلاة عنهم والشهادة لله أمامهم ... فربما يتساءلون : وماذا تنتفع أنت بهذا العمل الكرازى ؟ لذا يجيب ، قائلا : « **فلى إفتخار فى المسيح يسوع من جهة ما لله ، لأنى لا أجسر أن أتكلم عن شىء مما لم يفعله المسيح بواسطتى لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل** » ع ١٧ ، ١٨ .

إن كانت الخدمة لحساب الآخرين لبنيانهم روحياً فى الرب فهى أيضا لحساب الكارز أو الخادم فيتمجد لا بذاته وانما بنعمة الله العاملة فيه ككارز وفيهم كمخدومين ، إذ يعمل الله بروحه القدوس فيه وفيهم . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** على لسان القديس بولس : [إنه يعنى إننى أتمجد لا بذاتى ولا بغيرتى وإنما بنعمة الله ... أنظر كيف يحاول بكل قوة أن يظهر العمل كله لله ولا ينسب شيئاً لنفسه . فما انطق به أو أفعله أو أمارسه من معجزات الله هو العامل هذا كله ، الروح القدس صانع الكل[٤٧٧]] .

سابعاً : إذ يحثهم الرسول بولس على مساندته فى خدمة الأمم بالصلاة كما بعمل المحبة لكى يتمجد الله فيهم يقدم لهم نفسه مثلاً فى خدمته ، انه منطلق للخدمة فى غيرة بلا حدود للكرازة لا فى البلاد الخاضعة لروما فحسب وإنما بين البرابرة أيضاً ، لكن هذه الغيره تلتحم بروح الاتضاع ؛ فإن كان ينطلق من أورشليم ليخدم فى كل

موضع بالانجيل حتى الليريكون(٤٧٨) ، لكنه وهو يخدم لا ينطلق الى حيث إنطلق رسول آخر فيدخل على تعبه وينسب الناس النجاح إليه ... بل يذهب الى حيث لم يكرز الرسل حيث الطريق غير ممهد والجهاد أصعب .

يقول : « **بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله ، حتى انى من أورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح ، ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا ، ليس حيث سُمى المسيح لئلا أبنى على أساس آخر** » ع ١٩ ، ٢٠ .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** ، قائلًا : [قال هذا ليظهر نفسه إنه متغرب عن المجد الباطل ، وليعلمهم انه يكتب إليهم لا حباً فى المجد أو فى تكريمهم له ، وإنما لإتمام خدمته ، وتحقيق كمال عمله الكهنوتى كمحب لخلاصهم ... ها أنت تراه يجرى إلى حيث العمل الأكثر والتعب الأقسى (٤٧٩)] .

يقول **القديس جيروم** : [أنظر بولس الذى كان مضطهداً فى اليهودية ، ها هو يكرز بين الأمم . إنه يحمل صليب المسيح كغالب يأسر الكل . لقد قهر العالم كله من المحيط حتى البحر الأحمر (٤٨٠)] .

٤ ــ شوقه لخدمتهم فى روما

كما أبرز الرسول انه لم يكتب إليهم حباً فى مجده الذاتى بل فى خلاصهم ، ليبعث فيهم ذات الروح من جهة الشوق لخلاص الآخرين خاصة الضعفاء والأميين ، الآن يؤكد لهم أيضاً انه منذ سنوات يشتاق إليهم لزيارتهم بدافع الحب لا المجد الزمنى . يقول الرسول : « **لذلك كنت أُعاق المرار الكثيرة عن المجيىء إليكم ، وأما الآن فإذ ليس لى مكان بعد فى هذه الأقاليم ، ولى إشتياق إلى المجىء إليكم منذ سنين كثيرة فعندما أذهب إلى أسبانيا آتى إليكم ، لأنى أرجو أن أراكم فى مرورى وتشيعونى إلى هناك ان تملأت أولًا منكم جزئياً** » ع ٢٢ ــ ٢٤ .

ويلاحظ فى كلمات الرسول هذه :

أولًا : يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** إن الرسول أبرز محبته الشديدة لهم بشوقه لزيارتهم منذ سنوات ، وفى نفس الوقت لم يعطهم مجالًا للكبرياء ، إذ أوضح

انه يلتقى بهم عابراً بهم أثناء رحلته إلى أسبانيا . فهم موضع حبه بحق ، وغيرهم كأهل أسبانيا أيضاً موضع هذا الحب عينه ، حتى أن زيارته لهم ستأتى عارضاً فى طريقه ، لكن ليس حبه عارضاً . لقد أثار مشاعر محبتهم بفيض محبته ، بقوله إنه « يمتلىء بصحبتهم » هذه هى لغة الوالدين اللذين يجتذبان أولادهما إليهما .. [إنه كأب ملتهب أنجب بحق إبناً ؛ هكذا كان يحب المؤمنين (٤٨١)] .

٥ ــ فهمه لعطاء الأمم

إذ أعلن الرسول عن شوقه الشديد لزيارتهم ، قدم عذراً لتأجيله الزيارة إذ هو مضطر أن يذهب أولا إلى أورشليم حاملًا معه عطاء الأمم لقديسى أورشليم الذين تعرضوا لمجاعة ، فقد سرّ مؤمنوا مكدونية وآخائية الذين هم من أصل أممى أن يحسبوا أهلًا لرد حب اليهود المتنصرين فى أورشليم بخدمتهم روحياً بالحب بتقديم عطاءً مادياً وقت عوزهم .

يقول الرسول : « **لأن أهل مكدونية وآخائية إستحسنوا أن يصنعوا توزيعاً للفقراء القديسين الذى فى أورشليم ، إستحسنوا ذلك وانهم لهم مدينون ، لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا فى روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم فى الجسديات أيضاً** » ع **٢٦ ، ٢٧** .

أولًا : يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن حديث الرسول هنا لم يكن بقصد إثارة كنيسة روما للمساهمة فى إحتياجات القديسين فى أورشليم الذين تعرضوا للمجاعة ، وإلا كان قد زارهم للجمع للقديسين ... إنما إستغل هذا العطاء من جانب الكنائس التى معظم أعضائها من أصل أممى للكنيسة التى معظم أو كل أعضائها من أصل يهودى ، ليعلن دخول الكنيسة ككل فى شركة حب . بهذا يثير الرسول كنيسة روما لا للعطاء المادى لكنيسة أورشليم وإنما لانفتاح القلب لخدمة الأمم .

ثانياً : يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لم يقل : أذهب لأحمل العطاء ، بل « لأخدم » (دياكونس) (٤٨٢) ، فإن كان الرسول العظيم لا يتطلع إلى العطاء إلا كعمل روحى وخدمة وليس عملًا إجتماعياً مجرداً ، فكم بالأكثر تكون بهجته ليس حين يحمل عطاء مادياً بل إنجيل الحق لأهل روما ؟ !

لقد حسبت الكنائس عطاءهم « شركة » ، علامة حب داخلى ووحدة ، فحمل الرسول لا أموالهم ولا تقدماتهم المادية ، إنما ما هو أعظم ، حمل قلبهم المملوء حباً وروح الوحدة الذى فيهم مع بقية الأعضاء . ولهذا السبب حسب الرسول انه يحمل كنزاً ملوكياً محفوظاً بختم ملكى لا يستطيع أن يسلبه لص أو تحيق به مخاطر .

ثالثاً : يقول **القديس الذهبى الفم** [٤٨٣] إن الرسول يدعو ما يحمله « **ثمراً** » ع ٢٨ لا « عطاء » ، لأن ما يحمله إنما هو لنفع مقدميه ، وثمرهم الروحى .

٦ ــ جهادهم معه بالصلوات

إن كان الرسول يبدو متهللًا من أجل ثمر الروح المعلن فى كنائس الأمم التى قدمت لا عطاء مادياً مجرداً بل ثمراً متكاثراً علامة حب لإخوتهم فى أورشليم ، الآن يثير كنيسة روما لتساهم هى أيضاً فى الخدمة لا بتقديم مال لإحتياجات القديسين وإنما لتقديم صلوات بجهاد عظيم لدى الله من أجله لكى يتمم الله رسالته فيه بالرغم من مقاومة البعض له .

والعجيب انه قبل أن يسألهم هذا الطلب كمن هو محتاج إلى جهادهم معه فى خدمة الكرازة للأمم خلال الصلوات خشى لئلا يحسبوا أنفسهم ليسوا أهلا لهذا العمل ، لذا يقول : « **وأنا أعلم انى إذا جئت إليكم سأجيء فى ملء بركة إنجيل المسيح** » ع **٢٩** . وكأنه يقول عند مجيىء إليكم أجدكم أهلًا للمدح بلا حدود خلال الإنجيل ، من أجل فيض أعمالكم المقدسة المستحقة كل تطويب . هذا من جانب ومن جانب آخر فإن ما يقدمونه من جهاد فى الصلاة عنه لأجل الخدمة يأتى متناغماً مع عمل السيد المسيح الخلاصى ومحبة الروح القدس ، إذ يقول : « **فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معى فى الصلوات من أجلى إلى الله** » ع **٣٠** . لذا فصلواتهم حتماً تكون مقبولة وفعّالة لأنها حسب إرادة الله الصالحة ومحبته الفائقة .

٧ ــ مقاومة غير المؤمنين له

لا تقف خدمتهم النابعة عن إتساع قلوبهم بالحب نحو إخوتهم الذين من الأمم عند إحتمال ضعفاتهم والشهادة لعمل الله الخلاصى أمامهم وإنما أيضا ممتد إلى الصلاة من

أجل الكارزين حتى يخلصهم الرب من مقاومة المعاندين . ويحسب الرسول نفسه أكثرهم إحتياجاً للصلاة عنه من أجل شدة المقاومة التى يجابهها ، إذ يقول : « **لكى أنقذ من الذين هم غير مؤمنين فى اليهودية ، ولكى تكون خدمتى لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين** » ع **٣١** .

٨ ــ خاتــمة

إذ يتحدث عن المقاومة التى تصيبه من الأشرار ، وإلتزام الكنائس أن تصلى من أجله ، يصلى هو أيضا من أجل الكل ليسندهم الله فى جهادهم ، إذ يقول : « **إله السلام معكم أجمعين . آمين** » ع **٣٣** .

+ + +



الباب الرابع
إصحاح ختامي ص ١٦



إن كان الأصحاح السابق يُعتبر خاتمة الفصل العملى من الرسالة وهو فصل متكامل ومتناغم مع الفصل السابق له ، الفصل الإيمانى ، حيث يصعب فصل إيمان الكنيسة عن حياتها السلوكية ، فإن هذا الفصل الأخير والذى يمثل ختام الرسالة يقدم لنا فى غالبيته عدداً كبيراً من الأسماء التى لا نعرف عن بعضها شيئاً ؛ لكنه فى الواقع يمثل صورة حية ومبهجة وفعّالة عن الحياة المسيحية فى العصر الرسولى ، فيها يكشف الروح القدس عن إلتهاب الكنيسة بروح الحب الذى يقّدس المشاعر والعواطف المتبادلة فى الرب لبنيان الكنيسة روحياً ، فكثيرون يدعوهم « أحباء » أو « أنسباء » أو « العاملين معنا فى الرب » ، بينما يدعو هذه « أختنا » وتلك العجوز « المحبوبة » وثالثة « التاعبة فى الرب » ... لكل شخص لقب خاص محفور بالروح فى قلب الرسول ...

١ ــ توصيته بخصوص فيبى . ١ ــ ٢ .
٢ ــ تحيات شخصية . ٣ ــ ١٥ .
٣ ــ القبلة الروحية العامة . ١٦ .
٤ ــ تحذير من المعلمين الكذبة . ١٧ ــ ٢٠ .
٥ ــ تحيات أصدقاء الرسول . ٢١ ــ ٢٤ .
٦ ــ ذكصولجية « ختام » ٢٥ ــ ٢٧ .

+ + +

١ ـــ توصيته بخصوص فيبى

« أوصى إليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة (شمامسة) الكنيسة التى فى كنخريا ، كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين ، وتقدموا لها فى أى شيء إحتاجته منكم ، لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضا » ع ١ ، ٢ .

إذ يكتب الرسول إلى كنيسة لم يسبق له خدمتها بحضوره هناك لكنه فى دالة الحب يقدم لهم فيبى شماسة بالكنيسة التى فى كنخريا موصياً عنها ... بهذا يشعرهم الرسول أنه ليس بغريب عنهم لكنه صاحب دالة لديهم ، كما يحبهم حباً يطلب حبهم وخدمتهم .

يرى البعض انها من متنصرى الأمم لأن إسم « فيبى » مشتق من « فيبس » إسم أحد الآلهة الوثنية . ويرى البعض ان هذا الإسم « فيبى » مشتق من الكلمة اليونانية « فوس » التى تعنى « يشرق » أو « يضىء » (٤٨٤) .

يبدو أنها كانت غنية وذات مركز إجتماعى مرموق ، أُقيمت كشماسة للكنيسة فى كنخريا ميناء كورنثوس ، يبعد حوالى تسعة أميال شرقى كورنثوس ، وكان لها خدمتها الفعّالة فى الكنيسة ، حتى قال الرسول عنها : « **لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضاً** » .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم :

[أنظر كيف يكرمها بطرق كثيرة ، فقد أشار إليها قبل الكل ودعاها أخته . وهذا ليس بالأمر الهين أن تدعى أختاً لبولس ؛ كما ذكر رتبتها بكونها « شماسة » (خادمة) ...

لتهتموا بها على أساسين : تقبلوها من أجل الرب ، ولأنها هى نفسها قديسة (٤٨٥)] .

٢ ـــ تحيات شخصية

إن كانت هذه الرسالة تقدم لنا أسماء ٢٦ شخصاً أغلبهم لا نعرف عنهم شيئاً ، لكننا نشعر بأهمية هذا الجزء من الرسالة إذ يقدم لنا صورة حية لقلب رسولنا بولس

الذى يظهر عاطفته الحانية وإعتزازه وتقديره للمشاعر المقدسة فى الرب . يمكننا أيضاً أن نرى فى هذه التحيات الحارة صورة للصداقات العميقة والحب الطاهر السخى بين أعضاء الكنيسة الأولى .

لقد قدم لنا الرسول كل صديق له يحمل لقباً خاصاً يعتز به الرسول ، هذا اللقب لا يقوم على الشهرة أو الغنى أو العلم وإنما على شركة الحياة التقوية والجهاد فى الخدمة .

يلاحظ فى الـ ٢٦ إسماً ، ان إسماً واحداً عبرانياً هو « مريم » ، وأربعة أسماء لاتينية هى أمبلياس وأوربانوس وجوليا ونيريوس ، وبقية الأسماء يونانية .

يقول الرسول : « **سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع ، اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى اللذين ليست أنا وحدى أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم ، وعلى الكنيسة التى فى بيتهما** » ع **٣ ــ ٥** .

جاء ذكر أكيلا وزوجته بريسكلا فى أع ١٨ : ٢ ، ١٨ ، ٢٦ ؛ ١ كو ١٦ : ١٩ ، ٢ تى ٤ : ١٩ ؛ وهما يهوديان يعملان كصانعى خيام ، تركا روما كأمر كلوديوس قيصر عام ٤٩ الذى طرد جميع اليهود من روما ، ليعودا ثانية . كانا تاجرين غنيين وتقيين ، كانت الزوجة أكثر غيرة على ما يظن لذا ذكرها الرسول قبل زوجها (أيضا فى ١ كو ١٦ : ١٩ ، رو ١٨ : ٢) . إلتقى بهما الرسول لأول مرة فى كورنثوس (أع ١٨ : ٢) وبقى معهما حوالى ١٨ شهراً ، وذهبا معه إلى أفسس (أع ١٨ : ١٨) ، ثم رجعا إلى روما . إينما وجدا كان يفتحان بيتهما ككنيسة لخدمة المؤمنين الغرباء ويجتمع فيها المؤمنون للعبادة . يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** [٤٨٦] ان بيتهما كان يُدعى كنيسة إما لأنهما كسبا كل أهل بيتهما للإيمان أو لفتح بيتهما لخدمة المؤمنين الغرباء .

لقد عرض هذين المؤمنين حياتهما للخطر بسبب معلمنا بولس الرسول ربما أثناء الشغب الذى حدث فى كورنثوس (أع ١٨ : ٦ ــ ١٠) أو فى أفسس (أع ١٩ : ٣١ ، ٣٢) ... لذلك يبقى لا الرسول وحده بل وجميع كنائس الأمم يقدمون الشكر لهما .

« **سلموا على أبينتوس حبيبى الذى هو باكورة أخائية للمسيح** » ع ٥ .

كلمة « أبينتوس » من أصل يونانى تعنى « مستحق للمديح » [٤٨٧] ، وهو أول من قبل الإيمان فى آسيا الصغرى على يدى الرسول ... يدعوه الرسول حبيبه وباكورة عمله هناك ، وكأنه يسأله أن يرد الحب بالحب ، فلا يكف عن العمل فى روما لحساب الإيمان الذى قبله قبل كثيرين .

« **سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيراً** » ع ٦ ؛ لا نعرف عنها شيئاً إلا أنها كانت نافعة للرسول فى خدمته قبل ذهابها إلى روما ... وكأنه أيضا يطالبها ألا تكف عن التعب من أجل الخدمة .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة قائلًا : [ما هذا ؟ لقد كرُمت إمرأة وحسبت متنصرة ! أفلا نخجل نحن كرجال ؟ ! ... إننا نحسبه كرامة لنا أن توجد نساء بيننا كهذه ، ولكننا نخجل إن كنا كرجال صرنا خلفهن [٤٨٨]] . يكمل حديثه قائلاً بأنه وإن كانت النساء ممنوعات من خدمة التعليم العامة (١ تى ٢ : ١٢ ، ١ كو ١٤ : ٣٥) لكنها لا تحرم من النطق بكلمة التعليم ، إذ تستطيع الزوجة أن تربح رجلها (١ كو ٧ : ١٦) ، وتهذب أولادها (١ تى ٢ : ١٥) ، بل ونجد بريسكلا تعلم أبولس . كما يعلق على قول الرسول : « **التى تعبت لأجلنا كثيراً** » ، بقوله : [قدمت خدمات أخرى كثيرة محتملة مخاطر ، من جهة المال والأسفار . فإن نساء تلك الأيام كن روحيات أكثر من الأسود (فى القوة) ، ساهمن مع الرسل فى التعب لأجل الإنجيل [٤٨٩]] .

« **سلموا على أندرونكوس ويونياس نسيبيّ المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا فى المسيح قبلى** » ع ٧ . الإسم الأول من أصل يونانى يعنى « الغالبين » [٤٩٠] ، والثانى من أصل لاتينى ، وهما يهوديان يمتان بصلة قرابة للرسول ، إحتملا السجن معه فى وقت غير معروف ، يعتز بهما لأنهما قد عرفا السيد المسيح قبله ، ولهما دورهما الهام فى الخدمة حتى صارا مشهورين بين الرسل .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** [٤٩١] أنهما لم يسقطا تحت الأسر بالمعنى الحرفى (كأسرى حرب) وإنما إحتملا ما هو أقسى من ذلك إذ عاشا فى الغربة

محرومين من أقربائهما وإحتملا المجاعة والميتات المستمرة وسقطا تحت المتاعب بلا حصر .

على أى الأحوال لم يتجاهل الرسول القرابة الجسدية التى تتقدس خلال الإيمان ، كما لا يخجل من الكشف عن إيمانهما بالسيد المسيح قبله ...

« سلموا على أمبلياس حبيبى فى الرب » ع ٨ .

كلمة « أمبلياس » من أصل لاتينى تعنى « مكبّر » أو « مضخم » [٤٩٢] .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** ان دعوته « حبيبى » تكشف عن حب الرسول الشديد له بسبب حياته الفاضلة .

« سلموا على أوربانوس العامل معنا فى المسيح وعلى أستاخيس حبيبى ، سلموا على أبلس المزكى فى المسيح ، سلموا على الذين هم من أهل أرستوبولوس ، سلموا على هيروديون نسيبى ، سلموا على الذين هم من أهل نركسيس الكائنين فى الرب » ع ٩ — ١١ .

« أوربانوس » كلمة لاتينية تعنى : « قاطن مدينة » [٤٩٣] ، « أستاخيس » كلمة يونانية تعنى : « سنبلة قمح » [٤٩٤] ، « أبلس » ربما مشتقة من « أبولو » [٤٩٥] ، « أرستوبولس » كلمة يونانية تعنى : « ناصح حكيم » [٤٩٦] ، « هيروديون » ربما من « هيرودس » أى « من نسل بطولى Hero » ، « نركسيس » كلمة لاتينية من أصل يونانى معناها غير أكيد ...

يلاحظ ان الرسول يمدح الجميع ، فيدعو الأول عامل معه فى خدمة السيد المسيح ، والثانى حبيبه ، والثالث مُزكى فى المسيح ربما لإجتيازه ضيقات كثيرة بصبر أو لجهاده فى الخدمة الخ ... أما بالنسبة لأهل أرستوبولس وأهل نركسيس فربما كان هذا الإثنان وثنيين ولكن لهما عبيد أو أبناء مؤمنون ...

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [**إذ يقدم مدحاً خاصاً بكل أحد ، لا يسمح بوجود حسدٍ فيما بينهم بمدحه لأحد وإستخفافه بآخر ، ولكى لا يوجد بينهم تهاون أو إرتباك ، مقدماً لكل واحد كرامة متساوية ، وإن كان ليس الكل يستحق كرامة هكذا متساوية** [٤٩٧]] .

يهدى الرسول السلام أيضا لتريفينا وتريفوسا ، وهما كما يُقال انهما كانتا جاريتين قد تعبتا فى الرب واستحقتا مديح الرسول بولس . الإسمان لاتينيان مشتقان عن الكلمة اليونانية التى تعنى « رقيقة » أو « لطيفة » . كما يسلم على برسيس ، إسمها يونانى معناه « فارسى » ، لم يخجل من أن يدعوها « المحبوبة » من أجل كبر سنها .

يذكر أيضا روفس الذى يقال أنه إبن سمعان القيروانى الذى حمل مع السيد المسيح صليبه (مر ١٥ : ٢١) ، وقد شهد لأم روفس انها فى محبتها للرسول وخدمتها له صارت « أماً » له .

وهكذا أخذ يعدد السلام لإخوة فى الرب ...

٣ ـــ القبلة الروحية العامة

بعد أن قدم التحيات لأسماء معينة ، من رجال ونساء ، خدام للرب وشعب ، ساده وجوارى ، أعلن حبه للجميع ، الذين لا يعرفهم بالاسم ، ليس حبه وحده وإنما حب الكنائس كلها لهم : « **سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ، كنائس المسيح تسلم عليكم** » ع **١٦** . هكذا كانت الكنيسة فى العالم تشعر انها أسرة واحدة ، وكان الرجال يقبلون الرجال ، والنساء يقبلن النساء بقبلة مقدسة (١ كو ١٦ : ٢٠ ؛ ١ تس ٥ : ٢٦ ؛ ١ بط ٥ : ١٤) . وكانت القبلة الروحية تمثل جزءاً لا يتجزأ من العبادة ، علامة الحب الذى بلا رياء ، وإلى يومنا هذا نسمع الشماس فى القداس الإلهى ، يعلن : « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة » .

يقول الراهب الانجليكانى دكس إن القبلة الرسولية لا تزال بصورتها الأولى عند الأقباط والأثيوبيين فقط (٤٩٨) .

+ لا تظن أن هذه القبلة كتلك التى إعتاد الأصدقاء على ممارستها فى الإجتماعيات (agio) ، هى ليست من هذا الصنف ، إنما هذه توّحد النفس وتزيل كل حقد . هى علامة إتحاد النفوس معاً .

القديس كيرلس الأرشليمى (٤٩٩)

+ هى علامة السلام ، فما تظهره الشفاه من الخارج يوجد فى القلوب فى الداخل .

القديس أغسطينوس (٥٠٠)

٤ ــ تحذير من المعلمين الكذبة

يحذرهم الرسول بولس من صانعى الإنشقاقات والعثرات ، هؤلاء الذين هم جسدانيون يخدمون بطونهم لا المسيح .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [(الإنشقاق) هو سلاح الشيطان يقلب كل شيء رأساً على عقب . مادام الجسد متحداً معاً لا يقدر أن يجد الشيطان له مدخلًا ، أما العثرة فتأتى خلال الإنقسام . من أين يأتى الإنشقاق ؟ من الآراء المخالفة لتعاليم الرسل . ومن أين تأتى هذه الآراء ؟ من عبودية الناس للبطن والأهواء الأخرى ... هذا ما قاله عندما كتب إلى أهل فيلبى : « الذين إلههم بطنهم » فى ٣ : ١٩ (٥٠١)] .

يسألهم الحذر من المعلمين الكذبة الذين : « **بالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء** » ع ١٨ ، إذ هم مخادعون ينطقون بالكلمات المعسولة على خلاف ما فى باطنهم ... لذا يليق بنا إن نكون حكماء للخير وبسطاء للشر (ع ١٩) .

إن كان العدو يستخدم أساليب الخداع والمكر ليصطاد النفوس البسيطة فى شباكه ، فإن مسيحنا قادر أن يسحقه : « **وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم ، نعمة ربنا يسوع المسيح معكم ، آمين** » ع ٢٠ ، انه يصلى لأجلهم لكى يهبهم الله النعمة الإلهية لخلاصهم من كل تجربة :

+ مادام يتحدث عن صانعى الإنشقاقات والعثرات بين الناس لذلك أشار إلى « إله السلام » أيضا لكى يملأهم رجاءً من جهة الخلاص من هذه الشرور ...

إنها صلاة ونبوة فى نفس الوقت (ان الله يسحق الشيطان تحت أقدامنا سريعاً) ! ... إنها أقوى سلاح ؛ حصن منيع وبرج ثابت ! ...

القديس يوحنا الذهبى الفم (٥٠٢)

+ ها أنتم ترون الشيطان الصياد الذى يشتاق أن يقتنص نفوسنا للهلاك . إنه ينصب شباكاً كثيرة وخداعات من كل نوع ... مادمنا فى حالة نعمة تكون نفوسنا فى سلام ، لكن ما أن نلهو بالخطية حتى تصير نفوسنا فى إضطراب كقارب تلطمه الأمواج .

القديس جيروم [٥٠٣]

هكذا يقدم الرسول صلاة عن شعبه لا ليحطم أصحاب الإنشقاقات وإنما ليحطم الشيطان نفسه الذى يعمل فيهم ليصير تحت أقدامهم لا حول له ولا قوة . إنه ينهار سريعاً لأن الزمان مقصر وأيام خداعاته قليلة .

٥ ــ تحيات أصدقاء الرسول

يظن البعض أن الرسول بولس قرأ رسالته فى كورنثوس قبل إرسالها وأن التحيات هنا جاءت كطلب الكنيسة هناك .

جاءت التحيات من القديس تيموثاوس الابن المحبوب للرسول بولس ، إبنه فى الإيمان ، وشريكه فى العمل ، ورفيقه فى كثير من الرحلات ...

وأيضا من غايس مضيف الرسول بل « ومضيف الكنيسة كلها » ، ربما لأنه حوّل بيته إلى مركز للعبادة ، وكان يضيف فيه المؤمنين الغرباء عن كورنثوس .

٦ ــ ذكصولوجية « ختام »

جاءت الذكصولوجية هنا تحمل صدى ماجاء فى الرسالة ككل ، إذ عبّر فيها عن الحاجة إلى الله الذى لا يهب فقط الإيمان وإنما يهبنا ثبوتنا فيه أيضا . وان السرّ الذى أعلنه لنا فى ملء الزمان هو السرّ الأزلى الخفى ، الذى تنبأ عنه الأنبياء : سرّ قبول جميع الأمم لإطاعة الايمان ، إذ يقول : « **وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلى والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السّر الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية ، ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلى لإطاعة الإيمان ، لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد ، أمين** » ع **٢٥ ــ ٢٧** .

فقد أبرز الآتى :

أ ــ الله هو الذى يثبتنا فى الإنجيل .
ب ــ ان خطة الله من نحونا (سّره) أزلية .
جـ ــ هذه الخطة سبق فتنبأ عنها الأنبياء فى العهد القديم .
د ــ خطة الله هى طاعة جميع الأمم للإيمان .

أخيراً أوضح الرسول أن الذى كتبها هو ترتيوس (ع ٢٢) وأُرسلت مع الشماسة فيبى إلى أهل روما .

+ + +

الملاحظات

مقدمة الرسالة

1 - Strong : Greek Dict. of the N. T., article 4517.
2 - J. Hastings : Dict. of the Bible, N. Y. 1963, p 862.
3 - Ibid.
٤ ـــ مذكرات القس مينا اسكندر على الرسالة ، باكليريكية الاسكندرية .
5 - Donald Guthrie : N. T. Introduction, 1975, p 393 - 4.
٦ ـــ إسم لاتينى معناه « الثالث » .
٧ ـــ إسم يونانى معناه « دخن » ، وتسمى حالياً « كخريس » .
8 - Jerome Biblical Comm., p 292; Guthrie p 395.
9 - Guthrie, P 400 - 404.
10 - Origen & the Doctrine of Grace, London 1960, p 48.
11 - Incar. 3.
12 - Against Arians 2 : 67.
13 - J. Hastings : Dict. of the Apostolic Church, v 2, p 370 - 1.

الأصحاح الأول

14 - In Rom, hom 1.
15 - Ibid.
16 - Of the Christian Faith 5 : 9 (115).
17 - Ibid 1 : 16 (104)
18 - In Rom. hom 1.
19 - Cat. hect. 12 : 23.
20 - City of God 17 : 8.
21 - In Rom. hom 1.
22 - Ibid.
23 - Of Chris. Faith 3 : 5 (34).
24 - Orat. 37 : 7.
٢٥ ـــ آباء مدرسة اسكندرية الأولون .
26 - In Rom. hom. 1.
27 - Ibid.
28 - Erdman : The Epistle to Romans, p 25.
29 - In Rom. hom 1.
30 - Of the Holy Spirit 1 : 12 (126).
31 - In Rom. hom 2.
32 - Ibid.
33 - Ibid.
34 - Ibid.
35 - Ibid.
36 - Ibid.
37 - Strom. 5 : 1.
38 - In Rom. hom 2.
39 - Ibid.
40 - Ibid.
41 - Adv. Marc. 5 : 13.
42 - Strom 2 . 6.
43 - City of God 20 : 26.
44 - In Rom. hom 2.
45 - On Christian Doctrine 1 : 4.
46 - Of Christ. Faith 1 : 10 (62).
47 - In Ioan. tr 14 : 3.
48 - Ibid 2 : 4.
49 - City of God 8 . 10.
50 - Instit. 12 : 21.
51 - Conf. 3 : 20.
52 - Ibid 3 : 20.
53 - In Rom. hom 3.
54 - Ibid 4.
55 - Ibid.
56 - Ibid 5.
57 - De Corona 6.

الأصحاح الثانى

58 - In Rom. hom 5.
59 - Cassian : Conf. 7 : 31.
60 - In Ioan. tr 33 : 7.
61 - In Eph. hom 4; In matt. hom 75.
62 - City of God 1 : 8.
63 - In Rom. hom 5.
64 - Adv. Haer 4 : 37 : 1.
65 - In Rom. hom 5.
66 - Ibid.
67 - In Ioan tr 54 : 6.
68 - Ibid 89 : 3.
69 - In matt. hom 75.
70 - In matt. hom 5.
71 - Ibid.
72 - Cassian : Conf. 7 : 5.

73 - Ibid 17 : 14.
74 - Comm. on John, book 1 : 6.
75 - In matt. hom 6.
76 - Ibid.
77 - Cat. lect. 12 : 1.
78 - In matt hom 6.
79 - Cat. lect. 23 : 13.
80 - In matt hom 6.
81 - On lying 8.
82 - Of the work of Monks 12.
83 - Com. on Matt. book 11 : 12.
84 - On the Trinity 5 : 28.
85 - In Titus hom 2.
86 - In Rom. hom 6.

الأصحاح الثالث

87 - Ibid.
88 - On Ps. hom 20.
89 - Ep. 67 : 8.
90 - Unity of the Church 22.
91 - Ep. 54 : 6, 7.
92 - Seventh Council of Carthage under Cyprian.
93 - Ser. on N. T. lessons 83 : 6.
94 - City of God 14 : 4.
95 - Instru. 1 : 8.
96 - In Rom hom 7.
97 - In 1 Tim. hom 4.
98 - Ser. on N. T. lessons 30 : 4.
99 - In Rom. hom 7.
100 - City of God 17 : 4.
101 - In Rom. hom 7.
102 - In Ioan tr 25 : 12.
103 - In Rom. hom 7.
104 - Strom 5 : 3.

الأصحاح الرابع

105 - In Rom. hom 8.
106 - Ibid.
107 - Strom 2 : 15.
108 - In Ioan. tr. 29 : 6; 53 : 10; 72 : 2; 19 : 11.
109 - In Rom. hom 8.
110 - Ser. on N. T. lessons 75 : 2.
111 - Ser. on N. T. 19 : 3.
112 - Scorpiace 7.

الأصحاح الخامس

113 - Ep. 60 : 3.
114 - In Rom. hom 9.
115 - Ibid.
116 - Ibid.
117 - Ibid.
118 - On Ps. hom 39.
119 - In Rom. hom 9.
120 - Cassian : Conf 16 : 13.
121 - Of the Holy Spirit 1 : 8 (94).
122 - In Ioan. tr 9 : 8; 39 : 5; 27 : 9; 32 : 8.
123 - Ibid 94 : 2.
124 - Ser. on N. T. lessons 78 : 4; Harm. of the Gospel 1 : 34.
125 - Cassian : Conf 21 : 33.
١٢٦ ــ الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ــ رسالة رومية ، ص ٧٢ .
127 - In Rom. hom 9.
128 - In Ioan. tr 110 : 6.
129 - In Rom. hom 9.
130 - Ep. 51 : 19.
131 - In Rom. hom 10.
132 - On Belief of Resur. 2 : 6.
133 - 12 Topics of Faith 12.
134 - City of God 16 : 27.
135 - Adv Haer 3 : 18 : 7.
136 - Against Arians, Dise 1 : 59.
137 - Pasch. Ep. 5: 3.
138 - On luke 10 : 22.
139 - In Rom. hom 10.
140 - Ibid.
141 - Ser. against Auxentius 36.
142 - Ep. 39 : 4.
143 - On Continence.

الأصحاح السادس

144 - In Rom. hom 10.
145 - Ibid.
146 - Conc. Repent. 2 : 3 (9).
147 - Oration of Holy Baptism 9.
148 - On Baptism of Christ.
149 - In Rom. hom 10.
150 - In Rom. hom 11.
151 - Strom. 4 : 7.

152 - Ep; 63 : 11.
153 - Ep. 69 : 7.
154 - On Ressir. of the Flesh 46.
155 - Ibid 47.
156 - In Rom. hom 11.
157 - Paschal Ep. 10 : 8.
158 - Ser. against Auxentius 13.
159 - On Ps. hom 5.
160 - Ibid 40, 55.
161 - On Continence 8; In Ioan. tr 41 : 12
162 - Serm on N. T. 78 : 8, 12.
163 - Adv. Haer 5 : 14 : 4.
164 - In Ioan tr 41 : 8.
165 - Cassian : Conf 1 : 5.
١٦٦ — طبعة ١٩٦٩ ص ٣٨ — ٤٢ .

الأصحاح السابع

167 - In Rom. hom 12.
168 - Ibid.
169 - In Ioan tr 112 : 5.
170 - In Rom. hom 12.
171 - In Ioan tr 86 : 5; Ser. on N. T. lessons 95 : 3.
172 - In Rom. hom 12.
173 - In Ioan. tr 62 : 1.
174 - In Rom. hom 12.
175 - Cassian : Conf 23 : 13.
176 - On Resurr.
177 - Cassian Conf 23.
178 - In Ioan. tr 41 : 10.
179 - On Continence 20.
180 - On Resurr.
181 - Cassian : Conf. 20 : 12.
182 - On Ps. hom 41, 51.
183 - Ep. 130 : 9; 22 : 5.
184 - On Belief in Resurr. 41.
185 - In Ioan. tr 41 : 11.
186 - Cassian : Conf. 23 : 10, 11.
187 - Ibid 23 : 16 - 18.
188 - Ibid 4 : 11.
189 - On Continence 19.
190 - In Ioan. tr 77 : 4.
191 - Ibid 41 : 10.
192 - Ser. on N. T. lessons 95 : 3.

الأصحاح الثامن

193 - Cassian : Conf. 23 : 13.
194 - In Rom. hom 13.
195 - On Ps. hom 7.
196 - In matt. hom 16.
197 - In Ioan. tr 41 : 6; 108 : 4.
198 - Conc. Repent. 1: 3 (12).
199 - Ser. on N. T. 19 : 4.
200 - Ep. 10 ad Adelphium; against Arians, disc. 1 : 51.
201 - In Rom. hom 13.
202 - Ibid.
203 - Adv. Haer. 5 : 10 : 2.
204 - Ibid 5 : 8 : 1.
205 - Strom 2 : 22.
206 - In Rom. hom 13.
207 - Ibid.
208 - Of the Holy Spirit 3 : 19 (149).
209 - In Rom. hom 14.
210 - Ser. on N. T. 78 : 9.
211 - In Rom. hom 14.
212 - In Ioan. tr 85 : 3.
213 - On Ps. hom 59.
214 - Reproach & Grace 4; Grace & Free - will 23.
215 - On Jealousy & Envy 14.
216 - Adv. Eunomius 10 : 4.
217 - Horm. of Gospel 3 : 4.
218 - In Rom. hom 14.
219 - Ibid.
220 - Ep 22 : 40; 14 : 16, 10.
221 : Ep 76 : 7.
222 - Ser. on N. T. 20 : 3.
223 - In Rom. hom 14.
224 - Ibid.
225 - Adv. Eunomius 4 : 3.
226 - Adv. Haer 5 : 32 : 1.
227 - In Rom. hom 14.
228 - In Ioan. tr 86 : 1.
229 - Ser On N. T. 55 : 7.
230 - In Rom. hom 14.
231 - Ibid.
232 - Cassian : Conf. 9 : 34.
233 - In Ioan. tr 6 : 1.
234 - In Rom. hom 15.
235 - Cassian : Conf. 6 : 8.
236 - Grace & Free - will 33.
237 - On Ps. hom 6.
238 - In Rom. hom 15.
239 - Reproach & Grece 22.
240 - In Rom. hom 15.
241 - Adv. Eunomius 2 : 8.
242 - City of God 22 : 16.

243 - Against Arians 2 : 61.
244 - In Rom. hom 15.
245 - Reproach & Grace 23.
246 - In Rom. hom 15.
247 - Ibid.
248 - In Ioan. tr 112 : 5.
249 - Of the Holy Spirit 1 : 12 (129).
250 - In Rom. hom 15.
251 - In Ioan. tr 56 : 4.
252 - Ibid 58 : 5.
253 - Conc. Repent. 1 : 3 (14).
254 - In Rom. hom 15.
255 - Frag. from Comm. on Prov 9 : 1.
256 - Ep. 7 : 5.
257 - Adv. Haer 2 : 22 : 2.
258 - In Rom. hom 15.
259 - Of the Christian Faith 5 : 16 (187).

الأصحاح التاسع

260 - Cassian : Conf. 9 : 18.
261 - Strong : Hebrew & Chaldee Dict., article 3478.
262 - In Rom. hom 16.
263 - Against heresy of Noetius 6.
264 - In Rom. hom 16.
265 - In Ioan. tr 117 : 5.
266 - City of God 16 : 32.
267 - Ibid 16 : 34.
268 - In Rom. hom 16.
269 - Adv. Haer 4 : 21 : 2.
270 - In Ioan. tr 11 : 10.
٢٧١ — طبعة ١٩٨٤ ، ص ٢٤٢، ٢٤٣
272 - City of God 16 : 35.
273 - In Rom. hom 16.
274 - Ep. 133 : 6.
275 - Ep. 130 : 12.
276 - Cassian : Conf 4 : 5.
277 - Instit. 12 : 9.
278 - On Ps. hom 34.
279 - In Rom. hom. 16.
280 - Ibid.
281 - Ibid.
282 - Adv. Haer. 4 : 20, 21.
283 - In Rom. hom 17.

الأصحاح العاشر

284 - In Ioan. tr. 93 : 4.
285 - Ibid 26 : 1.
286 - City of God 17 : 4.
287 - Grace & Freeuill 24.
288 - In Rom. hom 17.
289 - Strom 2 : 9.
290 - In Ioan. tr. 3 : 2.
291 - In Rom. hom 17.
292 - In Ioan tr. 26 : 1.
293 - Ep. 41 : 15.
294 - On Belief in Resurr. 2 : 112.
295 - Ser. on N. T. 4 : 4.
296 - In Rom. hom 18.
297 - Ibid.
298 - Dial. with Trypho 97.

الأصحاح الحادى عشر

299 - In Rom. hom 18.
300 - Ibid.
301 - Ibid.
302 - Ibid.
303 - Ibid.
304 - In Ioan. tr. 53 : 6.
305 - Of the Holy Spirit 2 : Intr. (9).
306 - In Rom. hom 19.
307 - In Rom. hom 19.
308 - Ibid.
309 - Adv. Haer. 1 : 8 : 4.
310 - Adv. Eunomius 2 . 8.
311 - Ibid 4 : 3.
312 - Ibid 12 : 1.
313 - Adv. Haer. 4 : 24 :1.
314 - Ep. 22 : 3.
315 - On Ps. hom 33.
316 - In Rom. hom 19.
317 - Ibid.

الأصحاح الثانى عشر

318 - In Rom. hom 20.
319 - On Ps. hom 23.
320 - On Virginity.
321 - Ep. 76 : 3.
322 - In Rom. hom 20.
323 - In Ioan. tr 74 : 3.

324 - In Rom. hom 20.
325 - Ibid 21.
326 - Ibid.
327 - Ibid.
328 - Ibid.
329 - Ep. 22 : 2.
330 - Ep. 52 : 4.
331 - On Ps. hom 57.
332 - Ep. 49 ad Dracontium.
333 - In Ioan. tr 111 : 1.
334 - In Rom. hom 21.
335 - Ibid.
336 - Ep. 59.
337 - In Rom. hom 22.
338 - Ibid.
339 - Ibid.
340 - On Ps. hom 57.
341 - Ep. 63 : 100.
342 - Duties of Clergy 1 : 21 (91).
343 - On Ps. hom 22, 41; adv. pelag. 1 : 30 (See st. Aug : On Christian Doctrine 3 : 16).
344 - Cassian : Conf. 16 : 22, 23.

الأصحاح الثالث عشر

345 - In Rom. hom 23.
346 - In Ioan. tr 57 : 1.
347 - Ibid 83 : 3.
348 - Strom. 4 : 19.
349 - In Rom. hom 23.
350 - Ibid 24.
351 - Pastoral Rule 3 : 39.
352 - On Ps. hom 46.
353 - On Jealousy & Envy 10.
354 - Strom. 4 : 26.
355 - Pasch. Ep. 4 : 3.
356 - In Rom. hom 24.

الأصحاح الرابع عشر

357 - In Rom. hom 25.
358 - Cassian : Conf. 17 : 20.
359 - Conc. Virgins 1 : 6.
360 - Instruc. 2 : 1.
361 - In Rom. hom.25.
362 - Cassian : Conf. 21 : 13.
363 - In Rom. hom 26.
364 - Instr. 2 : 1;
365 - Cassian : Conf. 1 : 13.
366 - Ibid.

الأصحاح الخامس عشر

467 - In Rom. hom 27.
468 - Ser. on N. T. 26 : 4.
469 - In Rom. hom 27.
470 - Ibid.
471 - Ibid.
472 - Ibid.
473 - Ibid 28.
474 - Ibid 29.
475 - Ibid.
476 - Ibid.
477 - Ep. 159 : 2.
478 - In Rom. hom 29.
٤٧٩ ـــ الليريكون هي إحدى ولايات المملكة الرومانية شمال غربي مكدونية .
480 - In Rom. hom 29.
481 - On Ps. hom 14.
482 - In Rom. hom 29.
483 - Ibid.
484 - Ibid.

الأصحاح السادس عشر

485 - Strong : Greek Dict. of the N. T., articles 5402; 5457.
486 - In Rom. hom 30.
487 - Ibid.
488 - New Westminster Dict. of the Bible, p 269.
489 - In Rom. hom 31.
490 - Ibid.
491 - New Westminster Dict. p 43.
492 - In Rom. hom 30.
493 - New Westminster Dict. p 40.
494 - Mckenzie : Dict. of the Bible, p 909.
495 - New Westminster Dict. p 904.
496 - Mckenzie, 38.
497 - New Westminster, p 62.
498 - In Rom. hom 31.
499 - Gregory Dix : The shape of Liturgy, p 110.
٥٠ ـــ للمؤلف : المسيح في سرّ الأفخارستيا ، ١٩٧٣ ، ص ٤١١ .
501 - PL 38 : 1101 A.
502 - In Rom hom 32.
503 - Ibid.
504 - On Ps. hom 20.

المحتـويات

صفحة

مقدمة فى الرسالة ٥

روما ، نشأة المسيحية فى روما ، زمان ومكان كتابتها ، أعضاء الكنيسة الأولى ، أهمية الرسالة وغايتها ، مشكلة الأصحاح السادس عشر ، المواضيع فى الرسالة ، أقسامها .

الباب الأول : حاجة الكل إلى الخلاص ٢٣

الأصحاح الأول : مقدمة الرسالة ٢٤

البركة الرسولية ، افتتاحية تشجيعية ، شرور الأمم .

الباب الثانى : الجانب التعليمى « التبرير بالإيمان العامل بالمحبة » ٤٨

الأصحاح الثانى : حاجة اليهودى للخلاص ٤٩

الناموس وإدانة الآخرين ، الناموس والحياة العملية ، الناموس والتعليم .

الأصحاح الثالث : حاجة الكل للخلاص ٦٤

الاتهام : عدم أمانتنا مع أمانة الله ، علة الاتهام : الكل بلا برّ ، الحكم : دينونة .

الكل والحاجة إلى تبرير عام .

اليهودى وبرّ الله ٧٨

الأصحاحات ٤ ــ ١١ : التبرير بالإيمان العامل بالمحبة ٧٩

الأصحاح الرابع : ابراهيم دُعى فى الغرلة ٨٠

إبراهيم والإيمان ، إبراهيم أب جميع المؤمنين ، إيمان إبراهيم وإيماننا .

الأصحاح الخامس : بنوتنا لآدم الواحد ٩٢

ثمار برّ المسيح ، آدم وبنوه تحت الموت ، آدم الثانى والنعمة .

الأصحاح السادس : بنوة المؤمنين لله ١١٣
الحياة الجديدة بالمعمودية ، الحرية فى المسيح يسوع .

الأصحاح السابع : الناموس فاضح الخطية ١٢٧
الحاجة إلى التحرر من الناموس ، الناموس يفضح الخطية ، ناموس الله وناموس الخطية .

الأصحاح الثامن : ناموس الروح وبرّ المسيح ١٤٩
المسيح وناموس الروح ، تجديد الخليقة وعمل الروح ، المسيح المبرّر ، محبتنا للمسيح المبرّر .

الأصحاحات ٩ ــ ١١ : إختيار الله شعبه ١٨٢

الأصحاح التاسع : إختيار الأمم أيضا ١٨٤
تقدير الرسول لليهود ، اختيار الله للآباء ، اختيار الأمم أيضا ، تعثر اسرائيل .

الأصحاح العاشر : سرّ الجحود ٢٠٧
غيرة اليهود بلا معرفة ، رفضهم بساطة الإيمان ، رفضهم حب الله الشامل ، رفضهم الالتزام بالكرازة ، شهادة الأنبياء عن جحودهم .

الأصحاح الحادى عشر : الأممى وبرّ الله ٢١٩
الله لا يرفض شعبه ، قبولهم خلال توبتهم ، الأمم زيتونة برية ، انتظار توبة اليهود ، خطة الله الفائقة .

الباب الثالث : الجانب العملى ٢٣٦

الأصحاحات ١٢ ــ ١٥ : الجانب العملى ٢٣٧

الأصحاح الثانى عشر : المؤمن والحياة اليومية ٢٣٨
تقديم الحياة كلها لله ، تجديد الخارج والداخل ، التعقل فى الجهاد ، تنوع المواهب ، المحبة الاخوية ، حرارة الروح ، الفرح فى الرجاء ، الشركة فى احتياجات القديسين ، مباركة المضطهدين ، الشركة العملية ، الاتضاع ، مسالمة الجميع .

الأصحاح الثالث عشر : المؤمن والوطن **٢٦٢**

الخضوع للسلاطين ، أمانته نحو الوطن ، إلتزامه بحب القريب ، إستعدادنا للوطن السماوى .

الأصحاح الرابع عشر : المؤمن والإخوة **٢٧١**

قبول الضعيف بلا إزدراء ، عدم إدانة الإخوة ، ملكوت الله وعثرة الضعفاء .

الأصحاح الخامس عشر : المؤمن والضعفاء **٢٨٢**

احتمال الضعفاء ، اتساع القلب للأمم ، مساندته فى خدمة الأمم ، شوقه لخدمتهم فى روما ، فهمه لعطاء الأمم ، جهادهم معه بالصلوات ، مقاومة غير المؤمنين له ، خاتمة .

الباب الرابع : ختام الرسالة **٢٩٥**

الأصحاح السادس عشر : ختام الرسالة **٢٩٦**

توصيته بخصوص فيبى ، تحيات شخصية ، القبلة الروحية العامة ، تحذير من المعلمين الكذبة ، تحيات أصدقاء الرسول ، ذكصولجية « ختام » .

صدر عن هذه السلسلة

العهد الجديد:

١- متى
٢- مرقس
٣- لوقا
٤- رومية
٥- أفسس
٦-تسالونيكى الأولى
٧- تسالونيكى الثانية
٨- تيموثاوس الأولى
٩- تيموثاوس الثانية
١٠- تيطس
١١- فليمون
١٢- العبرانيين
١٣- يعقوب
١٤- بطرس الأولى
١٥- بطرس الثانية
١٦- رسائل يوحنا الرسول
١٧- رسال يهوذا
١٨- رؤيا يوحنا اللاهوتى

أسفار العهد القديم:

١- التكوين
٢- الخروج
٣- اللاويين
٤- العدد
٥- يشوع
٦- القضاة
٧- راعوث
٨- صموئيل الأول
٩- صموئيل الثانى
١٠- أستير
١١- المزامير
١٢- أشعياء
١٣- حزقيال
١٤- نشيد الأناشيد
١٥- هوشع
١٦- يوئيل
١٧- عاموس
١٨- عوبديا
١٩- يونان النبى
٢٠- ناحوم
٢١- حبقوق
٢٢- حجى
٢٣- زكريا
٢٤- ملاخى
٢٥- الجامعة

يطلب من:

كنيسة مارجرجس أسبورتنج ـ الإبراهيمية ـ الإسكندرية.

كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس ـ سيدى بشر ـ الإسكندرية.

مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس ـ العباسية ـ القاهرة.



الثمن ٣٥٠ قرشاً